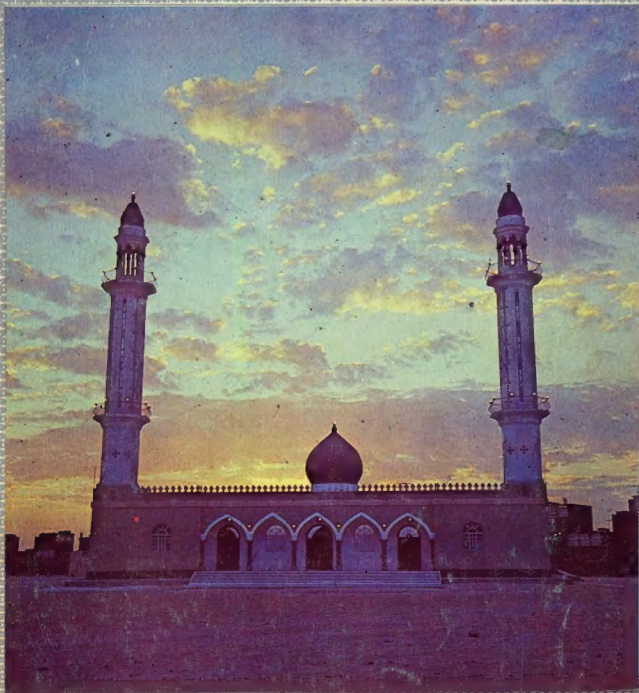


الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

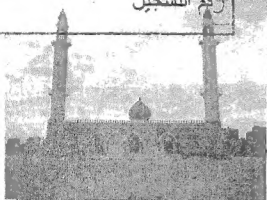
السنة التاسعة - العدد ١٠١ - غرة جمادى الأولى ١٤١٣هـ / ٢ يونيو (حزيران) ١٩٧٣م



عَمَّا كَرِهَ اللَّهُ الْمُشْرِكِينَ

وَقُلْ عَمَّا يُدْرِكُ الْأَبْصَارُ

رقم التسجيل



مسجد مدينة عيسى

بناه أمير البحرين الشيخ عيسى بن

سلمان آل خليفة عام ١٩٦٨ م .

التمنن :

٥٠ فلسا	الكويت
١ ريال	السعودية
٧٥ فلسا	العراق
٥٠ فلسا	الأردن
١٠ قروش	ليبيا
١٢٥ مليما	تونس
دينار وربع	الجزائر
درهم وربع	المغرب
٧٥ فلسا	الخليج العربي
٧٥ فلسا	اليمن وعمان
٥٠ قرشا	لبنان وسوريا
٢٠ مليما	مصر والسودان

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة التاسعة

العدد (١٠١)

غرة جمادى الاولى ١٣٩٢ هـ

٢ يونيه (حزيران) ١٩٧٢ م

هدفها : المزيد من الوعي ، وإيقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

نصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت في نسخة كل شهر عربي الاشتراك السنوي للهيئات فقط اما الأفراد فيشتركون رأسا مع منهج التوزيع كل في قطر

عنوان المراسلات :

مجلة الوعي الإسلامي — وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
صندوق بريد : ١٣ — كويت — هاتف : ٤٢٨٩٣٤ — ٤٢٢٠٨٨

العلمانية والاسلام بين الفكر والتطبيق

العلمانية في مراحلها الأولى من الفكر
الأوروبي وهي تمثل التنافس على السلطة

للدكتور محمد البهي

العلمانية والاسلام .. بين الفكر والتطبيق

مقدمة :

يفرض علينا الاجنبى — منذ الاستعمار الغربى فى القرن التاسع عشر :
« موضوع التفكير » ويجرنا الى مشاكل ليست من طبيعة بيئتنا ، ويدفعنا الى

مباهات نئسى فيها ديننا وتاريخنا وكل عوامل مقوماتنا ، او نتركها عن قصد .
وربما نتركها متحدين ايها ، وجاهد ين فى حمل الآخرين منا على الترفيق
عنها :

فرض علينا « العلمانية » فى تعليمنا فى مدارسنا وجامعاتنا ، وفرضها
علينا فى تشريعنا وفرضها علينا فى تفكيرنا وسلوكنا ، وفرضها علينا فى
سياستنا ، وفرضها علينا فى اقتصادنا .. فنصل بين الاسلام وحكم الدولة ،
وابعد الاسلام عن مجالات الحياة العامة ، وتركه فى داخل المسجد وفى قلوب
الناس ، يمارسونه اعتقادا وقلما ينزلون به الى التطبيق .

ويحاول منذ الحرب العالمية الثانية ان يفرض علينا علمانية من نوع آخر
متطرف .. يحاول ان يفرض علينا الغاء الدين عقيدة ، بعد ان طمست معالمه
عملا فى اوضاع المسلمين .. يحاول ان يصل بنا الى ما يسمى : « **الاحصاد
العلمى** » وهو مرحلة من مراحل العلمانية كى تصل عن طريقه الى مجتمع غير
طبقى !! .

يفرض علينا العلمانية كحل لمشكلة ازدواج السلطة ، وكل آخر لتحقيق
ما يسمى بالمعادلة الاجتماعية .

هل المجتمع الاسلامى فى ظل الاسلام ومبادئه : فى الحكم والسياسة ،
وفى نظريته الى الانسان ، وفى تحديد منهج السلوك له .. تنشأ له مشكلة
تتعين العلمانية حلالها ؟ ام ان العلمانية كحل تتطلب ان نستورد من الاجنبى
عنا مشكلته أولا ؟ فان صعب استيرادها فلنصورها على الاقل ، وتكون العلمانية
عندئذ حلا لومهم وليست حقيقة قائمة فعلا ؟
ان هذا البحث يحاول الإجابة عن هذين السؤالين .

١ - العلمانية - والإسلام : فى الفكر :

■ الإنسان فى ظل مبادئ الإسلام لا يرتفع الى مستوى الألوهية
والقداسة فى التقدير ، كما لا ينزل الى مستوى الحيوان فى السلوك والمعاملة
.. ولا يعصم عن الخطأ فى الحكم والرأى والسلوك ، بل كما يصيب : يخطئ
.. والوظيفة العامة التى ينقلدها الانسان - ايا كانت منزلتها - لا تغير من
خصائص طبيعته البشرية .. وحكومة الاسلام فى تطبيق مبادئه ليست الهية ،
بل هى بشرية تخضع للنقد ، وتقيل الشورى والمطالبة بها .. ورأى الانسان
(او اجتهداه) لا يلتزم به الا الانسان صاحب الرأى نفسه .. وإمام المسلمين او
رئيس دولتهم هو بحكم نظام الاسلام فى الخلافة من الخيرة بينهم : ايما باله ،
ومعرفة بمبادئ الاسلام ، وأكثرهم تجنباً للظلم والاعتداء ، واحقاقاً للحق
واقراراً للمعدل .

والعلمانية اذن ليس لها مكان فى وجود الانسان مع الاسلام . فلما ان يوجد
الاسلام ولا علمانية ، او توجد العلمانية ولا اسلام . والعلمانية فى تصور بعض
المسلمين المعاصرين وفى محاولتهم التوفيق بينها وبين الاسلام كحل للمشكلة
.. تعود الى تصور فى تصور الاسلام ، ثم الى رغبة فى محاكاة حلول فى

دوريات اسلامية

تفكير الغرب ، لمشاكل كانت ولادة البيئة الغربية ، ونتيجة الصراع فيها حول السلطة والتفرد بالقوة في كل جوانبها في المجتمع الأوربي .

Secularism العلمانية على غير قياس الى العالم — أو العالمية هي نظام من المبادئ والتطبيقات يرفض كل صورة من صور الإيمان الديني والعبادة الدينية .. هو اعتقاد بان الدين والشؤون الكنيسية (اللاهوتية والكنسية) والرهينة لا ينبغي ان تدخل في احوال الدولة ، وبالأخص في التعليم العام . والتحول الى العلمانية هو التحول من الملكية الدينية الى الملكية المدنية ، أو من الاستعمال الديني الى الاستعمال المدني .. هو التخلص من سلطة الرهينة والعهد الرهيني .. هو التحول الى الانتفاء المدني .

... والعلماني Secular : هو ما يتعلق بالحياة الدنيوية المؤقتة وليست له قداسة مقابل الشؤون الكنسية . ومنه الموسيقى الدنيوية مقابل الموسيقى الدينية أو الكنسية ، والمدرسة الدنيوية أو المدنية مقابل المدرسة الكنيسية .

في المجتمع الأوربي :

■ وهنا اذن : ثنائية المجتمع الأوربي .. هنا دولة — وكنيسة .. هنا مدنى — ودينى .. هنا حياة دنيوية غير مقدسة — وحياة أخرى كنسية لها قداسها .. هنا دولة لها سلطة وتريد ان تتوسع في سلطتها . وهنا كنيسة لها سلطة كذلك وتريد ان تحافظ على الأقل على سلطتها في مواجهة سلطة الدولة . وهنا حياة مدنية ودنيوية تخضع للتغيير والتطور . وهنا حياة دينية كنسية في منأى عن التغيير والتطور .

هذا مشكل لا يبرز اشكاله الا وقت ان يتخاصم الطرفان ويمتنع أى منهما عن ان يخضع للطرف الآخر ، بسبب من الأسباب .

كانت الكنيسة تكاد صاحبة السلطة المسيطرة طوال القرون الوسطى في اوربا .. حتى ابتدا الانسان الأوربي يكشف مجالا آخر يرى فيه استقلاله عن الكنيسة ، وهو مجال البحث الطبيعي . ثم يشعر بوجود نفسه المستقل يوم أعلن قانون الجاذبية .. وأخذ يمتاز بنفسه يوم استخدم قوة البخار في الصناعة .. ثم كلها اكتشف قوة أخرى كلها ابتعد عن الكنيسة وسيطرتها ، وكلها اتهم الكنيسة ونال من دين الكنيسة . فزادت اتهاماته بعد أن عرف قسوة الكهراء ، وفجر الذرة ، وبحث الفضاء . وهو اذ يوجه اتهاماته للكنيسة وينال من دينها لم يكن ذلك بناء على أدلة علمية يقينية توجب ابعاد المسيحية . وإنما في الأغلب يستهدف من كثرة الاتهام والنيل .. المحافظة على حرية في حركة البحث وفي السلوك في ظل دولة قوية مستقلة عن الكنيسة وعن رأى رجال الأكليروس فيها .

والذين كانوا يوجهون الاتهامات الى الكنيسة وينالون من المسيحية في عصر من العصور بعد القرون الوسطى — وبالأخص من القرن السابع عشر ، الى القرن التاسع عشر — لم يسلموا من المعارضة .. والمعارضة العلمية القوية . فالتقوانين مثلا التي قامت عليها الماركسية في القرن التاسع عشر — وكانت نظرتها الى الكنيسة والدين اشد مراحل العلمانية عنفا ضد الكنيسة والدين

هذه القوانين لم تسلم لها من الوجهة العلمية :

١ - فنشأة الأنواع وتطورها - كما نذكر عند : داروين Darwin (١٨٠٩ - ١٨٨٢) و Haeckel (١٨٣٤ - ١٩١٩) هيكل .. بقيت حتى الآن لغزا ، كما كانت ، ولم تصبح قانونا علميا ، كما ادعت الماركسية وأسست عليها تفكيرها .

٢ - والأصل اليكانيكي الذاتي ، الذي يؤكد ان الحياة كلها ، من : عقلية ، ونفسية ، وسلوكية صادرة عن « مادة » عضوية في الانسان .. هذا الأصل لا يعتبر من الحقائق العلمية في نظر كثير من الباحثين .

٣ - والمادية كمذهب تحت أي عنوان .. انتهى أمرها اليوم ، على الأقل في ميدان البحث العلمي . وبالأخص : جعل الاقتصاد أساس الحياة الانسانية في جميع اتجاهاتها .. نقضه ماكس فيبر Max Weber (١٨١٤ - ١٩٢١) في كتابه : « البحوث الدينية الاجتماعية » (ثلاثة أجزاء سنة ١٩٢٠) بالدين عند الهنود ، والصينيين ، واليهود .. والمجتمع والاقتصاد في القرون الوسطى وصلته بالتفكير الكنسي .. والرأسمالية وتأثيرها بتعاليم كالفن : (١٥٠٩ - ١١٥٦٤) .. وبالحقائق الرياضية والمنطقية وعدم صلتها بأي أساس سادي .

■ مشكل تنازع السلطة بين الدولة والكنيسة ، أو بين الديوى غير المقدس ، والكنسي المقدس تصور حملة بعض المفكرين في أنه يجب أن يكون الحل النظري على الأقل - في توزيع السلطة وتقسيمها بين الطرفين : يكون للدولة مجال ، وللكنيسة مجال .. تكون للدولة الشؤون السياسية والاقتصادية والتعليمية ، والتشريعية بما لا يمس الكنيسة ، وتكون للكنيسة شؤون الأسرة في مراسيم الزواج ، وطقوس الوفاة ، ونظام الرهبنة والاكليروس .. وهذا التقسيم ، أو الفصل بين السلطتين يأخذ اسم « العلمانية » . وقد مر في التفكير الأوربي بمرحلتين :

١ - المرحلة الأولى : مرحلة العلمانية المعتدلة :

وهي مرحلة القرنين السابع عشر والثامن عشر . المرحلة الثانية : مرحلة العلمانية المتطرفة . وهي مرحلة القرن التاسع عشر .. وقد بلغت قممتها في التطرف في الفكر المادي التاريخي .

فالمرحلة المعتدلة ان اعتبر فيها الدين أمرا شخصيا لا شأن للدولة فيه ، فان على الدولة مع ذلك أن تحمي الكنيسة .. وبالأخص في جباية ضرائبها . وأن طالب التفكير العلماني في هذه المرحلة بتأكيد الفصل بين الدولة والكنيسة ، فانه لا يسلب المسيحية كدين من كل قيمة لها ، وأن كان ينكر فيها بعض تعاليمها ، ويطالب بالخضاع لتعاليم المسيحية إلى العقل ، وإلى مبادئ الطبيعة ، مما نشأ عنه ، ذلك المذهب المعروف باسم : Deism .. وهو مذهب يعترف بوجود إله كأصل للعالم ، ولكنه ينكر : الإعجاز ، والوحى ، وتدخل الله في العالم ومن اتباع هذا المذهب :

- ١ - Voltaire فولتير (١٦٩٤ - ١٧٧٨) في فرنسا .
- ٢ - Shaftesbury شفتسبري (١٦٧١ - ١٧١٣) في إنجلترا .
- ٣ - Lessing ليسنج (١٨٧٢ -) في ألمانيا .

■ ومن فلاسفة هذه المرحلة المعتدلة للعلمانية فى التفكير الأوربي الأدبي : الفيلسوف الإنجليزي لوك (١٦٣٢ — ١٧٠٤) : فهو يرى أن الدولة الحديثة التى رفعت عن شئونها كل وصية للكنيسة .. تنظر الى كل اعتقاد ديني على أنه رأى شخصي ، وإلى كل رفقة فى الدين على أنه ترابط حر ، يجب أن يتحمل وأن يدافع عنه ، طالما لا يهدد نظام الدولة بالاتلاق أو التخريب . وقد شارك ليبنيز Leibniz (١٦٤٦ — ١٧١٦) لوك — كى يكون الوحي المسيحى مطابقا للعقل — فى وجوب حذف بعض التعاليم المسيحية : كمعتقد : التثليث ، وعقيدة : الطبيعة الالهية الإنسانية للمسيح ، على أن يصبح الوحي الالهى للإنسان عامة هو : القوانين ، والمبادئ وليس ما وراء الطبيعة ، كما وقع لموسى .

وبالرغم من أن يصبح الدين بعد هذا التعديل فى الوحي موضوعيا .. فانه يظل أمرا شخصيا ، يلتزم به الشخص وحده ، دون صلة بالدولة .

■ ومن فلاسفة هذه المرحلة المعتدلة فى العلمانية كذلك : الفيلسوف الإنجليزي الآخر هوبز (١٥٨٨ — ١٦٧٩) : Hobbes

فهو يرى : أن الدولة « عقد » وأن عليها أن تسوق الإنسان بالاكراه .. الى الانضمام الى هذا العقد . ودفع الإنسان بالاكراه الى الانضمام الى عقد الدولة ناشئ عن نظريته الى الإنسان على أنه : « أنانى » من طبيعته . على العكس من نظرة روسو (١٧١٢ — ١٧٧٨) الى هذه الطبيعة . فطبيعة الإنسان فى نظر روسو .. هى طبيعة خيرة ، وأن الإنسان اجتماعى باحساسه . ولذا لا يدفع ، بل ينتظر منه : أن يشارك من نفسه فى الدولة كمقد اجتماعى ، لصالح الكل .

ويتحدث هوبز عن « سيادة » الدولة . فيجعل الدولة هى المصدر الوحيد للقانون ، والأخلاق ، وكذلك الدين . ويقول فى شأن ذلك : « لهذا أعلن أن سلطة الدولة العليا لها الحق فى أن تفصل هى فى بعض التعاليم : هل هذه التعاليم تحتل بالنسبة لطاعة المدنيين للدولة أم لا ؟ فإذا كانت لا تحتل فيجب تحريم انتشارها » .

وفى نظره فان ممارسة الدولة لسياستها هو لعب بقوة الانانية المتجمعة . فالأفراد أنانيين بطبعاتهم . ومن مجموع أنانيتهم تتكون قوة الدولة . والدول فى علاقات بعضها مع بعض يسود فيها وضع الطبيعة المسمى الآن بالسيادة . ومن أجل سيادات الدول فى نظر : هوبز .. يستمر الحرب . والقوة ، والمنفعة ، كلهاها تحددان وحدها طبيعة الجماعة .

ولتوضيح العلاقات بين الدول ، وأنها علاقات قائمة على استغلال من المنفعة واستخدام القوة يظهر التمثيل بالحيوان كشعار للدولة فى فلسفة الفلاسفة .

فعند هوبز : الذئب هو شعار الدولة .
وعند بكيافيلي : شعارها هو : الأسد والثعلب .
وعند اشيلنجر : شعارها هو : التنمر .
وعند ليسنج : شعارها هو : القرود الجارح .
ومن حرص هوبز على سيادة الدولة : يعارض كل اتجاه يعارضها ، وبالأخص يتجه بمعارضته الى الكنيسة . والأمر عنده فى مخاصمة الكنيسة ليس

هو أمر التفتيش عن الحقيقة ، أو القانون ، أو الدين .. بقدر ما هو محافظة على قوة الدولة وسيادتها . وللدولة — أو للأكثرية — أن تفعل في نظره ما تهوى وما تريد . والإنسان في تمثيلة للجماعة له : أن يستحسن ، أو يستقبح ما يشاء . وبذلك يعود الإنسان من جديد مرة أخرى — بعد السوفسطائية في الفكر الاغريقي القديم — الى أنه هو : مقياس الأشياء ومقياس القيم . وعلى هذا النحو تنظر الشيوعية الى الفرد . فهي ترى مغزى وجوده في وجود الإنسان العام : في وجود « الوحدة الجاهيرية » .. في وجود « الدولة » .. في وجود « الحزب » . عن هذه النظرة تصل الشيوعية الى : الدولة المطلقة . ونظام الدولة المطلقة يجعل الدولة : هي المبدأ .. والمصدر الأخير لكل جانب من جوانب الحياة .

واندفاع هوبز الى التقدير الأعلى للإنسان العام يعود الى خضوعه الى اتجاه المادية ، ورؤيته الحقيقة كلها — وليس بعضها فحسب — في الماديات . ثم يعود أيضا الى إيهاته : يقانون الحركة الطبيعية بين الضغط — والدفع ، والسبب . والمسبب تلك الحركة التي تنشأ عن أسباب طبيعية خالصة في تفسير الأحداث اذ عن طريق تآثر هوبز بالأمرين معا .. لم ير الا السيادة المطلقة للدولة في جميع الأفراد الاتانيين بطبيعتهم ، على العقد . كذلك يصدر رايه عن هذا التأثير بوجوب معارضة الدولة للكنيسة في سبيل احتفاظها بالقوة المطلقة ، وأيضا باستخدام الحرب مع دولة أخرى .

ولم يسلم هوبز من المعارضة القوية لرايه في الدولة وفي معارضة سلطة الكنيسة . فقد قام في وجهه في إنجلترا ما يسمى : بمدرسة كبردج . ومن أقوى المعارضين له في هذه المدرسة : رالف كودورث Ralf Cudworth (١٦١٧ — ١٦٨٨) : فقد عارض مذهبه الاحادي ، ورفض : أن تكون الاخلاقيات بحيث يمكن أن تنشأ عن الفهم الطبيعي ، كما يدعى هوبز . وأكد : أن هذه الاخلاقيات تتأصل في المثل العليا في العقل الالهي . والعقل الانساني يسهم فيها عن طريق انه مخلوق لله .

ومن أنصار هذه المدرسة :

- | | |
|------------------|---------------|
| ١ — سموئيل باركر | Samuel Parker |
| ٢ — هنري مور | Henri More |
| ٣ — جون سميث | John Smith |

■ وأما الفيلسوف الإنجليزي الآخر : هيوم Hume (١٧١١ — ١٧٧٦) فهو مع كونه بلحدا ينكر الله ، كما ينكر خلود الروح .. الا انه كرجل من رجال التقاليد في إنجلترا .. يبقى على اعتبار الدين ، كإيمان فقط . فالدين في نظره ليس عليا . وانما هو احساس فقط .. احساس بالإيمان بوجود قوى فوق الإنسان .. هو احساس ناشيء عن تغير موجات الحياة ، وظلام القدر ، والترقب الخيف والقلق من المستقبل ، وبالأخص بعد الموت . والوثنية هي الصورة الأولى لهذا الإيمان .

■ وفي فرنسا ظهر الفيلسوف Jean Jacques Rousseau (١٧١٢ — ١٧٧٨) روسو : وهو يتفق مع هوبز في إبعاد الدين عن الدولة وعن التربية على وجه اخص . ولكنه يختلف معه في سبب المطالبة بإبعاده . فهو في فلسفته على

الضد من فلسفة هوبز .. هو انساني وليس بهادى . ويستهدف فى فلسفته تقدم الانسانية وحريتها ، وسعادتها . ولكن بوسائل أخرى غير تلك التى نادى بها فولتير . فروسو كان من أصحاب القلب والاحساس ، بينما فولتير كان من أصحاب العقل والتفكير .

روسو يرى : أن الانسانية يجب أن تعود الى الطبيعة الأولية .. الى فضيلة المواطن .. الى سعادة الأسرة والمنزل . ولكن يقف فى طريق سعادة الانسانية - فى نظره - التناقض بين الطبقات ، والطبقة الحاكمة ، وكل المنظمات التى تحتفظ بالقوة المسيطرة وتسعى الى الاحتفاظ بها من : مدنية ، وكنسية .

وبالرجوع الى الطبيعة الاولى وحدها - فى نظره - توجد بين الناس : المساواة ، والحرية ، ولذا : الناس اخوة .. وليس بالرجوع الى الثقافة ، والمدنية ، ولا الى المجتمع الذى يحل ذلك .

وبسبب الحرية والمساواة .. يعطى روسو : الكلمة الديمقراطية الراديكالية وسيادة الشعب ، بدلا من تعاليم : الدولة المطلقة عند هوبز ، وبدلا من الملكية الدستورية للنموذج البريطانى عند مونتسكيو Montesquieu (١٦٨٩ - ١٧٥٥) . وفى نظره ليست هناك حاجة الى نيابة برلمانية ، طالما تكون القوة الحقيقية للشعب . ويكنى من وقت لآخر - أن يقترح الشعب على بيان يعلن عليه . والا لا تكون القوة فى الواقع لهؤلاء الناس الطبيين ، ولا للشخصيات الحية فى اصلها التى تصنع الدولة . وانما تكون القوة عندئذ لتلك المؤسسات الثقافية الجامدة ، ولتلك الاحزاب ، والطبقات ، والمنظمات التى تنمو وتتعاظم فوق رؤوس الشعب وتسلبه حريته ، معتمدة على تجاربها .

فالدولة هى الشعب نفسه . ولا ينبغى أن ينظر الى الشعب الا على انه اتحاد اجتماعى حر (عقد اجتماعى) صادر عن ارادة المواطنين ، الذين هم كذلك ليسوا شيئا آخر سوى : أنهم مواطنون ، متساوون ، أحرار ، طيبون .

وفى التربية - للمحافظة على الوضع الطبيعى الاصيل للانسان - يجب أن يترك التلميذ حرا ، بدون اكراه له من الخارج .. يجب أن يتبع ما له من استعدادات وطاقت ذاتية : بحيث ينشأ صادقا فى حسه ، وطبيعيا مع خصائصه وللمحافظة على أن يكون طبيعيا فى نموه يجب ابعاد غير الطبيعى من : القوى الثقافية ، والعادة ، والقانون ، وكذلك تعليم المسيحية الخاص « بالخطيئة الموروثة » . « فكل شئ من صنع الخالق عندما يخرج .. هو حسن ، وكل شئ يقع تحت أيدي الانسان .. يفسد ويتغير » .

هذه هى الجملة الاولى فى كتابه التربوى : « اميل » . وفى هذا الكتاب يركز روسو على الطبيعة ويجعلها وحدها هى العاقل الفاضل . كما يجعل الدين فى التربية أمرا ضد الطبيعة . فالإيمان فى أكثر الناس هو أمر جغرافى ، ويتعلق بالانسان وحده : هل هو ولد فى مكة ، أو فى روما .

وروسو على وجه التأكيد ضد تلقين الأطفال الحقائق الميتافيزيقية ، التى لا يمكن أن تدرك بالحوس . ولذا - من وجهة نظره - ينبغى ألا يتبع الطفل حزبا دينيا . ولكن يمكن من الاختيار بنفسه ، على أساس من عقله الخالص . وفى الوقت الذى يتجه روسو فيه ضد الاتحاد يتجه أيضا ضد الأدلة الميتافيزيقية على وجود الله ، التى يحتضنها علم اللاهوت الكهنسى . فإلله - فى

نظره — ليس موضوعا للعلم ولا للعقل ، بل هو موضوع للاحاساس والقلب .
والايمان بالفضيلة والخلود هما : الدين الصادق .

■ ليسنج Lessing (١٧٢٩ — ١٧٨١) والدين :

والدين في نظر ليسنج ليس شيئا نهائيا . ولكنه يكون مرحلة يقوم عليها طريق الحياة للانسانية . والاديان كلها تقع في مجال التطور — ككل ما يقع في التطور — ويجب ان نخطو الى ما هو افضل واحسن . وفي الاديان الكبيرة يستهدف الله توجيه الانسانية الى ما هو حق وصح . وليست هناك حقيقة أبدية لا تنقض ، وانما هناك سمي نحو الحقيقة .

★ ★ ★

وفي هذه المرحلة الاولى للعلمانية في القرنين السابع عشر والثامن عشر .. هذه المرحلة التي تعتبر معتدلة نوعا ما عن المرحلة التالية .. تكن دوافع الفصل بين الدولة والكنيسة ، أو بين الدين والدولة في الاسباب الآتية :
اولا : — الحرص على سيادة الدولة سيادة مطلقة ، في مواجهة الكنيسة ووصايتها السابقة في القرون الوسطى على الإنسان ، كما هو واضح عند هوبز .

وثانيا : — اتهام المسيحية ببعد بعض تعاليمها عن العقل — كمقيدة التثليث ، وعقيدة الطبيعة الالهية الانسانية للمسيح — كما يرى في فلسفة : لوك ، ولينتز ، وفي محاولتهما — مع آخرين — لتصفية المسيحية على أساس من منطق العقل ، كما يدعى ، وتسمية ما يخضع للعقل باسم : دين العقل .

وثالثا : — النظر الى الدين في التربية على انه ضد « الطبيعة » كما في نظرة روسو اليه ، بناء على تعليم المسيحية : « بالخطيئة الموروثة » .
ورابعا : — اعتبار الدين امرا متطورا ، وليس بنهائي ، كما يراه ليسنج ، وبالتالي : حقائقه حقائق متغيرة وقابلة للنقض .

واذا كان هوبز قد كشف واضحا في فلسفته عن عامل الفصل بين الدولة والدين ، وهو عامل الحرص على سيادة الدولة .. وهو عامل يتصل بالتنازع على السلطة بين الدولة والكنيسة ، أكثر منه عامل يبرر عزل المسيحية عن الحياة الانسانية العامة ، فان العوامل الثلاثة الأخرى تتجه الى نقد الدين ، وهي وان اتجهت الى نقد الدين والنيل من تعاليمه ، ولكنها تتجه في واقع الأمر الى تفسيرات في المسيحية أصبحت تقليدا وعقيدة لبعض كنائسها . ولكن جوهر المسيحية لا يخرج عن كونه دعوة للروحانية الانسانية في مواجهة المادية التي طغت في آخر عهود الموسوية .

(للبحث بقية)

★ ★ ★

مباحث قرآنية

التعريف بالقرآن الكريم

للكاتب محمد حسين الذهبي

ومعلوم ان للقرآن الكريم خصائص كثيرة يتميز بها عن كل ما عداه من كلام إلهي أو غير إلهي ككونه معجزاً أو متعبداً بتلاوته .

ومعلوم أيضاً - ان للقرآن صفات يشاركه فيها غيره من كلام الله أو كلام البشر ولكنها صفات لازمة لا تنفك عنه لأنها من عناصر قرآنيته ، ولو أنها انفكت عنه لخرج عن كونه قرآناً ، وذلك كوصف كونه عربيّاً السّذي يشاركه فيه الحديث النبوي والحديث القدسي ، وكوصف كونه متواتراً الذي يشاركه فيه بعض الأحاديث النبوية .

ونرى لزوماً علينا ان نذكر بعض هذه الخصائص والصفات بشيء من التفصيل والإيضاح حتى لا يقع لبس أو خلط بين ما هو قرآن وما خرج أو هو خارج من الأصل عن كونه قرآناً :

١ - فمن خصائص القرآن كونه معجزاً ، وإعجاز القرآن خصوصية خصه الله بها من بين كتبه المنزلّة على سائر الأنبياء عليهم السلام ، وميزة تميز بها عن كل كلام آخر منسوب لله سبحانه أو لأي إنسان ويأى لسان .

٢ - ومن خصائص القرآن الكريم كونه متعبداً بتلاوته ، فمراءة ما تيسر

المشهور بين علماء اللغة : ان لفظ القرآن - من الأصل - مصدر مشتق من قرأ . يقال : قرأ قراءة وقرأنا ، ومنه قوله تعالى : « إن علينا جمعه وقرأته فإذا قرأته فاتبع قرآنه » (١) - أي قراءته .

ثم نقل لفظ القرآن من المصدرية وجعل علماً شخصياً (٢) على الكتاب المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم .

وعلماء الشريعة يعرفون القرآن ، بأنه كلام الله المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم بلفظه ومعناه ، والمنقول إلينا بالتواتر .

وبعضهم يزيد على هذا التعريف قيوداً أخرى مثل : المعجز ، أو المتحدى بإتصاف سورة منه ، أو المتعبد بتلاوته ، أو المكتسب بين دفتي المصحف ، أو المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس .

والواقع ان التعريف الذي ذكرناه آنفاً تعريف جامع مانع ، لا يحتاج إلى زيادة قيد آخر ، وكل من زاد عليه قيداً أو قيوداً مما ذكرناه ، لا يقصد بذلك إلا زيادة الإيضاح بذكر بعض خصائص القرآن التي يتميز بها عما عداه .

منه ركن من أركان الصلوة لا تتم بدونه وأيا صلاة وقعت خالية من القراءة مع القدرة عليها فهي باطلة ، وقراءة القرآن خارج الصلاة عبادة أيضا ، ولم نعرف مثل هذه الخصوصية فابنة لشيء آخر من الكتب السماوية أو غيرها .

وعلى هذا فالحديث القدسي ليس قرآنا على الصحيح من كونه منزلا من عند الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم بلفظه ومعناه ، وذلك لأنه فقد عنصرين من عناصر القرآنية وهما : الإعجاز والتعبد بتلاوته ، كما فقد عنصرا آخر يأتي بعد ، وهو التواتر .

ولو ادعى مدع ثبوت بعض الأحاديث القدسية بالتواتر — وما أظن ذلك — فاتها لا تكون قرآنا أيضا لفقدها العنصرين السابقين معا ، مع أن فقد واحد منهما كاف في تخلف وصف القرآنية عنها .

٢ — ومن صفات القرآن التي لا تنفك عنه ، كونه عربيا ، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة ناطقة بأنه نزل من عند الله كذلك :

« وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم » (٣) .

« وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها » (٤) .

« كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون » (٥) .

« نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين » (٦) وعلى هذا فأي خروج بالقرآن الكريم من لفظه العربي المنزل من عند الله يزيل عنه حقيقة القرآنية .

وإذا فتمتسير القرآن الكريم ، وترجمته الى غير العربية — مهما روعى فيها المحافظة على معانيه ومراميه — لا يمدان قرآنا ، ولا يكون لأى منهما ما للقرآن من حرمة وقداصة (٧) ، ولا ما فيه من خاصية

التمتع به وروعة الإعجاز ، لأنه خرج بذلك عن كونه كلام الله الى كونه كلام البشر ، والبشر يخطئ ، ويصيب ومحال أن تقوم عبارة أنسان — عربية كانت أم غير عربية — مقام عبارة الله تعالى في جودة معانيها ، ودقة مراميها ، وخصائص أسلوبها ، وبراعة نظمها ، وسر فصاحتها ، وروعة بيانتها .

وهنا نستطرد الى مسألتين لهما تعلق بهذا الموضوع :

المسألة الأولى : هل معنى أن القرآن عربى أنه لا يحتوى على شيء من لغات غير عربية ؟ والجواب عن هذا : أن القرآن الكريم ليس فيه — قطعا — جملة مركبة بلسان غير عربى . إنما يوجد فيه — باتفاق — أسماء غير عربية هي أعلام على أشخاص بأعيانهم ، كإبراهيم ، وأسحق ، ويعقوب ، وإسرائيل ، وموسى ، وعيسى .. ووجودها في القرآن لا يخرج به عن كونه عربيا لأن الأسماء التي وضعت أصلا لأشخاص تبقى كما هي ولا يتصرف فيها عند نقلها الى لغات غير لغاتها الأصلية ، والا لكان معنى ذلك : إزالة الاسم عن مسماه وإطلاق اسم آخر عليه لا يعرف به ولا يعينه .

وفي القرآن الكريم أسماء ليست أعلاما لأشخاص مثل : استبرق ، وقسطاس ، وسجيل ، ومشكاة .. وغيرها .

وقد اختلف العلماء في أصل هذه الأسماء :

فمنهم من قال : إن هذه الكلمات مما اتفقت فيه اللغات ، فهي موجودة في اللغة العربية ، وموجودة في غيرها ولا يخرج بالقرآن عن كونه عربيا أن تكون بعض كلماته موجودة في لغة أخرى ، لأن اتفاق بعض اللغات في استعمال لفظ ما للدلالة على معنى معين لا يخرجها عن كونه أصيلا في كل منها ، وإنما يخرجها فقط عن نطاق

الاختصاص والانتساب الى لغة
بمعناها .

ومن العلماء من قال : إن هذه
الالفاظ أعجمية الأصل ولا زالت
أعجمية ، ووجودها في القرآن لا
يخرجه عن كونه عربيا ، لأنها قليلة
جدا ، واقتباسها وإدماجها في هذه
الكثرة الساحقة من الكلمات العربية
التي احتواها القرآن مما يجعلها
تميع وتتلاشى حتى لا تكاد تحس
بها نبوة العجبة .

وذهب فريق ثالث من العلماء الى
أن هذه الالفاظ أعجمية الأصل ،
ولكنها — تبعا لنظرية تداخل اللغات
في لغة الله — استعملت من قديم
وقبل نزول القرآن الكريم في اللسان
العربي ، ولانت بها السنة العرب
حتى أصبحت عربية بالاستعمال ،
ولا يخرج القرآن عن كونه عربيا
باحتماله على بعض هذه الالفاظ
المعربة ، وهذا الرأي الأخير هو
أشهر الأقوال الثلاثة وأرجحها .

المسألة الثانية : نقل عن الإمام
أبي حنيفة رضي الله عنه ، أنه يرى
جواز قراءة القرآن بالفارسية في
الصلاة ، وزعم زاعم — بناء على
ذلك — أن أبا حنيفة يرى أن القرآن
اسم للمعنى فقط ، وهذا يناقض
ما قلناه من أن القرآن اسم للفظ
والمعنى معا .

وتوضيح المسألة : أن ما نقل عن
أبي حنيفة — بخلافه سائر الفقهاء
حتى أصحابه — من جواز قراءة
القرآن بالفارسية في الصلاة ،
محمول على أن الصلاة مناجاة لله
تعالى ، وما يقوله المصلي من معاني
القرآن باللسان الأعجمي في صلاته
لا يقوله على أنه قرآن ، وإنما يقوله
على أنه مناجاة منه لله عز وجل ،
والمناجاة بأي لسان جائزة باتفاق .

ولكن بعض الفقهاء من أتباع أبي
حنيفة رضي الله عنه يرى — والحق
معه — أن هذا التوجيه لما نقل عن
أبي حنيفة من جواز القراءة بالفارسية

في الصلاة غير مستقيم ولا مقبول
ويقرر أن أبا حنيفة رجع عن قوله هذا
إلى القول بعدم الجواز (٨) .

٤ — ومن صفات القرآن التي
لا تنفك عنه كونه متواترا : أي رواه
جمع كثير من جمع كثير يحيل العقل
اتفاقهم على الكذب في لندن سماعه
من رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى أن وصل إلينا ، وروايته على
هذا النحو تفيد اليقين بقرآنيته .
وعلى هذا لما روى بطريق الأحاد
وهو ما لم يبلغ حد التواتر ، بأن رواه
واحد ، أو رواه جماعة لا يحيل
العقل اتفاقهم على الكذب — على
أنه من القرآن لا يعتبر قرآنا ، لأن
رواية الأحاد تفيد الظن ولا تفيد اليقين
والقرآن لا يثبت بالظن أبدا .

وإذا ، فما يروى بطريق الأحاد
عن ابن مسعود أو ابن عباس أو
غيرهما من الصحابة من بعض الفاظ
على أنها من القرآن : كقراءة أبي
وابن مسعود في كفارة اليمين ...
« فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام
مقتباعات » (٩) بزيادة لفظ مقتباعات .
وقراءة ابن مسعود في آية
الإيلاء : « فان عاوا فيهن فان الله
غفور رحيم » (١٠) . بزيادة لفظ
(فيهن) .

وقراءة ابن عباس آية الحج
« ليس عليكم جناح أن تنفقوا فضلا
من ريسكم في مواسم الحج » (١١)
بزيادة جملة (في مواسم الحج) .
وقراءة سعد بن أبي وقاص في
آية الكلاله : « وإن كان رجل يورث
كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت من أم
فلكل واحد منهما السدس » (١٢)
بزيادة جملة (من أم) .

.. ما يروى من ذلك ليس قرآنا
لفقده عنصر التواتر الذي لا بد منه
في تحقق القرآنية وثبوتها ، وتسمية
بعض المتأخرين من العلماء له قرآنا
تساهل منهم لا أراه مقبولا ولا سائفا
في مثل هذا المقام الذي يتحتم فيه
الدقة وعدم التسامح في التعبير .

سبحاته .. حكاها في التوراة بأسلوب خاص ، وانزلها على موسى عليه السلام بلسان قومه فكانت من التوراة ، وحكاها في القرآن بأسلوب خاص وانزلها على محمد صلى الله عليه وسلم بلسان قومه ، فكانت من القرآن .

والآيات القرآنية التي تضمنت أحكاما كانت شرعا لغيرنا وكسانت مدونة بلغتهم في كتبهم المنزلة كقوله تعالى : « وكتبنا عليهم فيها (١٣) أن النفس بالنفس والعين بالعين والألف بالالف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص » (١٤) . لا تخرج بذلك من كونها قرآنا ، لأن الآيات التي من هذا القبيل نزلت على قلب النبي محمد صلى الله عليه وسلم بلسان عربي ، ولا يقدح في قرآنيته كونها حكاية لما في التوراة أو غيرها من الكتب .

أما الأحكام التي تضمنتها هذه الآيات فالقول الفصل فيها ما يلي :
١ - إن اقترنت بها يفيد نسخها بالنسبة لنا فلا تكون شرعا لنا .

٢ - وإن اقترنت بها يفيد بقاء العمل بها في حقنا فهي شرع لنا ، ولا تكون في هذا متبعية لشرعية غيرنا ، بل نكون متبعية لشرعنا التي جاء بها نبينا عليه الصلاة والسلام .

٣ - أما إن تجردت عن القرينة الدالة على شرعيتها أو عدم شرعيتها في حقنا ، فهذه محل خلاف بين الفقهاء : فمفريق يقول : هي شرع لنا .

ومفريق آخر يقول : ليست شرعا لنا .

ولكل من الفريقين دليله الذي يستند إليه في توجيه مذهبه وتصويبه .. وفي كتب أصول الفقه بها يفتنى طالب المزيد من المعرفة .

والظن بالعلماء الذين تسامحوا فعبروا عن هذه الكلمات بالقرآنية ، أنهم لا يتصدون أنها قراءات مروية عن تنسب إليه من الصحابة ، وإنما قصدهم ، أنها تفسيرات لهم .

أو لعل بعض الصحابة كتبوا يفسرون القرآن ويرون جواز اثبات التفسير بجانب القرآن على هامش مصاحفهم التي كانوا يكتبونها لأنفسهم فظننا بعض الناس - لتطاول الزمن عليها - من أوجه القراءات التي صحت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواها عنه هؤلاء الأصحاب .

ومهما يكن من شيء يقال فسي توجيه تسميتها قرآنا ، فهي ليست من القرآن في شيء ، ومن يحتج بها من الفقهاء لا يحتج بها على أنها قرآن وإنما يحتج بها على أنها من قبيل أخبار الأحاد التي تروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبار الأحاد مما يجب العمل به وتقوم به الحجة إلا في باب العقيدة .

٥ - ومن صفات القرآن اللازمة له : كونه منزلا على محمد صلى الله عليه وسلم ، ومعنى هذا : أن ما أنزل على غيره من الأنبياء لا يكون قرآنا حتى ولو حكاها القرآن ، على معنى أن ما جاء في التوراة - مثلا - من قصص أو أحكام لم جاء القرآن بعد يحكيها ، لا تكون قرآنا حين نزلت على موسى ، ولا حين دونت في ألواح التوراة ، أما ما حكاها القرآن من ذلك بعد فهو قرآن من عند الله تعالى ، نزل به جبريل على قلب النبي محمد صلى الله عليه وسلم . ولا يخرج من القرآنية أن يكون مضمونه موجودا في التوراة من قبل .

ونزيد ذلك أيضا فنقول :
إن القصة لها مضمون تفاوته التوراة ، وتناوله القرآن ، والذي حكى القصة في الموضعين هو الله

الفرض من انزال القرآن الكريم

تشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه ، هو الذى لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا : **إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشـد ، من قال به صدق ، ومن عمل به اجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا اليه هدى الى سبيل صراط مستقيم** « (١٦) .

صدق الله ورسوله : فلا عز الا والقرآن سبيل اليه ، ولا خير الا ولى آياته دليل عليه . ولقد عرف سلفنا الصالح هذا كله فمتسكوا بالقرآن فعزوا وسادوا ، ثم خلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الاذنى ، ويقولون : سيففر لنا رضوا بان يكونوا من الخوالم مطيع على قلوبهم ، واذا فهم اللسه لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنمون . وصدق الله العظيم : « ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى . قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى » (١٧) .

(للبحث بقية)

والفرض من انزال القرآن الكريم ابران :

الامر الاول : ان يكون معجزة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، تشهد بصدق دعوته وحقية رسالته .
الامر الثانى : ان يكون دستوراً للامة الاسلامية تستند منه الهداية والرشاد ، وتستلهم منه الصواب والسداد ، وتتقن من نور تشريعه ما يأخذ بيدها الى عز الدنيا وسعادة الآخرة .

وصدق الله العظيم اذ يقول :
« **إن هذا القرآن يهدى للتى هى اقوم** » (١٥) .

وصدق الرسول الكريم حين يصف القرآن فيقول :

« فيه نبا ما يتكلم ، وخير ما بعدكم وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، هو الذى لا تزيغ به الالهواء ، ولا تلتبس به الالسنه ، ولا

اما تفسير القرآن وترجمته فجازل مسهباً وقرأتهما للمحدث حدثا اصغر او اكبر ، لزوال حقيقة القرآنية عنهما .

(٨) انظر الاسلام عقيدة وشريعة ص ٤٨٣ - ٤٨٤ .

(٩) اصل الآية فى سورة المائدة رقم ٨٩ .

(١٠) اصل الآية فى سورة البقرة رقم ٢٢٦ .

(١١) اصل الآية فى سورة البقرة رقم ١٩٨ .

(١٢) اصل الآية فى سورة النساء رقم ١٢ .

(١٣) اى فرضنا على اليهود فى التوراة هذا الحكم وهو القصاص .

(١٤) فى الآية ٥ من سورة المائدة .

(١٥) فى الآية ٩ من سورة الاسراء .

(١٦) رواه الترمذى فى كتاب السنن ٥ ٢ .

— ص ٢٤٩ — ط : الايبيرية .

(١٧) الآيات ١٢٤ — ١٢٦ من سورة طه .

(١) الآيات ١٧ ، ١٨ من سورة القيامة — وهناك آراء اخرى فى اصل الكلمة واشتقاقها . راجع الاتقان للسيوطى ، ومناهل العرفان للشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى .
(٢) يرى بعض العلماء انه علم جنس يصدق على القرآن كله وعلى ابعاضه . وكونه علما شخصيا هو الراجح — انظر مناهل العرفان .

(٣) فى الآية ٤ من سورة ابراهيم .

(٤) فى الآية ٧ من سورة الشورى .

(٥) فى الآية ٢ من سورة فصلت .

(٦) الآيات ١٩٢ — ١٩٥ من سورة الشعراء .

(٧) ولحكمة القرآن وقداسته لا يجوز لغير

المختص من المصحف كما لا يجوز للجنب

ولا للمجانس من المصحف ولا قراءة القرآن

حديث الغار



للدكتور : على عبد المقيم عبد الحميد

عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بينما ثلاثة نفر من كان قبلكم يمشون إذ أصابهم مطر فأروا إلى غار فأتطبق عليهم ، فقال بعضهم لبعض : أنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق ، فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه ، فقال واحد منهم : اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أجير عمل لي على فرق من أرز فذهب وتركه وإني عمدت إلى ذلك الفرق فزرعته فصار من أمره أني أشتريت منه بقرا ، وأنه أتاني بطلب أجره : فقلت : اعمد إلى تلك البقر فاسقها ، فقال لي : إنما لي عندك فرق من أرز ، فقلت له : اعمد إلى تلك البقر فاذاها من ذلك الفرق فاسقها ، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا ، فانساخت عنهم الصخرة . فقال الآخر : اللهم ان كنت تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران فكننت آتيهما كل ليلة بلبن غنم لي ، فأبطأت عليهما ليلة فجئت وقد رقدا ، وأهلي وعيالي يتضاغون من الجوع ، وكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواي ، فكرهت أن أوقظهما وكرهت أن ادعهما فيسكتا لشربتهما ، فلم أزل أنتظر حتى طلع الفجر ، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا ، فانساخت عنهم الصخرة حتى نظروا إلى السماء . فقال الآخر : اللهم ان كنت تعلم أنه كان لي ابنة عم من أحب الناس إلي وإني راودتها عن نفسها فابت إلا أن آتيها بمائة دينار فطلبها حتى قدرت فآتيها بها فدفعتها إليها ، فامكنتني من نفسها ، فلما قعدت بين رجلَيْها ، قالت : اتق الله ولا تنقض الخاتم إلا بحقه ، فنبت وتركنت المائة دينار ، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا ، ففرج الله عنهم فخرجوا » .

(رواه البخاري وغيره)

بين يدي البحث :

(١) منذ زمن طال ، والمهتمون بالدراسات القرآنية ، والاثار النبوية ، يرددون : أن التفاسير والشروح التي عالجت ذلك التراث الشريف — وأهمها

تجليته للأجيال المتعاقبة من مثقفي هذا الوجود طالبي المعرفة العالية ، الراغبين في السمو الفكري — كثيرا ما تنطوى على الاسرائيليات المقبولة حيناً والمجوجة أحيانا ، والتي ترد في أمهات كتب ذلك التراث الصادرة عن من لا يرى لهم عن قوس ، ولا يدرك لهم شأوا ، ولا يبلغ مدى معارفهم ، فهم من فاض غربهم بعلوم اللسان ، وطال باعهم في ميدان المعقولات ، فقد كانوا قهها ولا يزالون — في آثارهم الخالدة — المجلين في حليتها ، فهم ولا شك يعرفون الجيد ويميزون الرديء ، على دريهم يسار ، وبهم يقتدى ، وهذا ما حمل على التساؤل : كيف وقع أولئك الفحول في أحبولة الاسرائيليات ، مع سمو معارفهم ودقة ادراكهم لمقاصد الكتاب الكريم والسنة الشريفة . . ؟! حملنى ذلك على أن أقدم لدراسة هذا الحديث الشريف بفلكة يسيرة ، قد تزيل بعض الحيرة ، وتجيب على شيء من جوانب هذا التساؤل ، خاصة وأن الكلم الطيب موضوع البحث متصل بقصة حدثت وقائعها في بني اسرائيل ، وإن كانت رواية البخارى لم تشر الى ذلك ، فقد ذكر صراحة في رواية الطبراني : عن عقبه بن عامر . . أن ثلاثة نفر من بني اسرائيل . . الخ .

نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأخذ عن بني اسرائيل والنظر في كتبهم أولا . . ثم حصل التوسع في ذلك ، فكان النهي قد وقع قبل استقرار الأحكام الاسلامية ورسوخ القواعد الدينية خشية الفتنة ، والانحراف عن الخط الاسلامي البين ، والاغترار بما دونه الاخبار في كتبهم خارجا عن نطاق التوراة ، وما سجلوه بعيدا عن رباط السماء والوحي الالهي ، ثم لما زال المحذور واطمأنت الأصول الاسلامية في نفوس المؤمنين ، وركنوا اليها ، ولم يعد لغيرها سبيل لمنافستها ، أو الاختلاط بها ، أو التقليل من شأنها . . عندئذ وقع الإذن بالاطلاع على أخبار أهل الكتاب ، وأبيحت قراءة ما سطوروا ومعرفة ما دونوا ، وخاصة الأخبار التي احتوت ما يفيد المسلمين من الاعتبار بظلك الأحوال ، والافتداء بحسنها والنجاة عن سيئها ، فقال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها رواه البخارى وغيره من الثقافة عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : « بلغوا عنى ولو آية ، وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج ، ومن كذب على متعمدا فليتبوا مقعده من النار » . وقال شراح الحديث الشريف : بمعنى قوله صلى الله عليه وسلم : « ولا حرج » ولا تضيقوا صدوركم بما تسمعون منهم من الاعاجيب فإن ذلك وقع لهم كثيرا ، وقال الإمام مالك رضي الله عنه : المراد « جواز التحديث عنهم بما كان من أمر حسن أما ما علم كذبه فلا » وقيل : حدثوا عنهم بمثل ما روى القرآن والحديث الصحيح .

وقال الشافعى رضي الله عنه : من المعلوم أن النبى صلى الله عليه وسلم لا يجيز التحديث بالكذب ، فالمعنى : حدثوا عن بني اسرائيل بما لا تعلمون كذبه ، وأما ما تجوزونه فلا حرج عليكم في التحديث به عنهم ، وهو نظير قوله صلى الله عليه وسلم : « إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم » ويبدو — والله أعلم — أن السابقين لما سمعوا ما أثبت صحته البخارى ، وما رواه أبو داود بإسناد صحيح عن أبى هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج » ترخصوا في رواية الاسرائيليات كيفما كانت ما دامت لا تصادم أصلا من أصول الدين ، ذهابا منهم الى أن المقصود بها الاعتبار بالوقائع التي أحدثها الله تعالى لن سلف لينهجوا منهج من أطاع منهم فأثنى الله عليهم وغازوا برضوانه ، ويتكبروا

مسالك من غصوا وتمادوا في البعد عن أوامر الله تعالى فحققت عليهم كلمة العذاب ، فعمل هذا هو ملحظ المفسرين والشرح الذين أوردوا الاسرائيليات في تفسيرهم وهي غالبا ما ترد للاستشهاد لا للتأسيس ، ولكن مما يثير الأسف أن البعض بالغ في ايراد الاسرائيليات فكان حاطب ليل خلط ممسلا صالحا وآخر سيئا وجاء بمرويات لا يستسيقها العقل ولا يقبلها دارس مهما تدنت معرفته ومهما هبطت مداركه ما دام يعرف ولو شيئا يسيرا عن الاسلام وواقعته التي لا تقبل الجدل بل وتنفي الخرافة وتعيب حاكبيها ، وما يخفف وقع تلك الخرافات أنها لا تتصل بشيء من العقيدة ، وإنما هي قصص يمجج الذوق ويرده أدنى نظر ، فمن غير الوارد عقلا ، وليس مندرجا تحت ميزان الفكر أن الأرض تستند الى قرن ثور ، والنور يقف على ظهر حوت ، والحوث يسبح في بحر ، وأن الهزات الأرضية ، تنشأ عن تحركات الثور حين يعمي بحملسه فينقل الأرض من أحد قرونيه الى الآخر .. !!

ولهذا يقول الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه : « اذا رويانا الأحكام شددنا واذا رويانا في الفضائل تساهلنا ، وما وراء ذلك نغفاه عن وادينا ولا ندعه يجد مجالا في دراسبتنا » . وقال بعض تلامذته : وبالأحرى في القصص الغير بين الكذب أو الشحيد المبالغة .. وعقب على كل ذلك الحافظ ابن كثير في مقدمة تفسيره المسمى : (تفسير القرآن العظيم) بما نوره هنا اكمالا لفائدة ، وتعميما للمعرفة الحققة ، قال الحافظ ابن كثير : « الأحاديث الاسرائيلية نذكر للاستشهاد للاعتقاد ، وهي على ثلاثة أقسام : **أحدها** : ما علمنا صحته مما في أدينا مما يشهد له بالصديق فذاك صحيح . **والثاني** : ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه . **والثالث** : ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ، فلا نؤمن به ولا نكذبه ، وتجاوز حكايته لما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله : « حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج » وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود الى أمر ديني . ومن أمثلة حديثهم أي الاسرائيليين عن اسماء أهل الكهف ، ولون كلبهم ، وعصا موسى من أي الشجر كانت ، واسماء الطيور التي أحيها الله لأبراهيم عليه السلام وتعيين البعض الذي ضرب به القتلين من أجزاء البقرة ، وغير ذلك مما ابهمه الله تبارك وتعالى في القرآن مما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دينهم ولا في دنياهم ، ولكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز كما قال تعالى : « سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ، ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم ، قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل ، فلا تمارى فيهم إلا مرأ ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا » ، فقد أشتلت الآية السكرية على الأدب في هذا المقام ، وتعليم ما ينبغي في مثل هذا ، فانه تعالى حكى عنهم ثلاثة أقوال ، ضعف القولين الأوليين وسكت عن الثالث فدل على صحته ، اذ لو كان باطلا لرد كما ردها ، ثم أرشد سبحانه وتعالى الى أن الاطلاع على عدتهم لا طائل تحته فقال في مثل هذا « قل ربي أعلم بعدتهم » فانه ما يعلم ذلك إلا القليل من الناس ممن أطلعهم الله عليه فلهذا قال : « فلا تمارى فيهم إلا مرأ ظاهرا » أي لا تجهد نفسك فيها لا فائدة ترتجى من معرفته ولا تسألهم عن ذلك ، فانهم لا يعلمون من ذلك إلا رجم الغيب .. والله تعالى أعلم » .

وهكذا نجد عذرا واضحا للمفسرين والشرح في ايراد الاسرائيليات ، وان كان البعض قد بالغ في الاستطراد ، فأتى بما فيه نظر من اقوالهم ، ومن

اكثروا في هذا المنام (الخازن) وقد قال في شأنه الشيخ الزرقاني رحمه الله : « .. وله ولوع بالتوسع في الروايات والقصص ومن مزياه انه يتبع القصة ببيان ما فيها من باطل حتى لا يخذع بها غر ولا يفتن جاهل » وهذه ولا شك شفتنة المحققين من الدارسين الباحثين .. رحمهم الله جميعا .

ب - كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخول أصحابه بالموعظة ، ويتمهدهم بالنصح والتوجيه لكل ما من شأنه أن يثبت عقيدتهم ويزيد إيمانهم ، ويؤلف بينهم ويجمعهم معتمدين بحبل الله باذلين الروح والمال في سبيل الله وما يعلم من شأن دينهم الذي هو سبيل الحياة الحرة الكريمة في الدنيا وطريق السعادة الأبدية ونيل الدرجات العلا في الآخرة ، ولما كان للقصص أثره في جذب الانتباه ، والحمل على التأسي بإبطال القصة ، ومحاولة التشبه بمن عمل صالحا فنال خيرا ما عند الله ، ومجانبة فعال من تنكب الطريق السوي فضل وغوى ، من أجل هذا كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يورد الحديث عن أحوال الأمم الماضية كما علمه ربه ، ومن أجل ذلك أيضا وغيره مما تعود جدواه على السامعين جاء القصص بالقرآن الكريم « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك » .

كما أن تحديثه صلى الله عليه وسلم عن مضوا ، ولم يواكبهم ، ولم يطلع على أحوالهم ، فيه دلالة قاطعة على أن ذلك مما علمه الله تعالى : « تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا » الآية .. وكما قال جل شأنه لنبيه بعد إيراد قصة مريم وما كان من أمرها قيل ولادة عيسى عليه السلام : « ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون » .. وقد كان الحديث الشريف موضع الدراسة من هذا القبيل ، قبيل التحديث عن الأمم السابقة ، وهو ثمرة مجلس من مجالس سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تصدرها معلما وهاديا ومرشدا ونذيرا ..

وبعد ،

مقد ورد هذا الكلم الطيب في صحيح الإمام البخاري تحت عنوان (حديث الغار) يروي أخبار ثلاثة نفر من بني إسرائيل لجأوا إلى غار في جبل فرارا من الأمطار والأنواء ، فسدت عليهم بابه صخرة تدرجت بفعل السيول الجارسة من عل ، ولم يستطيعوا لها دفعا ولم يكن لهم سبيل للخروج من هذا المأزق إلا أن تداركهم رحمة الله القوى القادر أو يهلكوا فآلهم الله أن يتذكروا فيها بينهم ما ينفع في موقفهم هذا عسى الكرب الذي أمسوا فيه يكون من ورائه فرج قريب ، والمؤمن يفرع إلى جنب ربه كلما الت به نازلة لا يقوى على دفعها ومن ذا الذي يجيب المضطر إذا دعاه إلا رب العالمين : « أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض إله مع الله قليلا ما تذكرون » وهكذا تداعى الثلاثة نفر يتقرب كل منهم بأفضل ما عمل مما يدينهم من رحمة الله وينتجهم لطفه وعونه ، ورحمة الله دائما قريب من المحسنين ، وصديق العلى الكبير : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا » . وقد كان هؤلاء الثلاثة من المؤمنين الذين يراقبون الله في السر والعلن ، ويعبدونه كأنهم يرونه رأى العين ، وهذا مقسم الإحسان الذي لا يصل إليه إلا عباد الله المخلصين ، ويبدو هذا واضحا في قولهم بقلوب خاشعة : « انه والله يا هؤلاء

لا ينجيكم الا الصدق فليدع كل رجل منكم بما يعلم انه صدق فيه « اى ما عمله خالصا لوجه الله تعالى لم يرج له جزاء عاجلا فى الدنيا ، ولم يسمع (بضم اوله وتشديد الميم المكسورة) به لينال الزلفى عند الناس ، وهذا — ولا شك — افضل العمل واكثره تحمضا لله تعالى ..

اما اولهم : فقد استأجر جماعة يعملون له عملا كل واحد منهم باجر معلوم ، ولامر ما لم يتسلم أحدهم أجره ، حين حصل نظراؤه على أجورهم ، وما كان على صاحب العمل الا أن يحفظ له حقه المقدر بينهما ، حتى اذا عاد يوما اعطاه اياه ، ولا يلزمه أن يزيد شيئا ، الا أن الرجل غلبته تقواه ، فبنى المال بالطريقة التى ارتأها حتى صار شيئا عظيما أدهش الاجير حين عاد يطلب حقه ولا زيادة لأن ما فعله صاحبه مما لم يعهد القيام بمثله ، وتصارى ما كان يرجوه أن لا يماطله أو ينكر حقه ، وهكذا تبدو آثار تقوى الله وخشيته فتأتى بالمعجب العجيب الذى يفوق ما تعارف عليه الناس ، ويمضى شوطا بعيدا فى الكمال الذى تواطأوا عليه فى أعرانهم ومعاملاتهم ، ولصدور ذلك تحت مراقبة الله وحده وطاعة نقية من شوائب الرياء ، كان جزاؤه من الله تعالى قيسوم السموات والارض لفاعله فى ساعة العسرة ، فانزاحت الصخرة عن مدخل الغار قليلا وبدأ الهواء الرطب النقي يلج الى صدور المؤمنين فينعشها ويبعث الأمل قويا — فى لطف الله بهم — الى نفوسهم فى ساعة حالكة السواد تحت وطأة خطب جسيم وداهية دهياء ، انقطع فيها هؤلاء الثلاثة عن الباغم والناطق ، وهم موقنون أن لا ملجأ من الله الا اليه .

واما الثاني : فقد أكرم والديه الفاتنين العاجزين عن العمل والحركة التى تحصل القوت ، وهذا واجبه الشرعى ، ولكنه تجاوز أصول الواجب الى أبعد من المطلوب فيه ، فقد كان عليه فى افضل حالاته أن يترك شيئا من اللبن الى جوارهما يشربانه حتى استيقظا ، ويموج بالباقي على أهله وصغارهم الذين يفضاؤون جوعا ويتحرقون شوقا الى ما يمسك ذمأهم ويبقى على شفاطهم ، ولكن الابيان الصغار وبحقوق الوالدين ، والعزوف عن المواطف النفسية المتجمل فى اطعام الصغار الى انتظار جزاء من الله أكبر ورضوان منه أعظم ، فقد أنساه حب الخير لوالديه وأخلاصه لربه حالة أبنائه ، فلذات كبده ، وتكلف الانتظار ليلة كاملة حتى مطلع الفجر ليطعم الوالدان ولو نأى الرقاد عن الرضغ وأمهما ، وهذا عمل لا يستطيعه الا القلة النادرة من الاتقياء الذين أسلموا وجوههم الى الله وهم محسنون فاستنسكوا بالعروة الوثقى التى لا انفصام لها ، وكان من عاقبة أمر هذا المؤمن أن قبل الله ما قدم ، فانفجرت الصخرة حتى رأى هو وصحبه نجوم السماء نازدادوا ايمانا بمكوكيها والحاحا فى طلب توفيقه لهم الى طريق الخلاص ، وما ذلك على الله بعزيز .

ويجىء دور الثالث : وما أدراك ما دوره ، أنه دور نذ فى عالم العراك بين الغرائز والشهوات من جانب ، والتقوى من جانب آخر ، تندحر فيه الإمارة بالنسوة أمام جلال الايمان وتلاشى فى لهيب النفس المطمئنة كما يميل الجليد قطراته فى هيج ذكاء ، فقد انتصر هذا الرجل على الحيوانية الكامنة فى هيولاه ، وأزاحها من طريقه ، فالزم نفسه هداها ، وقهر قرين النسوة شيطانه وردده خائسا رجيبا ، هذا ، مع أن المرأة قد شغفته حبا ، وحمله وله على جمع المال مع عزته ليصل به الى ما يريده منها ، أما وقد تهيأ له كل شيء حين نزلت بالمرأة سنة أنت على أخضرها ويابسها ، ونذتها وفلذات كبدها بالعراء وهى سقيمة ، وتركها فريسة سهلة ولقمة سائغة لذئاب البشر — كما ورد فى رواية أخرى — وقد كلنت هذه المرأة على جانب من خوف الله تعالى ، وعلى

صلة وثيقة تربط قلبها بقيوم السموات والارض ، فقد قالت لطالبها المفتون بالغانية الهباء ، وقد جلس منها مجلس العهر والمجون تحت سطوة الجوع وقهر الحرمان بما يقيم الأود ويبقى على الحياة ، حياتها وحياة صغارها : « أذكرك الله أن ترتكب منى ما حرم الله عليك . » وهنا يستيقظ الاحساس الكريم فى ذلك الانسان فيجيبها : « أنا أحق من يخاف ربى » . وفى رواية : انها بكت فقال : ما يبكيك ؟ فأجابت : أقدمنى على السوء حاجتى الى الطعام . فقال لها : لا عليك أنطلقى بما مملك ، وفى ثالثة : انه هو قال : تذكرت النار فقتبت من مجلسها . وتلك صور تبرز نور نفس من يخشى الله واليوم الآخر ، فأين هذا — يا قوم — من شيطان يعتدى على الأطفال والقاصرات ارضاء لنزوة حيوانية عابرة ، ذلك لعمر الحق هو الفجور الكالغ البعيد عن كل دين ، المجافى لكل المروءات المعادى للانسانية الفاضلة وما هو الا عماية وضلال ونزق لا علاج له الا إقامة حدود الله ، وأما صاحب القصة فقد ترك الميسور من الفجور الذى دان له وأصبح فى استطاعته معاقبته دون عزول ، مع الحاج الحيوانية ، وطيب المرعى ، وفتنة الجمال ، وقتل العيسون النجل والغصن الرطيب ، وليس ذلك وحسب ، وانما أهداها ما أعطاها من المال حسبة لوجه الله تعالى ، منتظرا الجزاء الاوفى هناك ، فى رحاب العلى الكبير ، يوم لا تغنى نفس عن نفس شيئا والامر يومئذ لله الواحد القهار سبحانه ربى مالك يوم الدين ، واستحق هذا المؤمن عون الله تعالى ، فبعدت الصخرة بقدره الله وحده عن مدخل الغار ، وهنا تنفس القوم الصعداء ، وعادوا للحياة بعد أن كادوا يفتقدون الأمل فى الحياة ، لولا عون الله وفضله سبحانه ربى انه على كل شىء قدير . . .

والخلاصة :

أن الاعتبارات التى يجب أن يقف عندها دارس هذا الحديث الشريف :
 ١ — ظهور ثيرة الطاعة ، ووضوح فائدة اخلاص العمل لوجه الله تعالى ، وبيان نتيجة التفاتى فى ارضائه سبحانه ووجوب التقرب اليه بكل عمل صالح ممكن ، وأن هذه الاستجابة الالهية لمعباده الضارعين الى جنبه باخلاص تحصل على المسارعة فى الخيرات ، وفى حديث قدسى ورد ما خلاصته :
 . . وما يزال عبدي يتقرب الى بالنوافل حتى أكون سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ، ومعنى هذا أجابة الدامى لحظة دعائه ، وقبول رجائه لمور رجائه .

٢ — طلب الدعاء اذا ادلهمت الخطوب ، وعصفت الكروب ، ومما يؤخذ بعين الاعتبار ، التقرب الى الله تعالى بذكر ما قدم المؤمن من صالح الاعمال ، واستنجاز الله سبحانه وعده الذى تشير اليه الآية الكريمة : « وقال ربكم ادعوني استجب لكم » وقوله جل وعلا : « واذا سألك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداعى اذا دمان » الآية .

٣ — إبراز ما حكاه الذين تناولوا الحديث الشريف بالشرح والتفسير من قول بعضهم :

« . . ظهر لى أن الضرورة تلجئ الى تعجيل جزاء بعض الاعمال فى الدنيا ، وأن ما ورد فى الحديث الشريف يدل على أن الثلاثة نفر أبطال القصة لم يروا لاعمالهم قيمة فى جانب نعم الله تعالى عليهم ، ولهذا فوضوا امرهم اليه سبحانه حين قال كل منهم : « اللهم ان كنت تعلم انى فعلت ذلك من خشيتك » . الخ . فهو يرشد الى انهم لم يعتقدوا فى أعمالهم التمحض لوجه الله تعالى ، بل فوضوا يقين ذلك الى الله تعالى وحده ، وهذا ينتهى التسليم

والالتجاء الى قيوم السموات والارض » . ثم انظر وتأمل أدب هؤلاء الثلاثة مع الله تعالى ، حيث قالوا : ادعوا الله بصالح أعمالكم فى اول الامر ، ليتذكروا خير ما عملوا مما اصطلح عليه المؤمنون ، وما يبدو أنه امتثال لمراد الله تعالى ، ولما بداوا فى الدعاء لم يقولوا ندعوك بما عملنا ، وانما قالوا : ان كنت يا مولانا تعلم أنه ميل ابتغاء مرضاتك ..

{ - اذا قيل : هل فى أعمال هؤلاء الثلاثة تفاضل ؟! كان الجواب : ان مكرم والديه والبار بهما اقتصر عمله على نفعه هو ، وان أمتد فليس بعيدا عنه اذ هما أبواه ويرهما مفروض عليه بالأصلين الشريفين والتقصير فى حقهما مدعاة اللوم الاجتماعى فضلا عن العقوبة الالهية ، والمبالغة فى اكرامهما واجب ودين يؤديه لبتقاضاه ، وصاحب الأجير : تعدى بزه نفسه الى غيره وأبرز خللا لو تمت فى مجتمع الأسعدته وكانت عامل ازدهار له ونمو ، ومن تلك الخلل الآفات ووضع غيره موضع نفسه بتثنية مال الأجير وقد يكون فى هذا الفعل شبهة الرياء ومتافقة المجتمع ..

وأما ثالثهم : فقد زاد مضله ، وكان عمله أدل على التجرد من هوى النفس الامارة بالسوء وقهر الغريزة الجامحة مع تهيؤ فرصة الواقعة ، فى موقف كثيرا ما يتوارى فيه العقل نهائيا وتكهر سماء الحياء والمروءة تحت الحاح التسوة الحيوانية المستعرة فى كيان الرجل ، فلولا ان خشية الله حين ذكر « بالبناء للمجهول مع تشديد الكاف » او حين تذكر تشمت كل شعور مادي وأحلت الزهبة من جلال الله وسلطانه ، لما ارعوى ولما كبح جماحه ، ولدقة الموقف فى مثل تلك الحالة التى يخلو فيها الانسان من رقيق ، وردت بعض الآيات الكريمة شاهدة لمن كان هذا حاله بأنه جدير بدخول الجنة قال تعالى : « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى » . قال السكلى : « نزلت فى من هم بمعصية وقدر عليها فى خلوة ثم تركها من خوف الله » . ونحوه عن ابن عباس رضى الله عنهما : « يعنى من خاف عند المعصية مقامه بين يدي الله فأنتهى عنها » ناهيك بأن هذا الرجل ترك المال ايضا فى سسنة عفاء . ولابنة عمه أسرته ومالكة لبه ، فلكل هذا يبدو واضحا ان عمل صاحب المرأة كان أكثر نفعا واجدى على المجتمع الذى يضمه ويحتويه - والله أعلم - ولكل عند الله ثواب ، لا ينقص من ثواب الآخرين شيئا .

ه - ونقول أخيرا : هذا الحديث الشريف يلزم بطساعة الله وإخلاص الأعمال له وحده ، ولئن طلب هذا اسسلاميا وعقليا فى كل زمان ومكان فما أحوجا الى هوى ظروفا الراهة التى تكالبت فيها الأمم على المسلمين ، وغلفت عليهم المناقض فكانهم محصورون فى غار النفر الثلاثة لا يجدون مخرجا ، فلا خلاص لهم الا باللجوء الى الله بالعمل الصالح الذى يتدارسون من خلاله اوضاعهم ليصلحوا من أحوالهم المتردية ويسايروا ركب الحياة محتمدين على الله وحده ، فقد طال مسباتهم ، ثم فتحوا عيونهم على وحش فاجر ماه به ابتلاهم او صمصام مصلت على رقابهم ، او سهم مسدد الى نحورهم ، او قنا وقنابل مؤذنة بخراب الديار ، وتركها قفراء بلقع ، ومع كل هذا ، فاليأس غير وارد لدى المسلمين لأنه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ، ومن أمان محمدا الوحيد فى صحراء ، الفقير بين أغنياء ، المجرى من العدة ومن حوله ينوشه الأتواء ، وأمه بالحوول والقوة رغم اللبالي الحوالك ، هو هو رب العالمين جل جلاله لا تأخذه سنة ولا نوم ولا يؤدوه قلب ميزان القوى ، فوقه فوق كل قوة ، وهو ينصر المتقين العاملين ما داموا على شريعة رسله ، وسنن قرآنه ، مخلصين أعمالهم له . متجهين اليه بأسباب الدنيا والآخرة .

مظاهر وأسباب تخلف

يتحرق المسلم المعاصر ويذوب كمدا واسى اذا حقق بفتائره فى واقع
مقه ، فيجدها فى واقع حضارى ادنى من غيرها ، ويجد بلاد الاسلام نهية
للفاسيين ومريسة للذئاب ومخبئة للمسلمين أنفسهم ، فتقلى مراحل الثورة
فى جنبه ، ويكرر النظرة إثر النظرة ليشخص فى تقديره الداء ، ويصف الدواء ،
ويكاد يحصر اخطر اسباب تخلف الشرق العربى مثلا فى ان إكثنيات دول العرب
أو الاسلام لا تتجه فى خط واحد وهدف واحد ، ولو لسنوات معدودات ، وذلك
الهدف هو التخلص من وجود العدو الصهيونى وتقليم اظفار صاعقيه ومناصريه
فى الغرب والشرق ، حتى ينهيا المناخ الملائم لتغيير بيئة الاستقرار والأمن
الضرورى لإقامة صروح الحضارة الاسلامية العتيدة بوحى من مبادئها .
وفى نظرة افقية أوسع لا تقتصر على دنيا العرب نرى ان العالم الاسلامى
فى المشرق والمغرب من طنجة الى جاكارتا ، ومن عدن الى كراشى فى وضع
متخلف دينيا ودنيويا ، ماديا ومعنويا ، فليست أخلاقنا مما ترضى ، ولا تدبينا فى
ميزان الاسلام الأول مما يسر ، ولا اقتصادنا مما يربح ويطمئن ، ولا تقدمنا أو
وضعنا العسكرى والصناعى والزراعى والسياسى مما يجدى .
أما الأخلاق والقيم والفضائل ففائدة القداسة ولم يعد لها الاحترام
المطلوب ، وأصبح معيار الحياة هو المادة والمصلحة والمال والربح ، والترف

العالم الإسلامي

للدكتور وهبه الزحيلي

والمجون ، واللهو والمعبث ، والإثم الباطن والظاهر ، وتشكك الناس في فائدة القيم الخلقية ، فمشاع بينهم الكذب والخداع ، والفش والنفاق ، والمداهنسة والرياء ، والخيانة والجشع ، أو الطمع وثلة الورع ، والقسوة والبطش ، أو عدم الرحمة واللين ، وفقدان المحبة والتعاون ، وذهاب الإخاء ، وانعدام السماحة والبساطة واليسر ، والجبن والبخل أو الشح ، ونقض العهود وعدم الوفاء بالوعود والعقود والتحلل من الالتزامات ، وضعف الثقة ، ونظرة التشاؤم ، ونحو ذلك من أمراض الأخلاق الاجتماعية ، ومن أخصها أمراض الجنس وتناول المسكرات وتعاطي المخدرات .

وأما الدين فمشوه الحقيقة والصورة ، أو عديم الأثر في الحياة الخاصة والعامة عند الأكثرين ، وذلك بسبب الاعتناء بالمظاهر الدينية وترك الجوهر والروح ، وعدم السيطرة الفعالة على القلوب والسلوك والمعاملات ، واختلاطه بالضلالات والبعد والانحرافات ، أو التناقضات والخيالات ، وحجبه عن النفوذ إلى مسرح الحياة ، والاستخفاف بأهله وأنصاره والدعاة إليه من قبل الكتاب الماجورين وبعض الصحفيين المارقين والمعلمين الضالين ، أو المربين المتقنين بثقافة الغرب المحضة ، المنكرين لتراث أمتهم وأخلاقهم وحضارتهم . مع أن الإسلام بالذات دين الخير والعقل والمجد والعزة والكرامة ، والهداية والنور والحضارة ، وثبات المبادئ الأصلية التي لا تهان الأعراف الفاسدة ، أو النظم

الظلمة ، التي لا يمكن للمسلم الواعي إياحتها تحت عنوان المرونة أو التطور أو الضرورات المشكوك في وجودها : « يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ، ويخرجهم من الظلمات الى النور بإفنه ، ويهديهم الى صراط مستقيم » .
وإما اقتصادنا فقير عاجز أو بدائي متخلف ، أو مضطرب متعثر ، وبالرغم مما نجده من أرقام ضخمة في ميزانيات الدول الإسلامية أو العربية ، وبالرغم من توفر خبراء الاقتصاد والتخطيط والمهندسين الزراعيين والجيولوجيين ونحوهم من المختصين في مختلف العلوم التطبيقية الحديثة ، بالرغم من كل ذلك لا يزال ميزاننا الاقتصادي في عجز متكرر ، ونقدنا في هبوط ، وديوننا في تزايد ، وعمالنا في فقر وبطالة وحرمان ، وزراعتنا في تأخر لعدم الأخذ بأساليب الزراعة الحديثة المتطورة ، ومصانعنا في غير المستوى المطلوب عالميا ومحليا ، مع وجود جيوب وخطايا وزوايا أخرى تنبئ بالبذخ والإسراف والترف والجور .
وإما جامعاتنا ومدارسنا فهي في الغالب لتخريج آلاف الموظفين الذين يبحثون في نهاية المطاف عن لقمة العيش ، ثم ينقطعون عن مواصلة البحث العلمي والإنجاز الفكري . ولم يعد خافيا أن بعض هذه الجامعات تدرس في الحقيقة تاريخ العلوم التطبيقية ، وليس العلم المتطور الذي بنى برج التقدم الحالي .

وإما إمدادنا العسكري فما يزال ناقص التجهيز ، رهين الاستيراد ، فاقد الأساس الذاتي والتصنيع المحلي للآليات الثقيلة ووسائل القتال الجديدة التي تلعب دورا فعالا وحاسما في الحروب الحديثة كما هو معروف . وكذلك التدريب العسكري فيما نلاحظ ليس على المستوى المطلوب المكافئ لتدريبات العدو ..

وإما سياستنا وأوضاع الحكم فمرتجلة غير ثابتة ولا أصيلة ولا مخططة لها ، ويفلب عليها الاستبداد السياسي والقموض ، وعدم الاستقرار ، واضطراب الموازين ، وضعف الخطط ، وتغير السلطات السريع ، وإبعاد الكفاء ، واتباع الرغبات أو الأهواء .

وإما وضعنا الدولي العام فمجزا السلطة ، مفرق الكلمة ، مشتمت الهدف ، مجزق الصف ، ففي العالم الإسلامي عشرات الحكومات والدول دون أن تجمع بينها رابطة قوية ، أو أنظمة موحدة ، أو ثقافة مشتركة ، أو تعاون جماعي بنسب ، أو هدف رئيسي عام ، أو معاهدات دفاعية منفذة فعلا عند الاقتضاء لدفع الأخطار المشتركة ومحاربة العدو الواحد . ومن المؤسف أنه إذا دعى لتحالف معين اتهم الداعي بالتواطؤ مع الاستعمار أو الرجعية ، وثار الشكوك حوله ، وحورب حربا لا هوادة فيها . وهكذا يوصم المخلص الفيور أحيانا بالرجعية ، ويكتم دعاة الإلحاد والتجزئة بالقلب التحرر والتقدمية ، ونحو ذلك من قلب المفاهيم ، وتعقيم الصور ، وطمس معالم الحقيقة .

هذه هي بعض الأضواء العامة على مظاهر تخلف المسلمين ، أما أسبابها فكثيرة .

فمن المعروف لدى مقارنة الحضارات أن أزمة الحضارة الغربية تكمن في ماديتها الخالصة ، أعنى أن فلسفتها وعلومها وأخلاقيها واقتصادها واجتماعها وسياستها وقانونها تدور في فلك المادة ، وتنكر للفترة الإنسانية ، ووجود خالق غير المادة (أي الإلحاد) ، فاصبحت العلوم التجريبية آلة لتدمير الإنسان ،

وانصهرت الأخلاق في التفعية المحضة والخلاعة والمجون والرياء والسطحية ، وصار المنهج الاقتصادي عديم الإنسانية ، واسطة الاستبداد والظلم ، وأفسدت السياسة بمفاسد القومية الضيقة والوطنية الضيقة ، والتمييز العنصري ، وعبادة القوة وتاليه أصحابها .

هذا بالنسبة للغرب ، أما مرض الأمة الإسلامية وأسباب انحطاطها فهي تختلف عن مرض الآخرين وأسباب المرض ، وترجع في جلتها إلى إهمال شرعة الله وهداية الإسلام الكثيفة بتحقيق المعنى الحضاري السليم أو الثورة الصحيحة : وهو تقدم العلاقات الإنسانية ، أو إقامة الحضارة على أساس إنساني ، ويمكن حصر أسباب تخلف المسلمين في النواحي الاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية والثقافية والسياسية .

١) أسباب التخلف الاجتماعية : تهمل الجماعة واجبها الأساسي في الإسلام : وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتتجهج منهج اللامبالاة وتقاذف المسؤولية من أسباب التردى ، والقرار بين تحمل العبء الواجب في الإرشاد إلى الخير والصالح ، والترهيب من الشر والفساد والظلم والمعيان : « وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون » « فكلنا أخذنا بذنبه .. وما كان الله ليظلمهم ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » « لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون » .

وترك الناس جهاد العدو المادي ، أي قتاله فعلا ، الذي هو في الأصل من مروض الكفاية على الجماعة المستسلمة ، كما تركوا الجهاد في وجه من استهان بأحكام الإسلام وعقائده ومروضة وآدابه وأخلاقه في داخل الأمة . واهملوا أيضا جهادا من نوع أو أفق آخر يمتد لمعرفة مكانة العدو واستعداداته وطاقاته ومبادئه ومخططاته وألوان خداعه ، والاعتبار بالماضي القريب والبعيد ، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « إنما ينقض الإسلام عروة عروة من نشأ في الإسلام ، ولم يعرف الجاهلية » ، وقال أيضا : « عرفت الشر لا للشر ، لكن لتوقيه ، ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيسه » « لست بالخب ولا الخب يخذلني » . وهذه معان قرآنية سبق الكتاب العزيز للإشارة إليها في مبدأ الحذر في قوله تعالى : « وخذوا حذركم » « ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمعتكم ، فيميلون عليكم ميلا واحدة » .

ومما ساعد على إهمال المجتمع سوء فهم عقيدة القضاء والقدر ، ظنا بأن القدر يقع مجردا من أسبابه ، فتوانى الناس واهملوا وتواكلوا ، ونسبوا ظلما إلى القدر ما ليس فيه ، ورددوا كلمات تدل على أن الكائن كائن لا محالة ، وأن الإنسان مسير مجبر . وليس كل ذلك صوابا ، إذ القدر عبارة عن تعلق إرادة الله تعالى بالشئ عند وجود سببه الذي يقتضيه ، سواء من قريب أو بعيد . فنقص المحصول الزراعي مثلا ناشئ من إهمال الزارع . وتسبب تسلط العدو واحتلال أراضينا ناتج من ترك الجهاد والإعداد اللازم للمعركة ، وضعف الهمة وفئور العزيمة ، وعدم الحمية والفيرة ، وجمود الفكرة ، والخوف والوهم ، وإهمال الإرادة والتنظيم ، وإفراغ القلوب من محتوى القداسة ، وعدم تقدير المعنى الجماعي ، وإلقاء بديل فارغ فيها لا يصلح كائنا على التضحية بالنفس في سبيل الأمة أو الجماعة . ومع ذلك ظن هؤلاء الجنود وغيرهم أن النصر يكون في جانبهم ، لأنهم مسلمون ، أو أصحاب الحق الشرعي ، والنصر قد يحصل للكافر أو المعتدي لحكمة معينة مرجعها في النهاية أعمال المسلمين

وتقصيرهم ، أو البعد عن مقومات المجتمع الاسلامى الصحيح .
وخيم على الناس ظلال كثيفة من الفموض والجهل بسبب الضسلالات
والبدع ، واختلاط المفاهيم ، والثقافات الواردة ، والتأثر بالخرافات والباطل ،
والنظرات السطحية نحو الاسلام وفاعليته الحركية الدافعة الى حياة مترعة
بالبطولات والامجاد . ومن هنا لم يعد غريباً توالى الهزائم وعموم البلىا
والمصائب على الجماعة : « وانتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » .
ب) أسباب التخلف الاخلاقية : إن من أخطر آفات التخلف ، وأكبر عوامل
التقهقر فساد أخلاق الأمة الاسلامية ، ووقوعها فى هاوية الفساد والانحلال
الخلقى ، وذلك لأن غاية الاسلام فى الحقيقة إقامة المجتمع الفاضل من وراء
كل قصد فى الإصلاح والرفى . وعليه اذا شاع بين الناس حب الانحراف ودب
إليهم داء الحسد والبغضاء ، وشغل المرء بأهوائه وشهواته ، وقتل الحياء ،
وأرتهى الناس فى أحضان الرذيلة من رقص وخلاعة ومجون ، وتساهلوا فى
أخطر الأمور وهو اختلاط الجنسين فى المسابح وشواطئ البحار ، والترويج
لأدب الجنس الخليع - اذا شاع - أدى ذلك كله الى ضياع مجد الأمة ،
وتعطيل مصالحها ، وتخريب ديارها ، وفساد أمورها ، وانهايار نهضتها ، كما
حصل بالنسبة للفرس والرومان وغيرهم فى أعقاب تسخخ شعوبهم .
ومن مكرور القول أن الفضائل والأخلاق سبيل النهضة والعمران ، وطريق
التحضر والرفى والتمدن ، وكلما ارتقت الأخلاق تحققت التقدم ، وتم الازدهار
والنمو والكمال . وقد حصر الرسول صلى الله عليه وسلم الهدف من بعثته فى
قوله : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » « الخلق وعاء الدين » .
ج) أسباب التخلف الاقتصادية : إن قوة الأمة ورفتها بقوة اقتصادها
وغنى أفرادها ، وإن ضعفها وتخلفها بضعف اقتصادها وفقر أبنائها ، وذلك
لأن الغلبة على العدو وإقامة برج الحضارة تعتمد أساساً فعلياً على العناصر
المادية ، فإذا افتقدت أصيبت الأمة بالشلل ، وعجزت عن التقدم ، وشاعت فيها
عيوب كثيرة كالخمول ، والبطالة ، والركود الفكرى والعلمى ، والمرض والقلق
والجهل ، واضطراب الأسر والمصالح العامة والخاصة .
وإذا توفر المال اللازم كما فى بعض دول الاسلام ، وجب بداهة إحسان
استثماره وتوجيهه نحو أهداف الأمة ومطالبها الحيوية الحساسة التى تهيبه
مركز القوة والعزة والسيادة وأرهاب العدو . وإذا ساء استخدام المال أو
تجميده ، ظل الاقتصاد فى تخلف ولا شك بأن اقتصاد العالم الإسلامى فى حالة
مرضية متخلفة ، بسبب تخلف الزراعة والصناعة وبطء الحركة التجارية .
ويجدر ألا ننسى دور الاستعمار واتفاق قوى العالم الكبرى على ابقائنا
متخلفين اقتصادياً ، ووضع العراقيل أمام تفوقنا أو نهضتنا الاقتصادية ، بتضخيم
المشاكل الخاصة ، والتشكيك فى جدوى المشاريع الكبرى أو الحساسة ، وضعف
الموارد والإمكانيات الذاتية ، وذلك بقصد تأمين مصالح دول الشر ، وتوفير
الأسواق لتصريف منتجاتها ، وبقاء نفوذها وسلطانها السياسية الكبرى ، ورفع
مستوى الغرب وتقديم صناعته على حساب الشرق والدول النامية فى آسيا
وأفريقيا ، والحفاظ على تدفق شرايين موارده المستخرة لدعم مصانع ومصالح
الغربيين .

والحقيقة أن تقوية اقتصادنا لا تحتاج إلا الى شئ من التصميم والفكر
والإرادة وشحذ العزيمة والثقة بالنفس والجرأة ، ودفن كل منافذ اليأس والقنوط

والتخوف والهلع المصاحبة للتناق والعجز : « في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ، ولهم عذاب اليم » « ولا تياسوا من روح الله ، إنه لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون » .

د) اسباب التخلف الثقافي : العلم والاحتراد والتربية سبيل النهضة الكبرى . ولقد أدى الى تخلف المسلمين بدءا من القرن التاسع الهجري انحطاط فكرى وعلمى عام ، فلم يعد هناك تجديد وابتكار ، سواء في العلوم الدينية والادبية والاجتماعية ، أم في العلوم الطبيعية والتجريبية والكونية المفيدة . ومهما افتخرنا بأثار علماء الأندلس وحكام الشرق وبن المسلمين هم اول من أدخل التجربة في ميدان العلوم ، فإنه كما وكيفا وإتقانا وتجديدا يتضائل أمام الإنتاج الغربي الضخم في أوروبا خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر . ولعل إهمال باب الاجتهاد والتزام التقليد والاعتداد على جهد العلماء السابقين في نطاق العلوم الشرعية وغيرها ، أو الانتعاش في ظل العاطفة الإسلامية البحتة ، كان من أهم أسباب ركود الروح العلمية ، وجمود الفكر ، وفقر الإبداع ، وإخلاق الناس الى الراحة . وكان لزما على علماء العصور الأخيرة أن يتنبهوا الى ما حاق بهم من عزلة عن العالم ، وأن يتفهموا مبادئ الحضارة الحديثة ، ويسارعوا الى بلاد الغرب لتعلم علوم النهضة الحديثة ، والاهتمام بالاكتشافات العلمية ، والاستفادة من المناهج العلمية التي أدت الى رقي الغربيين ، ونقلها الى نطاق التعليم والحياة المدنية عند المسلمين ، وتهئية دول الاسلام مجالات وإمكانات الاستفادة من هاتيك العلوم وتطويرها ومتابعة أبحاثها في التطبيق والابتكار .

وفي العصر الحاضر فشل دعاة الحضارة الإسلامية لالتزام مبادئها وخصائصها بسبب فقدان الإدراك الدقيق الشامل لأسس هذه الحضارة ، وكيفية تفاعلها مع الحياة الحديثة ، وعدم معرفة مدى الاستفادة منها إزاء الحضارة الجديدة . هذا فضلا عن الخلافات المتكررة بين الدعاة أنفسهم ، وانعدام روح التنسيق وتحقيق الانسجام بين أعمالهم ، واهتمامهم بالجزئيات والخلافات البسيطة ، وترك القضايا الكلية أو المبادئ العامة التي تبه اليها القرآن الكريم والسنة المطهرة في مجال العلم والعمل والاستفادة من طاقات الأرض وخيراتها ، والاهتداء بذخائر الكون ونعمه التي لا تحصى لاسيما في بلادنا ، مثل قوله تعالى : « هو الذي خلق لكم ما في الأرض جيبا » « إن في خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار آيات لاولى الألباب » ، وذلك من أجل استخدام هذه المبادئ في معالجة أوضاع العصر المتبدلة ، ومواجهة غزو الأفكار الغربية واندفاع سيل الحضارة الجديدة . ويظل لما أقول : أن في بلادنا غنى وثروة كبرى ، معدنية ونفطية ، وإن السعودية مثلا بالنسبة لما فيها من ثروة معدنية هائلة تعد أغنى بلاد العالم كما أكد الخبراء المختصون .

هـ) اسباب التخلف السياسية : لقد أصبح للدولة ذلك العملاق الرهيب في العصر الحديث أهمية بالغة ودور عميق وكبير في حياة الشعوب ، إذ أن الدولة الحديثة انتزعت كثيرا من أوجه نشاط الأفراد ، واستأثرت بكل مظاهر القيادة والتوجيه ، فأصبحت هي المسئولة بالدرجة الأولى عن تحضر شعبها وبلدها : « من يزع بالسلطان أكثر ممن يزع القرآن » أي من يردعهم الحاكم أو يحملهم على العمل والكفاح أكثر ممن يردعهم القرآن أو يبعثهم على العمل الصالح .

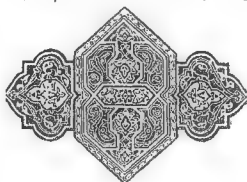
ومن هنا وجدت اسباب سياسية لتخلف البلاد الاسلامية ، من أهمها :
 الاستبداد السياسى ، وفقر القيادة الفاجحة ، وفصل الدين عن السياسة
 والحياة والعلم ، وتجزئة الكيان الاسلامى بسبب الاستعمار وأعوانه وأذاليه .
 أما الاستبداد السياسى الذى لا يلتقى مع الاسلام فى شىء ، فوَقَعَتْ فيه
 الشعوب المسلمة منذ أمد طويل بعد الخلافة الراشدية ، وظلت تعانى منه
 وترسف فى قيوده الى اليوم ، وبرز فى أسوأ مظاهره عند كثير من حكام
 المسلمين الذين كمهوا الأمواه وكتبوا الحريات وحكموا دكتاتوريا .

وأما فقر القيادة فمن المعروف أن العالم الاسلامى لم يرزق بعد وفاة
 القائد صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٩ هـ - ١١٩٣ م بقائد مخلص مذكر قدير مثله
 ليوحد المسلمين ، ويحرر بلاد الاسلام ، ويبقى نهضة جديدة .

وأما فصل الدين عن الحياة بدوا من إلغاء الخلافة الاسلامية على يد
مصطفى كمال اليهودى البلغارى الأصل ، فهو أخطر منعطف فى حياة الاسلام ،
 بسبب اعلان (علمانية) الدولة ، وهدم سلطان الشريعة ، واستيراد الأنظمة
 والقوانين الغربية ، وتربية الشعوب تربية غربية تابعة فى الفكر والعمل لمنهج
 الغربيين ، وترك تراث الاسلام العظيم .

وأما تجزئة الكيان الاسلامى بسبب الاستعمار القديم والحديث فهو أمر
 واضح نعيش كل يوم مع ألوان من مكره وخداعه ومساغبه الدائبة الطويلة
 المدى لإحباط أى مسمى جماعى أو هدف وحدوى ، ولا غرابة إذا قلنا : لم
 تنقطع حملات عدوان الكثرة الموروثة عن أبى جهل وأبى لهب وأنصارهما من
 اليهود والمنافقين لتمزيق وحدة المسلمين ابتداء من عهد محنة عثمان رضى الله
 عنه ، ولم تهدأ الحرب السنارية أو المنفعة التى تعوق كل تقدم حضارى
 للمسلمين بسبب تجزئة الكيان الاسلامى الذى ظهر فى القرن الثالث الهجرى
 والتاسع الميلادى بظهور خلافت ثلاث فى آن واحد فى بغداد والقاهرة
 والاندلس ، وما تلاه من دويلات وإمارات مستقلة .

هذه هى أهم اسباب تخلف وانحطاط المسلمين فى صورتها الظاهرية ،
 فهى أمراض الأمراض متعددة . ولكن ليس الشفاء من هذه الأمراض أمرا
 متعذرا ، وإنما هو سهل يسير إذا حسنت النية ، وتوفرت الإرادة ، وصدقت
 العزيمة ، ونهيا الإخلاص : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .



الاباحية

عبد الحميد بن القاسم ٣

أسباب الإباحة في الفقه الإسلامي

للدكتور : محمد سلام مذكور

السبب عند علماء الشريعة : ما يلزم من وجوده وجود المسبب ومن عدمه العدم (١) ، والذي سنعرضه هنا هو أسباب الإباحة الطارئة على فعل يكون مطلوباً منا فعله أو تركه ثم يعرض ما يقتضي إباحته تخفيفاً على العباد ووفقاً بهم . إما إباحة مقيدة بحال كالرخس ، أو مطلقة كما في الفسخ . فيخرج من هذا ما إذا كان الفعل مباحاً في الأصل ثم طلب الشارع فعله أو تركه في حالة معينة ثم زالت هذه الحالة وعاد حكم الفعل إلى الإباحة الأصلية ، وذلك كحل الاصطيد بعد الإحرام المدلول عليه بقوله تعالى : « وإذا حللتهم فاصطادوا » فإن الاصطيد كان مباحاً وطراً عليه الحظر بقوله تعالى : « غير محلى الصيد وأنتم حرم » .

وفي الواقع إن أسباب الإباحة الأصلية التي سنستبعد عنها ترجع إلى :
١ - عدم النص على الحكم لا صراحة ولا بطريق الدلالة تبعاً لقاعدة :
إن الأصل في الأشياء الإباحة ، على ما بيناه تفصيلاً في موضعه (٢) ،
وقد يعبر الأصوليون عن هذا بالبراءة الأصلية .

٢ - ورود نص يفيد الإباحة وهي ما تسمى بالإباحة الشرعية ، ويكون ذلك النص بأسلوب من أساليب الإباحة التي سبق الكلام عنها في المقال السابق .

وإن ممارسة الأدلة الشرعية للأحكام الفقهية تدل على طروء الإباحة لكل من المحظور والواجب . فالمحظور على سبيل التحريم أو الكراهة يصير في بعض الأحيان مباحا ، كما يصير الواجب أحيانا كذلك . أما المندوب فإنه يظهر فيه معنى الانقلاب الى الإباحة ، لأن الشأن في الانقلاب الى الإباحة رفع الحرج وهو بالنسبة الى المطلوب يكون في جانب الترك وهذا القدر يتحقق في المندوب فلا داعي لتحويله الى مباح .

كما أننا استطعنا بالنظر والتأمل أن نرجع الأسباب التي يصير بها كل من المحظور والواجب مباحا الى أسباب متعددة من وجهة النظر الشرعية كالرخصة ، ونسخ كل من الوجوب والحظر ، والاستحسان ، والعرف ، والمصلحة المرسله ، والذرائع ، وغير ذلك مما سنشير اليه :

أولا : الرخصة باعتبار أنها سبب لطرء الإباحة :

الرخصة في اللغة التيسير والتسهيل ، وقد عرفها الشرعيون بتعريفات مختلفة اخترنا منها . أنها ما شرع لعذر شاق استثناء من أصل كلى يقتضى المنع مع الاقتصار على مواضع الحاجة فيه . ويقول البيضاوي في النهاج : الحكم إن ثبت على خلاف الدليل لعذر فرخصة كحل الميتة للبشر . والقصر والفطر للمسافر . وعلق على ذلك الأسنوي مقال : إن تمثيل المباح بالفطر للمسافر لا يستقيم لأنه إن تضرر بالصوم بالفطر أفضل ، وإن لم يضر بالصوم أفضل . فليست للصوم حالة يستوى فيها الأمران . وقال : إن الصواب التمثيل بالسلم والعرايا ، والإجارة والمساقاة وشبه ذلك من العتود ، فمئها رخصة بلا نزاع .

وفقهاء الحنفية يقسمون الرخصة : الى رخص حقيقية ويسمونها برخص الترفيه ، ورخص مجازية ويسمونها برخص الإسقاط ، وكل ما يفيد الترخيص في الرخص الحقيقية هو رفع الإثم وهو ما يقابل « موانع المسؤولية في القانون الجنائي » ، لأن الفعل غير مشروع مع رفع المسؤولية الجنائية عن الفاعل كمن اعتدى على مال غيره دفعا للمخصة . فإن الاعتداء نفسه غير مشروع ولا تبطل حالة المخصة بدليل وجوب ضمان ما أتلفه من مال ، وكل ما في الأمر أن المسؤولية الجنائية قد رفعت عنه . يقول البردوي : إن من أصابته مخصة حل له تناول طعام غيره على أنه رخصة لا إباحة مطلقة . وقد ناقض الإمام الغزالي الحنفية في هذا . وعلى كل فمخصص الترفيه عندهم ليست من أسباب طرء الإباحة .

أما الرخص المجازية عندهم ، وهي رخص الإسقاط ، والتي منها الحكم الذي يسقط به غيره مع كون الحكم الساقط مشروعا في الجملة ، كقصر الصلاة للمسافر بناء على أن القصر يسقط به الإثم ، واكل الميتة وشرب الخمر عند الضرورة ، وكبيع السلم . فهذا النوع من البرخص المجازية عندهم هو الذي تنحصر فيه سببية الإباحة الطارئة من بين أقسام

الرخص ، وإن كانت تارة تكون سببا في غير الإباحة مقرر الصلاة للمسافر عندهم واجب .

وعلى هذا فلا يكون هذا النوع من الرخص المجازية عندهم سببا للإباحة في جميع الجزئيات وإنما في بعضها كإباحة السلم ، وإباحة المسح على الخفين عند من يرى استواءه مع غسل الرجلين إذ أنها من الإباحات . لكن الشاطبي المالكي يرى أن الرخصة لا يترتب عليها إلا الإباحة فهي سبب للإباحة فقط ، ولا تكون سببا لغيرها لأن الرخصة يراد بها التيسير والتسهيل على المكلف بدفع المشقة ورفع الحرج عنه يقول الشاطبي : « إن حكم الرخصة الإباحة مطلقا من حيث هي رخصة ، بدليل قوله تعالى : « فمن أضر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه » ولأن الأصل فيها التخفيف ورفع الحرج عنه حتى يكون في سعة واختيار بين الأخذ بالعزيمة والأخذ بالرخصة وهذا أصله الإباحة ، ولأن الرخصة لو كانت ماهورا بها ندبا أو وجوبا لكانت عزائم لا رخصا ..

وإذا كنا وقفنا في كلام الشاطبي بعد ذلك على ما يصور اضطرابا في مسئلته هذا (٣) فإن كثيرا من الأصوليين اتجهوا هذه الوجهة ، فمسلك الإمام الغزالي يشعر بذلك (٤) ومسلك الأهدى أيضا يدل على ذلك (٥) ، والقراfi المالكي كما ينقل عنه ابن أمير حاج في كتابه التقرير والتحبير (٦) ..

وينبغي أن نشير هنا إلى أن جزئيات الرخص تدل على أن السبب فيها لا يخرج عن أحد أمرين يجمعهما وصف المضر وهذان الأمران هما : المشقة والحاجة ويدخل في المشقة صور كثيرة منها إباحة الفطر ، وقصر الصلاة ، والجمع بين الصلاتين ، ويدخل في الحاجة أكل الميتة ، والخنزير ، وشرب الخمر للمضر ، وكل ما تدعو إليه الضرورة على ما بيناه تفصيلا في نظرية الإباحة (٧) ، والذي يعنينا إبرازه هنا أن الرخصة سبب لطروء الإباحة .

ثانيا : النسخ باعتبار أنه سبب لطروء الإباحة :

يطلق النسخ في اللغة بمعنى الإبطال والإزالة ، كما يطلق بمعنى النقل والتحويل ، وفي اصطلاح الأصوليين والفقهاء يعرف بعدة تعريفات نذكر منها ما اختاره ابن الحاجب من أنه رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متاخر ، وهذا التعريف يخرج الأحكام التي وردت على الإباحة الأصلية باصطلاح الأصوليين لأنه لا رفع فيها لحكم شرعي ، وإنما هو رفع لحكم عقلي . يقول صاحب كتاب كشف الأسرار : إن رفع الأحكام العقلية الثابتة قبل ورود الشرع التي يعبر عنها بالمباح بحكم الأصل ، بدليل شرعي متاخر لا يسمى نسخا بالإجماع (٨) .

والنسخ قد يكون إلى بدل مساو أو أثقل . وكلاهما ليس من محل بحثنا في أسباب طرء الإباحة . وقد يكون النسخ إلى بدل أخف كنسخ الحظر في ادخار لحوم الأضاحي إلى إباحته ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذى : « كنت نهيتكم عن ادخار لحوم الأضاحي فوق ثلاثة أيام . فكلوا ما بدا لكم واطعموها وادخروا » ، ومثله أيضا قوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه ابن ماجه عن أبى سمود بسند صحيح : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور إلا فزوروها فإنها تزهد في الدنيا وتذكسر بالآخرة » ونظيرهما قوله عليه السلام فيما رواه ابن ماجه عن بريدة : « كنت نهيتكم عن الأوعية فانبذوا واجتنبوا كل مسكر » .

فهذه الأحاديث وقع فيها النسخ من حظر إلى تصريح ، وقد نص على ما يفيد الإباحة بعد رفع الحظر . بل وضع الأصوليون قاعدة عامة هي أن الأمر بعد الحظر يفيد الإباحة .

وهذا النوع — الذى النسخ فيه إلى بدل أخف — هو الذى يتحقق فيه ما نحن بصددده من طرء الإباحة بالنسخ ، كما أن هذا النوع لا خلاف فيه بين الأصوليين القائلين بالنسخ ، لأن معنى النسخ وحكسه متحقق فيه إجماعا لوضوحها وعدم تطرق الشبه إليها .

وقد يكون النسخ لا إلى بدل عند جمهور الأصوليين ، وقد مثلوا له بنسخ وجوب الصدقة بين يدي مناجاة الرسول ، ويمثل له بعضهم بخل الرفث إلى النساء ، والأكل ، والشرب ، فى ليالى رمضان بعد النوم وقد كان ذلك محرما فى صدر الإسلام .

وخالف بعض الأصوليين فى جواز النسخ لا إلى بدل ، وتأولوا المثال الأول بأن وجوب المناجاة نسخ إلى بدل هو الجواز الذى يشمل الإباحة والندب على ما ذكرنا فى مقال سابق . ورد بعضهم المثال الثانى بأن الحل منصوص عليه فهو نسخ إلى بدل ، لأن المراد بالبدل ورود النص على الحكم الناسخ . وهذا المعتبر فى نظرنا لأن بقاء الفعل من غير حكم شرعى متعلق بفعل المكلف ممنوع مطلقا بالإجماع ، على معنى أنه إذا لم ينص على حكم بعد النسخ يصار إلى الإباحة التى هى جنس فى الواجب ، أو إلى ما كان عليه قبل الحكم المنسوخ من إباحة أو غيره على خلاف فى ذلك منشؤه أنه إذا نسخ الوجوب من غير نص على بدل فإنه يدل على بقاء الجواز بمعنى التخيير بين الفعل وتركه الذى هو مدلول الإباحة . وقد بينا تفصيل ذلك فى كتابنا الإباحة عند الأصوليين والفقهائ (٩) ، والذى يفنيها هنا أن نقرر أن طرء الإباحة بالنسخ يكون بأحد أمرين :

الأول : نسخ كل من الواجب والمحذور إلى بدل يدل على الإباحة ، وذلك كحل الأكل ، والشرب ، والرفث ، للصائم فى ليالى رمضان بعد النوم الذى نسخ فرضية الإمساك بعد النوم ، وكما فى إباحة ادخار لحوم الأضاحي الذى نسخ الحظر السابق . إذ أن الحظر إذا لم يكن مقيدا بحال من الأحوال أماد النسخ ودل على الإباحة عند أكثر الفقهاء .

الثاني : نسخ الوجوب لا الى بدل عند من يقول بأن نسخ الوجوب لا الى بدل يفيد الإباحة على ما ذكرنا .

ثالثا : الاستحسان باعتبار أنه سبب لطروء الإباحة :

والاستحسان في اللغة عد الشيء حسنا ، وفي الاصطلاح نعرفه بما عرفه به الكرخي :

من أنه عدول في مسألة من مثل ما حكم به في نظائرها الى خلافه لوجه هو اقوى يقتضي العدول عن الأول . ونستطيع أن نرجع انشراح الاستحسان الى استحسان قياسي ، واستحسان استثنائي ، ونستبعد الأول لأنه بعيد عن موضوعنا أما الثاني وهو الحكم المستثنى من أصل كلي أو قاعدة عامة لدليل خاص يقتضي ذلك . فهو الذي يكون سببا لطروء الإباحة ، ويعتبر من الرخص الشرعية . ومن امثلة هذا النوع ما أوردها سابقا عند الكلام عن الرخصة باعتبارها سببا لطروء الإباحة . ومن ذلك السلم ، والإجارة ، والاستصناع ، فإن كلا منها وقع فيه التعاقد على معدوم وهو مما يبطل البيع بحسب الأصل لما فيه من الجهالة ولكنه أئب التعاقد على هذه الأشياء لضرورة حاجة الناس اليها .

وتستند إباحة هذه الأشياء الى أدلة شرعية . فالسلم يستند الى السنة فقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه النهي عن بيع ما ليس عند الإنسان وأرخص في السلم . والإجارة تستند الى قوله تعالى « فإن أرضعن لكم فأتوهن أجورهن » كما تستند الى السنة ايضا ، وأما الاستصناع فإنه يستند الى إجماع المسلمين على إباحة التعامل به .

ومن صور طروء الإباحة هنا . إباحة الترخيص بنظر الطبيب الى موضع المرض من بدن المرأة الحرة فإن ذلك مستثنى من قاعدة تحريم النظر الى بدنهما ، وعلة الاستثناء الضرورة ، وهذا المثال يتجلى فيه معنى الاستحسان الاستثنائي ، ومعنى الرخصة ايضا ، لأن الحكم شرع على خلاف الدليل لوجود دليل آخر . والإباحة هنا طرأت بعد الحظر .

وقد اعتبر الشاطبي الترخيصات التي من هذا القبيل مندرجة تحت الاستحسان فيقول : ومن الاستحسان ايضا سائر الترخيصات التي من هذا القبيل . فإن حقيقتها ترجع الى اعتبار الحال في جلب المصالح ودرء المفاسد حيث كان الدليل العام يقتضي منع ذلك ، لأننا لو بقينا مع أصل الدليل العام لأدى الى رفع ما اقتضاه ذلك الدليل من المصلحة فكان الواجب مراعاة ذلك ..

رابعاً : العرف باعتبار انه سبب لطروء الإباحة :

العرف فى اصطلاح الشرعيين : ما استقر فى النفوس من جهة العقول ، وتلقته الطباع السلبية بالقبول . والعرف له سلطته واقتداره فى وضع احكام طارئة تدعو اليها الحاجة فيكون بذلك سببا لطروء الإباحة ، ومن امثلة ذلك إباحة استئجار الأجير ببعض ما يعمل فيه فيما تعارفه الناس مع ورود النهى عن ذلك فيها أخرجه الدارقطنى والبيهقى عن أبى سعيد الخدرى انه عليه السلام نهى عن قفيز الطحان لأن فى ذلك نقضا لشرط من شروط عقد الإجارة ، وهو القدرة على تسليم الأجر وقت التعاقد (١٠) ، وجهور الفقهاء على العمل بمقتضى ذلك النهى فى غير ما جرى به العرف ، إذا ما تعارف الناس على بعض جزئيات من هذا النوع فإن ذلك التعارف يرفع الحظر ويحل محله الإباحة الطارئة . ومن هذا ما يتعامل به الزارع فى القرى من إعطاء بعض القمح لدارسه أو ذاريه أو حامله من الحقل أو من الجرن ونحو ذلك ، ويمكن أن يدخل فى هذا ما تعطيه الدولة لشركات البترول من نصيب ، وإن كان هو أقرب الى الجعالة منه الى هذا .

خامساً : المصلحة باعتبار انها سبب لطروء الإباحة :

تقتصد بالمصلحة هنا المصلحة التى لم يرد نص من الشارع يدعو الى اعتبارها أو عدم اعتبارها مع أن فى اعتبارها والأخذ بها جلب منفعة أو دفع مضرة ، وهذه يطلق عليها الأصوليون : المصلحة المرسلية ، ومثلوا لها بجمع القرآن فى عصر أبى بكر حفظاً له ، وحمل الناس فى عهد عثمان على مصحف واحد وإحراق ما عداه ، ومحاربة أبى بكر لماتمى الزكاة ، ونقل العز بن عبد السلام عن الشافعى انه قال : لو عم الحرام فى بلدة بحيث لا يوجد فيها حلال جاز أن يستعمل من ذلك ما تدعو اليه الحاجة ولا يفت تحليل ذلك عند الضرورة . لأنه لو وقف عليها لادى الى ضعف العبادة ، ولانقطع الناس عن الحرف والصنائع والأسباب التى تقوم بمصالح الأنام .

ومن هذا يتبين أن المصالح المرسلية قد تطرأ بسببها أحكام مختلفة من بينها الإباحة ، كما يتجلى ذلك فيما قيل من مبايعة المفصول مع وجود الأفضل . وقد وسع بعض الفقهاء من الصحابة والتابعين أن يمتنعوا عن مبايعة يزيد فى حين أن الكثرة منهم رأيت مبايعته . وهذا يدل على أن هناك مندوحة تتسع لكل من الإقدام على المبايعة والإحجام عنها ، وذلك هو معنى الإباحة بالتفسير الأصولى الأخص وهو التخيير .

سادسا : الذرائع باعتبار انها سبب لطروء الإباحة :

الذريعة كما يقول ابن القيم ما كان وسيلة وطريقا الى الشيء .
وقد قسم الفقهاء الذرائع الى أربعة أقسام والذي يعينها منها قسبان :
١ - الذرائع التي وضعت للمباح لكنها قد تنفئ الى مفسدة والمصلحة
أرجح كالنظر الى المخطوبة والمشهد عليها للتعرف . وقالوا : إن هذا
النوع جاءت الشريعة بإباحته أو استحبابه أو وجوبه بحسب درجته في
المصلحة .

٢ - الذرائع التي وضعت للمباح لكنها قصد بها التوصل الى
المفسدة كمن يتزوج بقصد تحليل الزوجة لمطلقها الذي بانت منه بينونة كبرى،
وكمن يتعاهد على سلمة ليصل الى الريا عن طريق هذا التعاهد كما في بيع
العينة ، وقد اختلف الفقهاء في هذا النوع . فمنعه بعضهم وكرهه البعض
وطروء الإباحة بسبب الذريعة واضح بالنسبة للنوع الاول الذي
أوردناه فإن النظر الى الأجنبية كان محظورا لكنه أبيع باعتبار انه وسيلة
الى تحقيق مصلحة راجحة وهي إتمام الزواج ، أو التمكن من أداء
الشهادة .

اما النوع الثاني الذي أوردناه فإنه بالتأمل والنظر يبدو أن من يقول
بجواز مثل هذه العسود ينظر الى مفاهيمها الشرعية على الوجه الذي
كانت محرمة عليه فيحتال على تغيير هذه المفاهيم بوضعها في صور
أخرى مباحة ، وبذلك تكون حقيقة الأمر أن الفعل الذي كان محظورا
أصبح بعد ذلك الاحتيال أو التغيير الصوري مباحا . فمن هذه النظرة تكون
الذريعة سببا لطروء الإباحة عند من أجاز ذلك .

وبعد هذه الأسباب التي ذكرنا أنها تفيد طروء الإباحة نستطيع أيضا
أن نستنتج أسبابا أخرى تفيدها ، ومن ذلك ما قالوه : من إباحة الظفر
بالحق أو جنسه عند المدين المماطل ، فإن الفقهاء متفقون على أن من وجد
نفس حقه الذي عند آخر مالا أو عروضا وكان يماطله في رده ، فإنه يباح
له ديانة فقط أن يسترده منه ولو خفية إذا ظفر به . واختلفوا فيما إذا ظفر
بجنس حقه على ما بيناه تفصيلا في مواضيع أخرى (١١) .

ويدخل في أسباب طروء الإباحة أيضا إذن العباد بعضهم لبعض في
تناول الأموال والمنافع والأعراض بالوجوه المشروعة ، ومن ذلك أيضا ما
دل عليه حديث الشيعين وهو قوله عليه السلام : « لا يحل دم امرئ
مسلم الا بإحدى ثلاث : الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه
المارق للجماعة » فقد أمد هذا الحديث أن هذه الأشياء الثلاثة سبب لطروء
الإباحة لهذا الدم الذي كان معصوما لولا وجود سبب من هذه الأسباب .

وبعد فإن أسباب هذه الإباحة الطارئة استنتاجها نتيجة ممارسة
واستقراء . ولم ندع بذلك استيعاب كل ما يمكن أن يكون سببا لطروء
الإباحة ، فإنه يمكن أيضا في بعض الأحوال والصور أن يكون من سلطة

ولى الأمر تغيير بعض الأحكام ومنها المباح الذى قد تقضى المصلحة أن يحكم بتحويل كل من الواجب والمحظور إليه على ما بيناه فى كتابنا « الإباحة عند الأصوليين والفقهاء » ..

بقى أنه ينبغي لنا فى ختام الكلام عن أسباب الإباحة الطارئة فى الفقه الإسلامى أن نشير إلى أن هناك أشياء تشبه المباحات من جهة أن فى كل منها رفع الإثم والحرَج من الشارع ، إلا أنها تتميز عن المباحات بأنه لم يرد فيها خطاب من الشارع للشخص نفسه ، وإنما ورد الخطاب بشأنه لأن له عليه ولاية رافعا العقاب عنه فى الدنيا ومبيناً بأنه لا حساب عليه فى الآخرة . وما كان من هذا النمط لا نستطيع أن نسميه من المباحات وإنما هو من قبيل ما يسمى فى القانون الجنائى بموانع المسؤولية . كان يكون الشخص غير أهل للتكليف فإن الفعل نفسه يبقى غير مباح واجبا كان أو محظورا ، ولذا فإنه إذا تضمن الفعل إتلافا أو اعتداء ضمن فى ماله فقط مع أن المسؤولية تثبت كاملة بالنسبة لمن شاركه ممن توافرت له الأهلية والإرادة على ما بيناه فى موضعه من الكتاب المذكور ، وقارنا بين أسباب الإباحة الطارئة التى ذكرناها وبين ما جاء به القانون الجنائى من أسباب مما لا يتسع له هذا المقال ولا يناسب عرضه فى هذا المقام .

وإلى إذ اختتم هذا الموضوع فإني أستطيع القارئ العادى عذرا فيما قد يكون لاقاه فى قراءة ما كتبت فيه من عناء ، برغم محاولة تبسيط الموضوع وضغطه بغدق المستطاع ، وإلى لقاء فى موضوع آخر إن شاء الله .

-
- (١) راجع تفصيل ذلك فى كتابنا « مباحث الحكم عند الأصوليين » عند الكلام عن الحكم الوضعى والكلام عن السبب .
- (٢) راجع تفصيل ذلك فى كتابنا الإباحة عند الأصوليين والفقهاء من ص ٣٦٩ - ٨٤٠ وقد سلطنا فى التفرقة بين الإباحة الأصلية والطارئة مسلكا قد يختلف عن مسلك الأصوليين الذين قصرنا كلامهم فى الغالب على الإباحة الأصلية ، وقابلوا ذلك بالإباحة الشرعية .
- (٣) انظر ذلك فى كتابنا الإباحة عند الأصوليين والفقهاء صفحة ٢٨٢ و ٢٨٤ والموافقات جـ ١ ص ٢٢٤/٢٢١ .
- (٤) استقصى جـ ١ ص ٩٩ .
- (٥) الأحكام فى أصول الأحكام جـ ١ ص ١٨٩ .
- (٦) جـ ٣ ص ١٥٣ ..
- (٧) الإباحة عند الأصوليين من ٤١٢/٢٨٨ .
- (٨) كشف الأسرار جـ ٣ ص ٨٧٨ .
- (٩) الإباحة عند الأصوليين والفقهاء ص ٤٢٩/٤١٧ ..
- (١٠) وقد أجاز هذا التماقد الإمام أحمد بن حنبل ، والمزنى من الشافعية ، وطمنا فى سند الحديث ودلالته .
- (١١) انقصة فى الفقه الإسلامى بحث مقارن مطبوع سنة ١٩٥٦ المدخل للفقه الإسلامى .

مأساة المسلمين في بورما

حقائق حول اضطهاد المسلمين في بورما .

يشكل المسلمون في بورما أكبر أقلية من السكان ، إذ يبلغ عددهم ثلاثة ملايين نسمة من بين حوالي ثلاثين مليون نسمة ، ويميش معظمهم في المناطق الشمالية الغربية ، وأما بقية الأديان الموجودة في بورما فهي الديانة البوذية وهي ديانة الغالبية السكّان ثم ديانة عبادة الطبيعة .

ويتولى الحكم في بورما حكومة اشتراكية من البولنديين ، وقد نالت استقلالها عام ١٩٤٨ م ، والمجيب أن المسلمين البورميين يلقون أسوأ المعاملة من قبل حكومتهم الحالية ، فانهم يشردون من ديارهم ويروحلون منها وتعرض عليهم الطغراب الملهلثة . ولما كان معظمهم من المزارعين والكتمال فإن الحكومة تهتر أكثر من ٩٠ ٪ من حاصل انتاجهم الزراعي وهناك امثلة كثيرة من قيام الحكومة بانتزاع ملكية الأراضي وكل شيء من المسلمين بالذات .

وقد قرأت في مجلة المنتج الكويتي العدد الثاني السنة الأولى الثلاثاء ١٧ من محرم الموافق ٢٤ من مارس ١٩٧٠ (أنه جاء الى الكويت شاب بورمي وقال لرئيس تحريرها لقد انتزحوا منا كل شيء ، كنت ووالدي نسلج في الأدوات الكهربائية وكان راس مالنا يماثل مليون روبية ، وكانت تجارنا مزدهرة ولكن الحكومة الاشتراكية العسكرية في بورما لم يرق لها ذلك فاصدرت أمرا بتلبيح جميع أموالنا ولم يبق لنا إلا عقارات بسيطة لم يسمح لنا ببيعها وهي معرصة للتلبيم وفترت من بورما الى الهند وهبت على وجهي بها عن عمل وتركت زوجتي في الهند وجئت الى الكويت .

أما موقف الحكومة البورمية من الحرية الدينية فانها تعارِب ممارسة الشعائر الإسلامية فلا يجرأ أحد تقريبا على اعتياد المساجد ونادرا ما تمنح الفرصة لأقامة صلاة الجمعة حتى أن المسلمين لا يسمح لهم بالفروج من مناطقتهم وتسحب بطاقاتهم الشخصية ويحجز كثير منهم في السجون لا لشيء إلا لانهم مسلمون حتى نريضة الحج لم تمنح حكومة بورما لأحد من المسلمين لادائها . فمنذ عام ١٩٦٢ م لم يفرج أحد من بورما حاجا الى بيت الله الحرام حتى الآن . وتبذل رايضة العالم الإسلامي قصارى جهدها في سبيل انتاع حكومة بورما للسماح للمسلمين لأداء نريضة الحج ولإصلاح حالهم ووضعهم .

إننا نناشد الاطوار الإسلامية الحرة في العالم أن تتدخل لحماية المسلمين من هذا الاضطهاد الشديد وأن تساعد الصون والمساعدة للمهاجرين من بورما في العالم الإسلامي فرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » . كما نرجو من هذه الحكومات الإسلامية عامة والعربية الشقيقة خاصة أن ترفع هذه المشكلة للأمانة العامة للأمم وزراء الخارجية الإسلامية وإلى الأمين العام للأمم المتحدة حتى أن يهتم في الأمر ، والله الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل .

الحدود في الإسلام ٢

الفصاح في الفقه

- ١ -

في العدد الثامن والتسعين من مجلة « الوعى الاسلامى » (غرة صفر سنة ١٣٩٣) - وقف بنا الحديث عن الحدود في الإسلام ، عند حد القتل ، والسرقه ، وشرب الخمر ، وذلك بعد أن عرضنا لحكمة الحدود التي أوجبها الإسلام على بعض الجرائم والمنكرات ، وما تنطوى عليه هذه الحكمة من آثار بالغة في حفظ كيان المجتمع الإنساني ، واحترام ناموسه ، وإقرار أمنه ونظامه ، فضلاً عما تبعث هذه الحدود القائمة بسلطانها على كل فرد في المجتمع ، من إشاعة روح الأمن والسلام في النفوس ، والتهاف بها إلا تخرج عن صورة الإنسانية السوية الكريمة ، التي خلق الله تعالى الإنسان عليها ..

وقد عرضنا في الحديث لما يتساقط من أمواه بعض السفهاء من الناس ، من مفتريات على الإسلام ، واتهام له بالهيجية والوحشية في العقوبات التي فرض إقامتها في صورة علنية على مرتكبي جرائم الزنا ، والقتل ، والسرقه ، وشرب الخمر .. ثم كشفنا عن وجه الحكمة في حد الزنا ، وفي التفريق بين المحسن وغير المحسن ، في صورة الحد الذي يقام على كل منهما .

ونعود في حديثنا هنا إلى بقية الحدود ، وليكن حديثنا اليوم مقصوراً على جريمة القتل ، وموقف الإسلام من هذه الجريمة ، وما رصده من عقاب لمرتكبيها .

- ٢ -

وبإدء ذى بدء ، فقد فرق الإسلام في القتل بين ما هو قصد وعمد ، وما قد وقع عن خطأ ، ومن وراء النية والقصد .. إذ كان اعتداء الشريعة الإسلامية بأي قول أو عمل ، مردوداً إلى النية التي انعمت عليه ، ودفعت به إلى حيز

وكم في إقصاء حياة يا أولي الألباب لعظم تقصير صدق الله العظيم

الأستاذ عبد الكريم الخطيب

الواقع ، سواء في ذلك الحسن أو السيء من الأقوال والأفعال ، حيث يكون مع الإنسان في تلك الحال ، اختياره ومشيبته ، وإرادته .. فإذا وقع القول أو العمل من خطأ ، أو نسيان ، أو إكراه ، لم يكن شيء من ذلك من كسب الإنسان ، ومن ثم لم يكن محسوباً له أو عليه ، في مقام الثواب أو العقاب .. وفي هذا يقول الله تعالى : « لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ، ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان » (المائدة : ٨٩) .. ومعنى تعقيد الإيمان ، توثيقها بالإرادة المدركة الواعية .. وما يجري على الأيمان ، يجري على كل قول وعمل يصدر عن الإنسان .. يقول الله تعالى : « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، وما لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا » (البقرة : ٢٨٦) .. ويقول النبي الكريم : « رفع عن أمتي الخطأ والنسيان ، وما استكروها عليه .. » ثم لأن القتل ، سواء أكان عمداً أم خطأ ، هو إزهاق لنفس إنسانية ، هي نفخة من روح الله ، وفي إزهاق هذه النفس ، عدوان على الله ، وانتهاك لحرمته في هذا الإنسان الذي سواه بيده ، وأقلبه خليفة له في الأرض ، وأمر ملائكته بالسجود له يوم مولده ، احتفاء بظهور هذا الكائن العظيم . الذي أودع فيه الخالق العظيم من صفاته : العلم ، والقدرة ، والإبداع ، والخلق ، والإرادة .. وفي الحديث الشريف : « خلق الله آدم على صورته » (رواه البخاري ومسلم) .. من أجل هذا أقام الله تعالى في شريعته ، حراسة ، دائمة ملازمة للإنسان تدفع عنه عوادي العدوان على حياته ، التي هي ملك لله وحده ، لا يجوز لأحد أن يسلبها غير الله ، إذ لم يكن أحد يستطيع منحها غيره سبحانه .. فأوجب سبحانه وتعالى القصاص ممن يتعدى حدود الله ، ويقتل نفساً أحيهاها الله ..

وإذا كان سبحانه — رحمة منه وإحسانا — قد تجاوز للناس عما يقع منهم من أعمال سيئة عن غير نية أو قصد ، كالخطأ والنسيان والإكراه فإنه جل شأنه في جانب إزهاق نفس الإنسان وارقة دمه لم يجعل الخطأ والنسيان والإكراه مبررا — على إطلاقه — لتجاوز عن قتل أي نفس ، تحت أي ظرف من هذه الظروف ، ولم يجعل دم الإنسان يضيع هدرا من غير محاسبة ، للقاتل ، وإن كان سبب حله قد خفف الحساب والمأخذ ، تحت هذا الظرف الذي وقع فيه القتل من وراء قصد الإنسان ، وذلك ليشرح القاتل ، ولتشرح الحياة كلها بأن أمرا عظيما نظيما قد حدث : « تكاد السموات يتفطرن منه ، وتتشقق الأرض وتخسر الجبال هدرا »

حقا ، إن هذا القاتل ، إما قتل عن غير قصد أو نية ، الأمر الذي يستوجب — رحمة وعدلا — ألا ينسوي حسابه فيه ، على ميزان من قتل عمدا ، وبغيا .. ولكن لا بد أن ينظر — مع هذا — إلى ذلك الإنسان الذي قتل بيد أخيه الإنسان ، وأن ينال قتله بعض العقاب على فعلته تلك ، الأمر الذي من شأنه أن يجعل عوارض الخطأ في هذا المقام واقعة تحت حساب دقيق ، ومحاذرة واعية ، مصاحبة لمشاعر الإجلال والإعظام لدم الإنسان ، الذي إن أريق في تلك الحال ، اهتزت له السموات والأرض ومن فيهن ، فزعا ورفقا ، وهذا من شأنه أن يقيم في نفس الإنسان وأزعا يزعجه من تلك الأعمال الطائشة التي تقع عن استخفاف واستهتار وغير مبالاة ، والتي هي أكثر ما تكون سببا في القتل الخطأ !!

- ٣ -

لهذا أوجب الإسلام في القتل الخطأ تلك العقوبة ، التي هي وسط بين القصاص والعفو ، القصاص في جانب القتل ، والعفو في جانب الخطأ .. يقول الله تعالى : « وما كان المؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ ، ومن قتل مؤمنا خطأ ، فتحرير رقبة مؤمنة ، وفدية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا .. فإن كان من قوم عدو لكم ، وهو مؤمن ، فتحرير رقبة مؤمنة ، وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق ، فدية مسلمة إلى أهله ، وتحرير رقبة مؤمنة ، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين ، نوبة من الله ، وكان الله عليما حكيما » (٩٢ : النساء) .. والآية الكريمة في هذا ، واضحة المعالم ، بيّنة الحدود ، في تسوية الحساب لهذه النفس التي قتلت خطأ ، بغير جناية جناها صاحبها ..

فأولا : استبعدت الآية الكريمة — في استنكار بالغ — أن يقتل مؤمن مؤمنا ، فهذا الفعل المنكر ، لا يصح أن يقع من إنسان مؤمن بالله ، يتوقى حدود الله ، ويحذر محارمه ، ويحترم إرادته ..

وثانيا : استثنت الآية الكريمة ، من استنكار قتل المؤمن للمؤمن ، أن يكون هذا القتل عن خطأ ، إذ كان الخطأ في عومه ، مما تجاوز الله تعالى عنه ، لهذه الأمة ، رحمة بها ، وإحسانا إليها ..

وثالثا : ليس هذا التجاوز عن القتل الخطأ على إطلاقه ، بحيث يمضي القاتل ، وكأنه لم يفعل شيئا ، ولم يأت أمرا إدرا .. فقد أوجب الإسلام على القاتل — لكي يطهر من هذا الدم الذي علق بيده — أمورا هي :

١ — أن يحرر رقبة مؤمنة ، فيخلصها بذلك من العبودية ، التي هي في حقيقتها ، إهدار لإنسانية هذا الإنسان ، وقتل بالحياة لأمنه .. وفي خلاص هذا الرقبة من العبودية إحياء لها من الموت ، وبعث لها من بين الأموات .. وكان القاتل بهذا قد أحيا نفسا مؤمنة ، بدلا من تلك النفس المؤمنة التي قتلها

خطأ .. وبذلك يكون قد سوى حسابه مع الله ، إذ قتل نفسا ، وأحيا نفسا .. كما أنه قد سوى حسابه مع الإنسانية ، إذ قد انتزع منها إنسانا ، وقدم لها إنسانا !!

٢ - إذا لم يجد القاتل بين يديه الرقبة التي يعتقها ، أو المال الذي يشتري به رقبة ليعتقها - وجب عليه صيام شهرين متتابعين ، فإنه « لا يكف الله نفسا إلا وسعها » ..

٣ - بقي بعد هذا أن يسوى القاتل للنفس المؤمنة خطأ ، حسابه مع أولياء دم القتيل .. وهؤلاء الأولياء ، تحكمهم ثلاث صور :

١ - أن يكونوا من المؤمنين ، وهم في هذه الحال مخيرون بين أخذ الدية ، أو التصديق بها على القاتل ، وقد حثهم الله تعالى على التصديق .. وحسب القاتل ما يعالج من آلام وهموم ، من قتل هذه النفس المؤمنة !

ب - أن يكون أولياء دم القتيل المؤمن ، من قوم غير مؤمنين ، هم في وجه عداوة للمؤمنين ، وفي حرب ظاهرة أو خفية معهم .. وفي هذه الحالة لا تقدم لهم الدية ، لأن في تقديمها حونا لهم بها في حربهم مع المؤمنين ..

ج - أن يكون أولياء دم القتيل المؤمن ، من قوم غير مؤمنين ، ولكن بينهم وبين المؤمنين عهد وميثاق بالموادعة والسلام .. وهنا يجب أن تقدم لهم الدية ، من مال القاتل ، فإن لم يكن في مال القاتل ما يتسع لها ، أو لم يكن ذا مال أصلا ، تولت الجماعة المؤمنة تقديمها لهم من بيت مال المسلمين .. ولا يقبل منهم التصديق بها على القاتل ، لأن هذا المال المقدم لهم على سبيل الدية ، هو حق لهم ، وهو إذا وقع بأيديهم أصبح مالا خبيثا ، لا يوضع موضع الصدقة !!

- ٤ -

هذا عن القتل الخطأ ..

أما القتل العمد ، فهو رأس الجرائم ، وكبيرة الكبائر ، والله سبحانه وتعالى يقول : « ومن يقتل مؤمنا متعمدا ، فجزاؤه جهنم خالدا فيها ، وغضب الله عليه ، ولعنه ، وأعد له عذابا عظيما » (٩٣ : النساء) ..

هذا هو حساب الله تعالى للقاتل ، وذلك وعيده له في الآخرة .. أما حسابه في الدنيا ، فقد أمر الله تعالى بالقصاص منه ، وقتله بذلك النفس التي قتلها ، من عمد ، ظلما وعدوانا .. والله سبحانه وتعالى يقول : « ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا ، فلا يسرف في القتل .. إنه كان منصفورا » (٣٣ : الإسراء) ..

فالقاتل هنا ، لا يقبل منه تحرير رقبة ، ولا دية مسلمة إلى أهل القتيل ، ولا صيام شهرين متتابعين ، وإنما يقاد للقصاص ، ويقدم إلى أولياء دم القتيل ، ليقصوا منه بقتيلهم .. فهو في تلك الحال في حكم المقتول .. ثم أن لأولياء الدم بعد هذا أن يقتلوه ، أو يقبلوا الدية منه ، أو يعفو عنه .. وذلك حسب مشيئتهم في القاتل ، وفيما يقع في تقديرهم للظروف والأحوال المتلبسة به .. فإن قتلوه ، كان قتلهم إياه حقا وعدلا ، وأن قبلوا منه الدية كان ذلك منهم إحسانا ورحمة ، وأن عفوا عنه ، كان ذلك فضلا وتسامحا .. وذلك كله مضاف إلى حسابهم ، وليس للقاتل شيء منه !

وهذا القصاص إنما هو عقوبة دينوية للقاتل ، وحق مطلق لأولياء دم القتيل ، ولولى الأمر القائم على جماعة المؤمنين .. وذلك ليكون عبرة رادعة لغيره ، ووازعا قاهرا يزرع من تحدثه نفسه بالإقدام على قتل غيره .. وفي هذا رعاية لدم الإنسان ، حتى لا يكون في الناس من تحدثه نفسه بقتل إنسان ، ثم

يظن ، أو يوقن أنه بمنجاة من القتل .. وبهذا تموت كثير من نوازع القتل ، وتغترّب كثير من الخواطر التي تتردّد في صدور بعض الناس للإقدام على قتل غيرهم .. والله سبحانه وتعالى يقول : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ، ولكن الله ذو فضل على العالمين » (٢٥١ : البقرة) .. ويقول جلّ شأنه : « ولكم في القصص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون » (١٧٩ : البقرة) ..

فالقصاص من القاتل ، — وإن كان في صورته الظاهرة موتاً لإنسان ، وقتلاً لنفس — هو في حقيقته ، حياة للناس جميعاً ، وحماية لهم من قتل ذريع ، لا يبقى ولا يذر .. ويدخل في ضمان هذه الحياة ، هذا القاتل نفسه ، والقتيل الذي قتله ، ظلماً وعدواناً !!

ففي قوله تعالى : « ولكم في القصص حياة » ، وفي تنكير كلمة « حياة » ما يتسع لهذه المعاني كلها ..

فأولاً : القصاص من القاتل ، يمسك كثيراً من الأيدي عن القتل ، في ظروف وأحوال ، تتحرك فيها نوازع أصحابها إلى العدوان على غيرهم ، وإزهاق أنفسهم ، فإن أكثر ما يردّ الناس عن الإقدام على هذه الفعلية النكراء ، هو حرصهم على حياتهم ، وخوفهم من أن يقتل منهم بالقتل بمن يقتلونه .. فهذا القصاص الراسد لهم ، هو الذي حفظ لهم حياتهم ، وحياة من كانوا يحسدون أنفسهم بقتلهم .. وهذا يعني أن قيام القصاص في القتل دستوراً عاملاً في الحياة ، هو الذي أبقي على حياة الناس ، ولولا هذا لاستخف الناس بالقتل ، ولم يزعمهم من دين ضمير أو دين ، إلا من عصم الله ، والله سبحانه وتعالى يقول : « ولكم في القصص حياة » .. ويقول عثمان بن عفان — رضي الله عنه — « أن الله ليزع بالسلطان ، ما لا يزع بالقرآن » ..

وثانياً : هؤلاء الذين نفذوا جريمة القتل في قتلهم .. أنهم لم يقدموا على ما فعلوا إلا بعد تردد طويل ، قد يمتد سنين ، قبل الإقدام على القتل ، ووتسوع الجريمة ، حرصاً على حياتهم ، وخوفاً من الموت الراسد لهم في القصاص منهم ، وبهذا التردد ، وتلك المطاولة ، حياة لهم ، وحياة لقتلاهم ، مدة امتدت من وقت الهم بالقتل ، والنزوع إليه ، إلى وقت التنفيذ ، ولو أنهم استجابوا لأول خطرة تخطر لهم بالقتل ، لخسروا هذه الفترة من حياتهم ، كما يخسرها من عجلوا بقتلهم .. هذا ما ينطق به واقع الحياة ، أما أن لكل أجل كتاباً ، وأما أن لكل أمة أجل ، إذا جاء أجلهم ، فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ، فذلك غيب لا يعلمه إلا الله ، وإليه وحده سبحانه مرده ، وبيده وحده سبحانه الحكم فيه . وفي قوله تعالى : « لعلكم تتقون » .. إشارة كاشفة لهذا الأثر العظيم الذي للقصاص في حياة الناس ، وأنه أقوى قوة عاملة في حفظ حياتهم ، وذلك بتجنب القتل ، وانتفاء عواقبه الوخيمة التي يجرها القتل على القاتل ، بالقصاص منه ..

— ٥ —

بهذا التدبير الحكيم ، فيما شرع الله تعالى من القصاص في القتل ، حفظ سبحانه كثيراً من النفوس أن تقتل ، وكثيراً من الدماء الإنسانية أن تراق .. وفي ذلك — كما أشرنا من قبل — إشعار بما للإنسان من مكانة كريمة عند الله ، من بين المخلوقات ، وأن دمه عزيز على الله أن يراق على الأرض ، كما يراق دم الحيوان ..

وفي التعقيب على ما حدث بين ابني آدم من عدوان أحدهما على الآخر

وقتلته — يقول الله تعالى : « من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل ، أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض ، فكانما قتل الناس جميعا ، ومن أحياها ، فكانما أحيا الناس جميعا » (٣٢ : المائدة) .

فإذا كان القتل عدوانا على الله ، الذي بيده وحده سبحانه الحياة والموت ، وإذا كان الإنسان لا يملك من أمر الحياة شيئا ، فليس له أن يملك من أمر الموت شيئا كذلك .. وإذن فإنه من تعدى حدوده ، واجترأ على حرمة الله ، لم يكن له عند الله حرمة ، ولله سبحانه غيرة على حرمة أن تنتهك ، وعلى حباه أن يستباح ، وعلى مقدساته أن تكون بمعرض البغى والعدوان ..

وإنه بسبب حرمة الحياة الإنسانية وقداستها وكرامتها فرض الله هذا الفرض على بنى إسرائيل وجعله حكما قائما عليهم ، وهو : « أنه من قتل نفسا بغير نفس ، أو فساد في الأرض ، فكانما قتل الناس جميعا ، ومن أحياها فكانما أحيا الناس جميعا » .. ذلك أن قتل نفس واحدة ، هو في حقيقته قتل لإنسان هو شجرة الإنسانية كلها ، وكذلك الشأن فيمن أحيا نفسا إنسانية ، بأن كف يده عن العدوان عليها ، أو دفع يدا معتدية عليها . وهذا يعنى أن من قتل نفسا فكانما قتل الناس جميعا ، ومن أحيا نفسا فكانما أحيا الناس جميعا !!

فالإنسان — أى إنسان ، يمثل الإنسانية كلها ، إذ كان خلق الإنسانية كلها جميعا من نفس واحدة ، هى النفس السارية فى كل إنسان ، والى هى نفخة من روح الله .. يقول الله تعالى : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » (١ : النساء) .. نفى كل إنسان قبس من هذه النفخة المقدسة ، التى كانت منها الإنسانية كلها .. فمن قتل نفسا ، فقد أخذ تلك اللبنة المقدسة ، التى هى أصل الحياة ، ومن أحيا إنسانا ، أى لم يعرض له بسوء ، أو دفع عنه سوءا يهدد حياته ، فكانما أحيا الإنسانية كلها ، وترك شملتها المقدسة متقدة .

وهذا الحكم الذى أخذ الله تعالى به بنى إسرائيل ، هو حكمة تعالى فى الناس جميعا : « أنه من قتل نفسا بغير نفس ، أو فساد في الأرض فكانما قتل الناس جميعا ، ومن أحياها فكانما أحيا الناس جميعا » هذا هو حكم الله تعالى على الناس كلهم ، وإنما توجه هذا الحكم من الله تعالى إلى بنى إسرائيل ، لأمرين :

أولهما : أن بنى إسرائيل ، هم أسوا صورة إنسانية للإنسان ، وفى طبيعتهم النكدة اجتمع كل ما فى الناس من أبشع صور البغى والعدوان .. فهم أسرع الناس إلى قتل النفوس ، وإزهاق الأرواح ، وإراقة الدماء ، ما أمكنتهم الفرصة ، وأسعفتهم الأحوال ، إرواء تلك الطبيعة المتعطشة الى امتصاص أموال الناس ودمائهم ، حتى إنهم لم يراعوا لرسل الله وأنبياؤه اليهم حرمة دمايتهم ، فقتلوا كثيرا من هؤلاء المبعوثين اليهم من عند الله ، يحلون اليهم الدواء ، لما اندس في كيانتهم من علل وأمرض .. يقول الله تعالى فيهم ، منذرا بالويل والبلاء لهم : « أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ، ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون » (٨٧ : البقرة) .

وثانيهما : أن شريعة بنى إسرائيل التى أنزلها الله تعالى على موسى ، كانت أقدم الشرائع السماوية العاملة فى الحياة ، الى أن أدركها الإسلام ، ونظر فيها وفى اتباعها .. فكان ما نزل على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى : « من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكانما قتل الناس جميعا ، ومن أحياها فكانما أحيا الناس

جميعا» - كان هذا القول الكريم ، مواجهة للمسلمين ، بما شرع الله تعالى لهم من شرع كان قد شرعه من قبل الأمم سبقتهم ، كما يقول سبحانه : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » (١٣ : الشورى) .. كما كان ذلك تذكيرا لبني إسرائيل بما فرضه الله تعالى عليهم في الدماء ، وحرمتها ، حتى يقيموا التوراة على وجهها الذي أقامها الله تعالى عليه ، وحتى يستقيموا على شريعة الله ، بعد أن انحرفوا عنها ، وأفسدوا معالمها بالتبديل ، وسوء التأويل .

- ٦ -

واكثر من هذا ، فإن حرمة دم الإنسان في الشريعة الإسلامية ، لا تقف عند حدّ تجريم من قتل غيره ، وأخذة بالقصاص منه في الدنيا ، ورصد العقاب الالهي له في الآخرة ، مرجوبا بغضب الله ولعنته - بل إن تلك الشريعة قد جردت قاتل نفسه ، وأخذته بما تأخذ به القاتلين غيرهم عبدا ، وأنزلتهم منازلهم في نار جهنم خالدا فيها .. ذلك أن هذا القاتل لنفسه ، قد اعتدى على حياة مقدسة ، البسها الله تعالى لإياه ، وتولى بنفسه ما هو حق الله فيه ، فإلله سبحانه هو الذي ينزعها منه متى شاء .. يقول سبحانه وتعالى : « كيف تكفرون بالله ، وكنتم أمواتا فأحياكم ، ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون » (٢٨ : البقرة) فهذا الذي استعجل موت نفسه ، وعبد بيده إلى إزهاقها ، لضيق نزل به ، أو مرض أشدّ عليه ، أو مصيبة أصابته في مال أو أهل أو ولد ، أو نحو هذا مما يدعو بعض الناس إلى الفرار من الحياة بالانتحار - هذا الإنسان ، هو سوء الظن بربه ، كافر به وبقدرته ، متبرم بقضاء الله متبرد على حكمه فيه ، فكان جزاؤه عند الله هذا الجزاء الالهي ، الذي يتناسب مع فعلته الآثمة ، والذي هو من جنس عمله .. يقول رسول الله ، - صلوات الله وسلامه عليه - : « من قتل نفسه بحديدة ، فحديته في يده ، يجا بها بظنه يوم القيامة ، في نار جهنم ، خالدا مخلدا فيها أبدا .. ومن قتل نفسه بسم تردى به ، فسمته في يده ، يكتسها في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا » (رواه البخاري ومسلم) .. ويقول صلوات الله وسلامه عليه : « من قتل نفسه بشيء ، عذب به يوم القيامة » .

- ٧ -

هذا هو مقام الحياة الإنسان ، وتلك هي منزلتها عند الله .. لا يرحم الله تعالى في الدنيا ولا في الآخرة من لا يرحمها ، ولا يحفظ من لا يحفظها ، ولا يرضى حرمة لمن لا يرضى حرمتها في نفسه أو في غيره .. ومع هذا ، فإن مدينة الغرب ، والمخدوعين بهذه المدينة ، تستخف بقتل النفس ، وتستبيح دم الإنسان ، في الأفراد والجماعات والشعوب ، وتهلك الحرب والنسل ، ولا ترى في ذلك ما يتخس ضميرها ، أو يحرك مشاعرها ، ثم هي مع هذا ترمي الإسلام بالقسوة وتنتهمه بالحيوانية ، والوحشية ، والهمجية وتثير في وجهه حربا شعواء ، لا لشيء إلا لأنه جعل القصاص في الدماء ، وقتل القاتل بمن قتله ، حكما من أحكام شريعته ، يقيمه بين الناس ، ويأخذهم به .. ثم ينتهون من هذا إلى نتيجة ، هي أن هذه الشريعة هي من إفرازات الحياة البدوية القبلية ، التي ظهر فيها هذا الدين ، وطبع بطابعها .. وإنك لنرى القوم في تبرير اتهامهم للإسلام بالقسوة والبربرية والوحشية ، والتعطش إلى إراقة الدماء ، وإزهاق الأرواح - تراهم هنا يحلون الأمر إلى عملية حسابية في مجال الإنتاج المادي ، وقيمونها على ميزان الربح والخسارة

المادية ، ثم لا يحوجهم هذا الى أكثر من النظر الى قطعان الماشية التى يملكونها ، ليقبوا منها الحجة على ما يقولون !!
فهم يسألون او يتسألون : إذا نطح حيوان حيوانا من هذا القطيع او ذاك ، فقتله .. أفىكون من العقل والمصلحة أن يقتل هذا الحيوان القاتل ؟ أن ما تنضى به المصلحة ، ويدعو اليه العقل هنا ، هو أن يعزل هذا الحيوان عزلا مؤقتا عن بقية رفاقه ، حماية لها من بطشه وشراسته !! ثم ماذا يتجدى قتل هذا الحيوان القاتل ؟ أيعيد قتله الحياة الى الحيوان الذى قتله ؟ ثم ألا تكفى الخسارة فى قتل حيوان ، حتى يضاف الى ذلك قتل حيوان آخر ؟ ألا يعد ذلك من باب الحماية والسفه ، وسوء الراى ؟

إنهم يسوسون « القطيع » الإنسانى بما يسوسون به قطعان الحيوان ، وينظرون اليه تلك النظرة المادية التى ينظرون بها الى عالم الحيوان ، ويقولون — فيما يقولون — إنه قد قتل إنسان بيد انسان .. فان تكن الانسانية قد خسرت إنسانا واحدا بهذا القتل ، فانها ستخسر اثنين اذا قتل قاتله !

هكذا يسوى منطق القوم هذه القضية ، على تلك الصورة ، حتى إن قوانينهم الوضعية التى ليست ثوب المدنية قد خلت تماها من النص على قتل القاتل ، مهما كانت الظروف التى قتل فيها ، بقدره أن فى الحكم على القاتل بالسجن بضمح سنين ، ما يكفى لإصلاحه وتأديبه ، ثم عودته الى الحياة عضوا عاملا منتجا !! فهذا عند القوم كسب للحياة ، بالإبقاء على حياة القاتل ، والعمل على إصلاحه ، وتكوين انحرافه ، دون أن ينظروا الى ما وراء ذلك من حرمان إنسان حق الحياة ، بفعله هذا القاتل ، وما تترك هذه الفعلة من آثار مزرعة ، فى أهل القتل ، من زوج ، وابناء ، وآباء ، وإخوة وأخوات ، وغيرهم من ذوى قرابته ! ودون أن يقدروا أن ترك القاتل حيا ، مع الاكتفاء بحبسه تلك المدة المحدودة ، فيه إغراء له ، ولغيره بالإقدام على القتل ، مرة ، ومرة ، ومرات ؟

أما نظرة الإسلام الى جريمة القتل ، فهى نظرة عامة شاملة ، تحيط بها من جميع جوانبها ، وتحتويها ظاهرا وباطنا ، وتحسم شرها حاضرا ومستقبلا ..

ونعود فنذكر هنا ما قرره الآية الكريمة : « **ولكم فى القصاص حياة يا أولي**

الالباب لعلكم تتقون » .. من وجوب القصاص ، وقتل القاتل بمن قتله ، وما له

هذا القصاص من ضمان وثيق لحفظ الانسانية ، والإبقاء على الجنس البش كله ، وانه لولا هذا القصاص ، لقتل الناس بعضهم بعضا بغير حساب وبدون مبالاة ، ولجرت الدماء أنهارا ، حتى ينتهى الأمر بالا يبقى من أبناء آدم الا اثنان هما أقوى أبنائه ، ثم لا يلبث الأمر بينهما طويلا حتى يعدو أحدهما على الآخر فيقتله ، وتعود الحياة الى سيرتها الأولى فيما كان بين ابنى آدم : قابيل وهابيل ، اللذين كانا كل ما فى الانسانية من آدميين على ظهر الأرض ، ومع هذا فقد عدا أحدهما على الآخر فقتله ، ليكون له وحده السلطان على هذه الأرض !!



ولا ننهى هذه الكلمة ، دون أن نشير الى أن كثيرا من دول الغرب التى حرمت إعدام القاتل فى قوانينها ، قد عادت أخيرا ، فجعلت الإعدام عقوبة فى قانون عقوباتها ، بعد أن أصبحت جرائم القتل فيها ، تقع جهارا نهارا على أعين الناس ، وبعد أن أصبح من المألوف أن يكون العيب والهزل والتسلية ، من أكثر البواعث على القتل ، حتى إنه لا يتورع أحد المازلين العابثين ، من أن يلعب لعبة

الموت هذه فيقتل أسرة بأسرها ، لا لشيء أكثر من أن يرغه عن نفسه ، ويسلبها بهذا الحب !!

وإن اقرب مثل لتلك الدول التي أخضت تقرر عقوبة الإعدام في قانونها ، الولايات المتحدة ، التي طلب رئيسها منذ أيام ضرورة إدخال هذه العقوبة في قانون الدولة .. وذلك بعد أن أصبح القتل في الولايات المتحدة ، هو اللعبة المفضلة للتسلية والترفيه !!

ولا شك أن في هذا شهادة قائمة ناطقة بأن هذا الدين ، هو دين الله ، وأن كلماته ، هي كلمات الله ، وأن أحكامه ، أحكام الله ، وأنه لا تبديل لكلمات الله ، ولا نقض لأحكامه ، مهما امتدت الأزمان ، واختلعت الاوطان ، وإن نبه النابحون ، وعوى العاؤون ..

ثم لا بد من كلمة أخيرة نهض بها في أذان أولئك المخدوعين المتهوسين ، المفتونين بأوروبا وأمريكا من أبناء العروبة والإسلام !! والذين نراهم ونسمعهم يمدون - بغير فهم ولا عقل إلى الفناء عقوبة الإعدام ، والتي يعدونها وصية في جبين الإنسانية ، وشهادة قائمة في الناس بأن ديننا يعيش في غير زمنه ، وأن أهله يعيشون في عصر غير عصرهم .. وهم في هذا الهراء ، يحسبون أنهم دعاء إصلاح ، وقادة نهضة !! وما هم في الواقع إلا ببغاوات حبيسة في أقفاص أوربية وأمريكية ، يلتقطون ما يلقى إليهم من يد سادتهم من حب ، وما يطرق أذانهم من كلمات .. ثم ينقلون هذه الكلمات على نحو ما سمعوها ، دون أن يعقلوها ، أو يعرفوا لها مدلولاً ..

هكذا أولئك المتهوسون الببغاويون ، في كل ما ينعمون به من غريب الآراء ، وبدع الدعوات .. أنهم لا يعدون أن يكونوا « أسطوانات » معبأة بالدعوات المضلة ، والمفتريات الخبيثة ، التي يسمعونها من هنا وهناك من أدمعاء المستشرقين الذين يكيّدون لديننا ، ولتراثنا ..

وقد وقانا الله شر هذا « البؤم » الناعم في ديارنا ، مبشرا بنقص حكم من أحكام شريعتنا ، بها كانوا يمدون إليه من الفناء حكم الإعدام ، الذي يصم مجتمعنا - في أوهامهم - بالبربرية والوحشية ..

فبأي لسان يتحدث هؤلاء الببغاوات عن الفناء حكم الإعدام ، وقد خُرسَت السنة استأذنتهم ، فلم تعد تنطق بهذا القول ؟ فليبحثوا لهم أذن عن مقولة أخرى يتعاملون بها ، وليدخلوا بها في زى المجددين التّغذّيين ، وذلك بعد أن تزاي لهم حمرة الخجل ، ويجف من جباههم عرقه ، أن كانت وجوههم تعرف الحياء والخجل .. وصدق رسول الله إذ يقول : « إذا لم تستح فاصنع ما شئت » ..

وإن في هذا لعبرة لمن يتلقون مثل هذا الزور من القول ، ويناثرون به ، ويهتزل إيمانهم منه ، وليعلموا أن دينهم الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأن شريعته هي شريعة الله التي لا يفيض على الأيام معينها ، ولا تتعطل على الزمن مواردها .. والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم ، وفي رسوله الأمين : « وبالحق أنزلناه ، وبالحق نزل ، وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا » ..

الزكاة

بلسغة العصر

للككتور محمد شوقي الفنجري

من يرجع الى كتب الفقه الاسلامي ، يجد اختلافا بعيد المدى في كيفية تطبيق فريضة الزكاة ، عبر عنه فقيد الاسلام وشيخ الازهر الاسبق الامام محمود شلتوت بقوله : (على رغم ما اعتقد من ان الخلاف النظري يدل على حيوية فكرية قوية وعلى سباحة النظام الذي يكون في ظله ذلك الخلاف — على الرغم من ذلك ، فكم يضيق صدري حينما ارى ان مجال الخلاف بين الائمة في تطبيق هذه الفريضة يتسع على النحو الذي نراه في كتب الفقه والاحكام) . ثم يقول : (هذه الفريضة يجب ان يكون شأن المسلمين فيها او شأنها عندهم جميعا كشأنهم في الصلاة ، وشأن الصلاة فيها تحديد بين واضح ، لا لبس فيه ولا خلاف « خمس صلوات في اليوم والليلة ») . ثم يقول (لست اشك في ان وحدة المسلمين في واجباتهم الدينية والاجتماعية التي اخذ الله بها عليهم العهد والميثاق ، تقضي على علمائهم وأولياء الامر منهم بالمسارعة الى إعادة النظر فيها اثر عن الائمة من موضوعات الخلاف التي أخشى ان تمس اصل هذه الفريضة ، ويكون

ذلك النظر الجديد على أساس الهدف الذى تصده القرآن من افتراضها وجعلها واجبا دينيا تكون نسبة المسلمين فيه وفى جميع نواحيه على حد سواء (١) .

ورغم المحاولات الحديثة التى بذلت وما زالت تبذل ، فإننا حتى الآن لم نستطع أن نذلل مهمة ولى الأمر ، تنفيذ أحكام هذه الفريضة التى أرادها الله أن تكون ركنا أساسيا فى تنظيم المجتمع ، وذلك باتفاق فقهاء الإسلام على أحكامها وعلى كل ما يتصل بهذه الفريضة بعد أن اختلفوا فى كل ما يتصل بها اختلافًا بعيد المدى ، ثم إعلان الأحكام المتفق عليها للكافة حتى تكون موضع التكليف .

ولسنا هنا بصدد دراسة ولو أجمالية لموضوعات الزكاة ، فإن ذلك يتجاوز نطاق هذا المقال . وإنما كل ما يهمنا هو محاولة ربط أحكام الزكاة بواقع عالمنا الحاضر . ونكتفى هنا بمرض ثلاث مسائل رئيسية ، تعالج كل منها فى فرع مستقل .

الفرع الأول : الزكاة هى مؤسسة الضمان الاجتماعى فى الإسلام .

الفرع الثانى : وعاء الزكاة ، ونصابها ، وسعرها .

الفرع الثالث : هل يجوز أداء أهل الذمة للزكاة بدلا من الجزية الواجبة عليهم .

١ - الزكاة مؤسسة الضمان :

لم يكتف الإسلام بمجرد الدعوة الى الضمان الاجتماعى بمعنى ضمان حد الكفاية لا الكفاف لكل فرد ، وإنما انشأ له منذ أربعة عشر قرنا مؤسسة مستقلة هى مؤسسة الزكاة التى هى بالتعبير الحديث مؤسسة الضمان الاجتماعى .

١ (حادثة نظام الضمان الاجتماعى فى العالم وقدمه فى الإسلام :

من المعروف أن نظام الضمان الاجتماعى ، حديث فى عالمنا الحاضر ، فهو نتاج صراع الطبقات وثمره المشاكل الاجتماعية المتولدة عن الثورة الصناعية والتقسيم الاقتصادى . بخلاف الأمر فى الإسلام ، فقد قرره منذ أربعة عشر قرنا كضرورة حتمية للقضاء على البؤس والفقر وتحرير الإنسان باسم الدين من عبودية الحاجة .

ولعل أهم دور اسند الى مؤسسة الزكاة فى العهد الإسلامى الأول هو ضمان حد لائق لمعيشة كل فرد ، يسميه رجال الفقه الإسلامى بحد الكفاية وهو خلاف حد الكفاف ، ولذلك يعبر عنه بعض الفقهاء باصطلاح (حد الغنى) .

ولم يقف دور مؤسسة الزكاة على مجرد سد حاجة الفقير العاجز ، بل اعطاء فرصة العمل للقادر عليه . فكثيرا ما اعطي الفقير ما يمكن أن نسببه برأس مال ليبدأ تجارة ينميها أو يشتري آلات لصناعة يعرفها . كذلك لعبت مؤسسة الزكاة في العهد الاسلامي الاول دورها في تخفيف الاعباء العائلية ، من ذلك ما قرره عمر بن الخطاب باعطاء كل مولود مائة درهم ويزيد العطاء كلما نما الولد .

ب) الضمان الاجتماعي هو الركن الثاني في العقيدة بعد الصلاة :

اعتبر الاسلام اداء حق الزكاة ، اى حق الضمان الاجتماعي وكفالة حد الكفاية لا التكاف لكل مواطن ، بمثابة الركن الثاني في العقيدة بعد الصلاة . فالقرآن يقول : (**واقبوا الصلاة وآتوا الزكاة** - البقرة / ٨٣) ، ويقول : (**وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة** - البينة / ٤) ، ويقول : (**ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز ، الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر** - الحج / ٤٠ - ٤١) ، ويقول : (**وويل للمشركين ، الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالأخرة هم كافرون** - فصلت / ٦ - ٧) . كما ورد في السنة الصحيحة ، ان الصلاة غير مقبولة ممن لا يحرص على ايتاء الزكاة .

وتعتبر حرب ابي بكر لمانعي الزكاة ، اول حرب في التاريخ تخوضها دولة في مبدأ الضمان الاجتماعي ، فقد حدث عقب وفاة رسول الله ان امتنع فريق من العرب عن اداء الزكاة ، فقرر ابو بكر الصديق قتالهم وقال كلمته المشهورة (والله لو منعوني عقاب بعير كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عن منعه) . وانه حين اعترض عمر بن الخطاب على قتال المتنعمين عن اداء الزكاة قائلا كيف نقاتلهم وهم مسلمون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويطيعون الصلاة ، يجيبه ابو بكر في عزم وتصميم (والله لاقاتلن من يفرق بين الصلاة والزكاة) ، ففتن عمر بن الخطاب ويقول : (فما لله ما هو الا ان رأيت الله شرح صدر ابي بكر للقتال ، فمرمت انه الحق) .

ج) الزكاة فريضة مستقلة مخصصة لاهداف الضمان الاجتماعي :

والزكاة ليست مجرد احسان متروك لاختيار المسلم ، وانما هي فريضة الزامية يستوفيها الحاكم الاسلامي الى جانب الضرائب التي كانت تحصلها الدولة الاسلامية في عهدها الاول لمواجهة التزاماتها المختلفة ، كضريبة العشور ، وهي ضريبة جبركية . اذ الامر كما ورد في الحديث النبوي (ان في المال حقا سوى الزكاة) . وكان يفرد للزكاة بيت مال مستقل بخلاف موارد بيت المال الأخرى ، بحيث لا يجوز مثلا الإتفاق من حصيلتها على الجهاز الإداري للدولة .

وهي فريضة مخصصة لأهداف الضمان الاجتماعي ، بحيث لا يجوز استعمال حصيلتها أو توزيعها إلا في أهداف الضمان الاجتماعي ، والتي عبرت عنها الآية الكريمة بقوله تعالى : (**أما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفي الرقاب ، والفارمين ، وفي سبيل الله ، وابن السبيل ، فريضة من الله** - التوبة / ٦٠) .

ومن ذلك يتبين أن المستحقين في الزكاة ثمانى فئات هم :

١- **الفقراء** : وهم الذين لا يستطيعون بحسب قدراتهم ومواردهم أن يوفرُوا لأنفسهم الحد اللائق للمعيشة ، وهو حد الكفاية لا الكفاف .

٢- **المساكين** : وهم في رأى البعض الفقراء الذين يسألون تمييزاً لهم عن الفقراء المتعفين ، وهم على العموم أسوأ حالاً من الفقراء .

وقد جرت أقوال الأئمة على إعطاء الفقراء والمساكين من الزكاة بحالتها التي تجبى عليها أى نقداً ، في حين أن الشريعة الفراء لم تنص على وسيلة معينة يلتزم بها الإمام في أداء حق الزكاة للفقراء والمساكين ، وإنما حوله التصرف فيها بحسب ما تقتضيه المصلحة بحيث إذا وجد فقير مريض جاز أن يؤدي له الزكاة في صورة خدمة طبية بدلاً من إعطائه مبلغاً من المال قد يكون عديم النفع أو ضاراً في بعض الأحوال .

ونرى في العصر الحالي أن من أفضل صور أداء حق الزكاة ، إقامة المستشفيات للفقراء والملاجئ للمعزة واليتامى . وقد نص ابن عابدين على أن ما ينفق في سبيل تعليم الفقراء وعلاجهم هو اتفاق عليهم وإعطاء لهم . وقد يكون من أحدى السبل ، استخدام جزء من حصيلة الزكاة في إنشاء مطاعم أو مساكن شعبية بل وفي إنشاء مصانع يعمل بها الفقراء المشوهون كل بحسب قدرته فيجدون موزداً كريماً لوزقهم فضلاً عن زيادة العمالة والقضاء على البطالة المفروضة عليهم (٢) .

٣- **العاملون عليها** : وهم المكلون بتحصيل الزكاة ، ولا يجوز في رأى البعض كالإمام الشافعى أن يتجاوز بحال من يتقاضونه ١/١٠ المحصل من الزكاة وهذا يعنى أن الزكاة تغطي مصاريفها من ذاتها ، وأنه يحسن الاقتصاد ففى مصاريف تحصيلها ومصرفها .

٤- **المؤلفة قلوبهم** : وهم الذين يراد كسبهم نحو الاسلام أو درء مخاطرهم سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين ، فهذا نصيب الدعوة للإسلام . وقد قيل أن عمر بن الخطاب اسقط أو عطل سهم المؤلفة قلوبهم حين رفض عطاءهم بقوله (أن الله قد أعز الإسلام وأغنى عنهم) وهذا تصور خاطئ ، إذ لا يملك عمر أو غيره أن يهدر أو يعطل نصاً ، وإنما الأمر مرده عدم توافر شروط تطبيق النص أو كما يعبر عنه البعض بالبعث باصطلاح زوال الوصف .

٥- **الرقاب** : وهو القدر المخصص لتحرير العبيد في العصر القديم ولحاربة جميع صور الاستغلال في العصر الحديث وبذلك تعتبر الدولة الإسلامية أول دولة في العالم حاربت الرق منذ أربعة عشر قرناً بل وخصصت لذلك جزءاً من ميزانية الدولة .

— **الفارمون :** وهم الذين استغفرتهم الديون لسد حاجاتهم الضرورية أو لتحملهم نفقات مالية لبعض المصالح العامة كاصلاح ذات البين أو كسداد تجارتهم أو مصانعهم لسبب خارج عن ارادتهم . فيعطون من الزكاة بقدر ما يقضى ديونهم ويرد اليهم معنويتهم فى الحياة .

— **فى سبيل الله :** وهو ما يتعلق بالحرب المقدسة وسائر المنافع العامة فلهذا الوجه حق فى الزكاة متى كان بها وفر ، الى جانب حقه الاصلى فى خزانة الدولة . ولذاذات السبب كان للمستحقين للزكاة حق فى موارد الدولة الاخرى ، متى لم تكفهم حصيلة الزكاة .

— **ابن السبيل :** وهو قديما المسافر الذى انقطع عن بلده وبعد عن ماله ، وهو حديثا السائح أو اللاجئ الذى انقطع عنه موره بسبب خارج عن ارادته . ومن المسلم به أن للمشرع الاسلامى حرية توزيع حصيلة الزكاة على كل أو بعض هذه الفئات حسبما يراه متفقا والصالح العام . فاذا اعطيت الزكاة لفئة واحدة بقدر ما تندفع به حاجتها اجزأت ، باعتبار ان الحاكم مخير فى التفريق فى الاصناف الثمانية وفى ان يخص بعضهم دون بعض ، وانما ليس له حرية التوزيع على غير هذه الفئات ، فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول : (انى والله لا اعطى احدا ولا ائتمن احدا ، وانما انا قاسم اضع حيث امرت) . ويقول عليه السلام (لا تحل الصدقة لغنى ولا لقوى مكتسب) ، ويقول (من سأل من غير فقر فانهما اكل الجمر) . ويجمع الفقهاء ان من كان قويا على الكسب مع قوة البدن وحسن التصرف تكون الزكاة عليه حراما لانه غنى بقدرته على الكسب مصارا كالفنى بماله .

كما ان من المسلم بان الزكاة تؤخذ من المكلفين فى كل قرية أو مدينة وتتفق على المستحقين من اهل هذه القرية أو المدينة ، وما بقى بعد ذلك يرسل الى بيت المال الرئيسى للزكاة لينفق على المراكز القريبة من مكان تحصيلها والتسى تحتاج الى معونة . ذلك لان اهل كل بلد أولى بزكواتهم حتى يستغنوا عنها ، فلا تحبل من اهل البلد الى غيره الا ان تكون فضلا عن حاجتهم وبعد استغنائهم عنها . ومؤدى ذلك ان فريضة الزكاة هي ضريبة محلية ، بحيث يستقل كل فرع لمؤسسة الزكاة فى تحصيل وصرف الزكاة فى نطاقه المحلى ، وما يزيد أو ينقص من حاجته يستوفيه من الفروع المجاورة بتنظيم من المركز الرئيسى .

٢ — وعاء الزكاة ، ونصابها ، وسعرها :

(ا) وعاء الزكاة :

ان الاموال التى ثبتت فيها الزكاة بالسنة النبوية هي اربعة :

- الابل والبقر والغنم .
- الزروع والثمار .
- النكود .
- عروض التجارة .

وقد اختلفت اليوم صنوف المال عما كانت عليه منذ اربعة عشر قرنا ، وظهرت صنوف جديدة من المال وزادت اهميتها ، ومن قبيل ذلك الدور والامكان المستغلة والآلات الصناعية ، والاوراق المالية ، وكسب العمل والمهن الحرة .

وانه لما كانت العلة فى فريضة الزكاة فى الاموال هى نائها بالفعل أو بالقوة كما يقول الفقهاء . فان كل مال استجد ويقع فيه النماء حقيقة أو تقديرًا تجب عليه الزكاة ، ايا كان ثروة عقارية كالعمارات أو صناعية كالمصانع أو نقدية كالاوراق المالية . وعن الرسول عليه السلام (اتجروا فى مال اليتيم حتى لا تاكله الزكاة) وقوله (ما نقص مال من صدقه) ، وذلك لتعلقها بالاموال ذات النماء . تحقيقًا اى بالفعل أو تقديرًا اى بالتمكن من النماء .

وإذا كان الفقهاء الفدائي لم يفرضوا الزكاة على بعض الاموال كدور السكن وأدوات الصناعة الأولية ، شأن الإبل والبقر والعوامل وحلى الزينة ، باعتبارها من الحاجات الشخصية الممدة للاستعمال ، فانها تظل كذلك معفاة باعتبارها اموالاً غير نامية لا بذاتها ولا بالقوة . أما اذا تحولت دور السكن الى الاستغلال لا الاستعمال الشخصى ، ولم تعد اليوم أدوات الصناعة يملكها صانع يعمل بيده اى لاستعماله الشخصى انما هى للاستغلال ، فانه تلحقها حينئذ فريضة الزكاة .

ب (نصاب الزكاة :

والقاعدة ان الزكاة لا تكون الا من ظهر غنى ، فالمشغول بالحاجة الأصلية كالمعذور ، بحيث يعفى الحد الأدنى من الثروات أو الدخول اللازم للنفقات . الضرورية لمعيشة الفرد وهو ما يعرف فى الفقه الإسلامى بحد الكفاية ، وهـ نصاب الزكاة الذى دونه عفو لا يتحقق به يسار . وعليه فان كل من لم يملك النصاب لا يؤدى الزكاة ، بل هو يستحقها . وقد ذهب عمر بن الخطاب عـا، الرمادة الى اباحة الزكاة لمن هو مالك لمائة شاة لا أربعين شاة كالأصل ، وذلك لان هذه المائة وقد أصابها الجرب والعجب لظروف عام المجاعة لا تغنى عن أربعين شاة فى الخصب . كما نقل عن عمر بن عبد العزيز قوله : و (انه / بد للمراء المسلم من مسكن يسكنه ، وخادم يكفيه مهنته ، وقرس يجاهد عليه عدوه ومن ان يكون له الاثاث ، فاقضوا عنه فانه غارم) .

وقد ورد فى السنة ان نصاب الزكاة اى حد الإعفاء هو ما دون العشر دينارا أو المائتى درهم ، ويقدر ذلك البعض بالعملة المصرية الحالية بهائـ جنيه فى الحول (٣) . ومؤدى ذلك ان من كان دخله السنوى فى مصر دون ذلك فانه يعفى من الزكاة ، بل هو ممن يستحقها .

ج (سعر الزكاة :

وسعر الزكاة بصفة عامة ، دون خوض فى التفاصيل ، هو بواقع ٢٥٪ من رؤوس الاموال المنقولة (٤) والأنعام والنقود وعروض التجارة ، وما بين ٥٪ و ١٠٪ من الدخل بحسب ما اذا كان بجهد أو بغير جهد لتقول الرسول عليه السلام (ما سقته السماء ففیه العشر ، وما سقى بقرب ففیه نصف العشر) . الا انه من المتفق عليه ، ان ذلك القدر هو الحد الأدنى المفروض فى الاموال ، لاستمرار قيام مؤسسة الزكاة وحيث لا تحتاج الجماعة الى غير حصيلته، أما اذا عجزت مؤسسة الزكاة فى حدود النصاب المقرر لها شرعا أن تقوّم بالتزاماتها كمؤسسة للضمان الاجتماعى ، فان للشارع ان يقدر حاجة المؤسسة

ويحصل لها من اموال المسلمين ما يتجاوز هذا النصاب ، وبالقدر السذى يمكنها من اداء رسالتها بكفاءة كل محتاج عاجز . وذلك إعمالاً لقوله تعالى (فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم - المعارج / ٢٤ و ٢٥) ، وقول الرسول (تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم) . وهو ما عبر عنه سيدنا على بن أبى طالب (ان الله فرض على الأغنياء فى أموالهم بقدر ما يسع فقرائهم) ، وعبر عنه الإمام بن حزم بقوله (وفرض على الأغنياء من كل بلد ان يقوموا بفقرائهم ، ويجبرهم السلطان على ذلك اذا لم تقم الزكوات بهم) ، وعبر عنه الإمام الشافعى بقوله : (ان للفقراء حقبة استحقاق فى المال ، حتى صار بمنزلة المال المشترك بين صاحبه وبين الفقير) .

٣ - اداء أهل الزكاة :

واذا كانت مؤسسة الزكاة هى مؤسسة الضمان الاجتماعى فى الاسلام ، يستفيد منها المسلمون وغير المسلمين على السواء ، فاننا نرى اليوم ، ازاء تغير الظروف جواز اداء أهل الزكاة بدلا من الجزية الواجبة عليهم ، وذلك كنظام ضريبى موحد .
ونبين ذلك فيما يلى :

(١) طبيعة الزكاة :

الزكاة هى ضريبة دينية مخصصة ، يلتزم كل مسلم باداؤها كركن من أركان الاسلام لا يكحل اسلامه الا بها ، وتلتزم كل دولة اسلامية باستيفائها وصرفها على أوجهها المخصصة .

— **فهى ضريبة** بمعنى الجبر والالزام ، والتعلق بالمال لا الشخص وهو ما عبر عنه الفقهاء القدامى بانها حق مالى ، ونعبر عنه بلغة اليوم بانها ضريبة ومن ثم فانه يخضع لها الفرد فى ماله بصرف النظر عن تحقق شرط التكليف الدينى فيه او عدمه ، وهو شرط العقول والبلوغ . كما انها بهذا الوصف لا تسقط بموت المالك ، ولا بهلاك المال من صاحبه بعد استحقاقها .

— **ودينية** وذلك لانها ركن من أركان الاسلام ، لا يكحل ايمان المسلم الا بادائها ، ذلك ان فاعل الزكاة ومؤديها يريد بها وجه الله تعالى وثوابه واطاعة امره وعبادته . ولهذا سميت الزكاة « بالصدقة » تطيب بها نفس المسلم ويثاب عليها . فكل زكاة صدقة وليست كل صدقة اختيارية زكاة . فيقول الله تعالى : (**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكّيهم بها - التوبة / ١٠٣**) ، ويقول سبحانه (**وما آتيتكم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون - الروم / ٣٩**) . ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام : (وادوا زكاة أموالكم طيبة بها أنفسكم) ، ويقول عليه السلام : (اذا اعطيتكم الزكاة فلا تنسوا ثوابها ان تقولوا اللهم اجعلها منقما ولا تجعلها مغرما) ، ويستحب لمعطى الزكاة ان يحمد الله على نعمته ويفضله عليه بتمكّنه من ادائها .

والرأى منعتقد بان من ينكر الزكاة يخرج عن الاسلام ويعتبر كافرا ، ومن متنع عن ادائها تؤخذ منه كرها ، ولا يثاب عليها . وفى الحديث الشريف (والذى سمع بيده ، لا يموت أحد منكم فيدع ابلا أو غنما أو بقرا لم يؤد زكاتها الا جاءت

يوم القيامة اعظم مما كانت واسمن تطؤه بأخفافها وتنطحه بقرونها ، كلما نفدت آخرها عادت عليه اولها حتى يتقى بين الناس) ، وقوله عليه السلام (ان الصدقة لتبني مية سوء ، وانها لتقع في يد الله قبل ان تقع في يد السائل) .

— وهي مخصصة لاهداف الضمان الاجتماعي ، اذ لا يجوز صرف حصيلتها الا على الفئات الثمانية السالف ذكرها ، والتي يجمعها صفة الحاجة ، وانه يتعين على الدولة ان تترد لها ميزانية مستقلة ، ولا يجوز الصرف من حصيلتها على الجهاز الاداري للدولة او الإنفاق العام الحكومي .

وتخلص من ذلك الى امرين أساسيين : —

أولهما : ان الزكاة من ناحية المسلم ، هي فريضة تعبدية ، تحقق له عائدا مجزيا في دنياه وآخرته .

ثانيهما : ان الزكاة من ناحية الدولة ، هي ضريبة مخصصة ، فهي من اهم موارد بيت المال «خزانة الدولة» ، ولكنه ايراد مخصص لاهداف الضمان الاجتماعي

(ب) طبيعة الجزية :

وقد فرض الاسلام الجزية على اموال الذميين في مقابل الزكاة المفروضة على اموال المسلمين ، باعتبار ان لهم مالنا وعليهم ما علينا . فلا يخاطب أهل الذمة بالزكاة بصفتها التعبدية وعدم اسلامهم ، وانها يخاطبون بالجزية . واذا كان يلاحظ مضاعفة الجزية عن الزكاة ، فذلك لان اهل الذمة معفون من واجب الدفاع والقتال عن المسلمين . ولذلك تخفف الجزية عن يريد من الذميين مشاركة المسلمين في القيام بواجب القتال ، كما كانت تسقط الجزية اذا عجز المسلمون من الدفاع عن الذميين وحمايتهم (٥) .

فليست الجزية كما تصورها البعض خطأ ، ضريبة على الاشخاص ، او هي جزاء او عقوبة على غير المسلمين لحملهم على الاسلام . وانما هي ضريبة على الاموال ولا تفرض على كل الذميين وانما على الموسرين منهم ، كما يعنى منها الصبيان والنساء باعتبار اعفائهم من واجب الدفاع والقتال .

لماذا كانت الجزية على هذا النحو ضريبة مالية على الذميين في مقابلة التزام المسلمين بالزكاة ، وسبب مضاعفتها هو اعفاء الذميين من واجب الدفاع والقتال . وانه لما كان الوضع اليوم قد تغير وصار الذميون في الدول الاسلامية يخدمون كالمسلمين بالقوات المسلحة ، فانه يتعين بالتالي خفض سعر هذه الضريبة لتكون بذات سعر الزكاة . ومؤدى ذلك امكان تطبيق الزكاة كنظام ضريبي موحد على المسلم وغير المسلم ، وان ظل المسلم دون الذمي مخاطبا بالزكاة كالتزام تعبدى لا كالتزام مالى فحسب . ولنا في ذلك سابقة لعمر بن الخطاب على نحو ما سنبينه .

(ج) اجتهاد عمر بن الخطاب في الجزية ودلالته :

حدث في عهد عمر بن الخطاب ان اشتكى نصارى بنى تغلب من الجزية قائلين : نحن عرب لا تؤدى ما تؤدى العجم ، ولكن خذ منا كما يأخذ بعضكم من بعض ، قاصدين بذلك الزكاة . فرفض عمر بن الخطاب قائلا : الزكاة فرض

المسلمين ، فقالوا له : زد ما شئت بهذا الاسم لا باسم الجزية . فاسقط عنهم
عمر الجزية واستوفها باسم الصدقة (الزكاة) ، وان ضاعفها عليهم قائلا :
سيوها ما شئتم (٦) . .

وإذا كانت الزكاة على نحو ما رأينا ، هي ضريبة تؤدي على أموال
المسلمين الخاضعين لها بغض النظر عن المالك لها . وكانت الزكاة هي الضريبة
على أموال الدين لا أشخاصهم ، وذلك في مقابلة الزكاة ، وان سبب
مضاعفتها هو اغناؤهم من واجب الدفاع والقتال .

فانه لا شك، إزاء التزام الذميين اليوم شأن المسلمين بالدفاع عن البلاد
والقتال في سبيلها ، فانهم يلتزمون بذات سعر الزكاة كنظام ضريبي موحد على
المسلم وغير المسلم (٧) ، ويبقى للمسلم جانبها التعبدى والثواب عليها بقدر
حرصه على أدائها بطيب نفس ابتغاء وجه الله ومرضاته .

-
- (١) انظر فضيلة الامام الشيخ محمود شلتوت ، الإسلام فقيدة وشريعة . طبعة دار الفلم
القاهرة ، ص ١١٠/١٠٩ .
- (٢) انظر في هذا المعنى ايضا الدكتور ابراهيم نزار احمد على ، الموارد المالية في الاسلام
الطبعة الثالثة ١٩٧٢ ، مكتبة الانجلو المصرية ص ٥٨ .
- وكذا توصيات حلقة الدراسات الاجتماعية لجامعة الدول العربية المتقدمة بدبشيق سنة ١٩٥٢
- وكذا قرارات وتوصيات المؤتمر الثاني لجمع البحوث الاسلامية المتخذ بالقاهرة في
مايو سنة ١٩٦٥ .
- (٣) انظر الدكتور شوقي اسماعيل شحاته ، محاسبة زكاة المال علما وعيالا ، الطبعة الاولى
سنة ١٩٧٠ مكتبة الانجلو المصرية ص ١٩٩ .
- (٤) وعليه نفوس الاموال الثابتة كالارض والمباني والآلات الصناعية ، لا تجب فيه الزكاة
وانما تجب على الدخل الناشئ عنه .
- (٥) يروى البلاذري في كتابه فتوح البلدان ان المسلمين حين دخلوا حمص اخذوا الجزية
من اهل الكتاب الذين لم يريدوا دخول الاسلام ، ثم عرف المسلمون ان الروم اعدوا
جيشا كبيرا لمهاجمة المسلمين وانهم لا يقدرون على الدفاع عن اهل حمص وقد يضطرون
الى الانسحاب ، فاعادوا الى اهل حمص ما اخذوه منهم وقالوا لهم شغلنا عن نصرتمكم
والدفاع عنكم ، فانتم على امركم ، فقال اهل حمص : ان ولايتكم وعدلكم احب اليانا
مما كنا فيه من الظلم والفساد ، ولندفعن جند هرقل من المدينة مع عاملكم ، ونهضوا بذلك
وسقطت منهم الجزية .
- (٦) انظر الاموال ، لأبي عبيد ، والدكتور شوقي اسماعيل شحاته ، محاسبة زكاة المال
علما وعيالا ، المرجع السابق ص ٦١ .
- (٧) انظر هذا المعنى ايضا فضيلة الاستاذ محمد ابو زهرة في مشروع قانون الزكاة الذي قدمه
مجلس النواب المصري سنة ١٩٤٧ .

الأسئلة مائة الفارسي

الإيمان ..

سال رجل الحسن البصري المؤمن انت ؟ فقال : ان كنت تريد قول الله تعالى : (آمنا بالله وما انزل الينا) فنعم ، به نشكع ، ونتوارث ونحقق الدماء ، وان كنت تريد قول الله عز وجل : « انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم » فنسال الله ان نكون منهم .

٢٢٠ سنة

قدم احد المعمرين على معاوية ، فقال له : كم اتى عليك ؟ قال : مائتان وعشرون سنة ، قال : ومن اين علمت ؟ قال : من كتاب الله . قال : ومن اي كتاب الله ؟ قال : من قول الله تبارك وتعالى : « وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب » قال : حدثني عن الذهب والفضة قال : حيران ان اخرجتهما نفدا ، وان خزنتهما لم يزدا ، قال فاخبرني عن قيامك وقصودك واكلك وشربك ونومك وشهوتك للباءة . قال : اما قيامي فان قيمت فالسماء تبعد وان قعدت فالارض تقرب ، واما اكلی وشربی ، فان جمعت كلتيهما ، وان شبعت بنهرت واما نومي فان حضرت مجلسا حالفتي ، وان خلوت فارقتي ، واما الباءة فان بذلت عجزت ، وان متبتعت غضبت .

الزوج الوفي

روى ان رجلا أراد أن يطلق امرأته ، فقيل له ما الذي يرييك منها ؟

قال : العاقل لا يهتك سرا .
فلما طلقها . قيل له : لم طلقتها ؟ فقال : مالى ولا مراة غيرى .

كيف رأيت الدهر

سئل احد المعمرين : كيف رأيت الدهر ؟ قال :

سنيهات بلاء ، وسنيهات رخاء ، ويوم شبيهه بيوم ، وليلة شبيهة بليلة .. يهلك والد ، ويخلف مولود ، فلولوا الهالك لامتلات الدنيا ، ولولوا المولود لم يبق احد .

لا تقبل ...

مدح ابو مقاتل الضير الحسن بن زيد بقصيدة مطلعها :

لا تقبل بشرى ولكن بشرىان
غرة الداعى ويوم المهرجان
فكره الحسن ابتداءه بلا تقبل
بشرى فقال لو قلت :

غرة الداعى ويوم المهرجان
لا تقبل بشرى ولكن بشرىان
لكن احسن لأن الابتداء بلا
قبيل ، فقال له ابو مقاتل :
لا كلمة اشرف من التوحيد ،
وابتداءه بلا .

فتوى اللجام

ابتاع رجل من آخر مرسا ، فأراد البائع أخذ لجام الفرس . فأبى المشتري .. فترافعا الى عالم ، فعرضا عليه فقال لهما : اصبرا حتى اطالع .. فأخرج نسخة من البردة ، وتصفح أوراقها والتفت الى المشتري وقال له : اثبتت ان الفرس جموح وخذ اللجام ، يلح البائع فى الخصام ماتتهره وقال له يقول الامام البصيرى : « كبا ترد جراح الخيل باللجم » فباى شيء يرد هذا المشتري الفرس ان جمح ..

المال

قال بعض الفرس : من زعم انه لا يحب المال فهو عندى كاذب حتى يثبت صدقه ، واذا ثبت صدقه فهو عندى احب .
وقال يونس : لو ان الدنيا مملوءة دراهم على كل درهم مكتوب من اخذه دخل النار لامست وما على ظهرها درهم يوجد .

وقيل لما ضربت الدراهم والدنانير صرخ ابليس صرخة وجع واصحابه فقال : قد وجدت ما استغنيت به عنكم فى تضليل الناس ، فالاب يقتل ابنه والابن يقتل ابيه بسبيبه .

ملاحظات في

للدكتور عماد الدين خليل

(١)

قدم القرآن الكريم ملامح (منهج) أصيل في التعامل مع التاريخ البشري ،
والانتقال بهذا التعامل من مرحلة العرض والتجميع فحسب ، الى محاولة
استخلاص القوانين التي تحكم الظواهر الاجتماعية - التاريخية ، كما فعل
ابن خلدون .. وهذا يتمثل بالتأكيد المستمر في القرآن على قصص الانبياء
والأمم السابقة ، وعلى وجود (سنن) و (نواميس) يخضع لها التاريخ في
سيره وتطوره وانتقاله .. ولقد وقع كثير من المؤرخين وفلاسفة التاريخ
المعاصرين في خطأ القول بأن (ابن خلدون) هو أول من مارس هذا المنهج وأنه
لا توجد قبله أية محاولة في هذا السبيل ، كما وقع ابن خلدون نفسه في هذا
الخطأ عندما أكد في (مقدمته) أنه لم يعثر على أية محاولة في هذا المجال ..
إن المنهج الجديد الذي يطرحه القرآن يؤكد - أكثر من مرة - على أن
(التاريخ) لا يكتسب أهميته الإيجابية إلا بأن يتخذ كوماء تستخلص منه القيم
والقوانين التي لا يستقيم التخطيط للحاضر والمستقبل الا على هداها ، وهو

(منهج) بأمر الحاجة الى إجراء مقارنة شاملة بينه وبين منهج القرآن (الغنى)
وتبيان الأسباب التي صدرت المسلمين في القرون الأولى عن التأثير بهذين
المنهجين والتزام تعاليمهما التي لو أخذوا بها ونفذوها في حقول الفن والتاريخ
لسبقوا سبقا كبيرا ولقدّموا معطيات عظيمة في كلا الحقلين .. !

(٢)

في القرآن الكريم يغدو (التاريخ) وحدة زمنية .. تتهاوى الجدران التي
تفصل بين الماضي والحاضر والمستقبل ، وتتعاقد هذه الأونيت الثلاث عناقا
مصريا .. حتى الأرض والسماء .. زمن الأرض وزمن السماء .. قصة
الخلق و يوم الحساب .. تلتقي دائما عند النقطة الحاضرة في عرض القرآن
.. فهذا الانتقال السريع بين الماضي والمستقبل ، بين الحاضر والماضي ، وبين
المستقبل والحاضر ، يوضح حرم القرآن على إزالة الحدود التي تفصل بين
الزمن ، فتغدو حركة التاريخ التي يتسع لها الكون ، حركة واحدة تبدأ يوم خلق
الله السموات والأرض وتنتهي نحو يوم الحساب .

ان الحياة الدنيا فصل تاريخي يتشكل من الماضي والحاضر ويرتبط بمستقبل
يوم الحساب ولهذا يقدم لنا القرآن الكريم وصفا رائعا لهذا التوافق بين الماضي
والحاضر والمستقبل ، وينقلنا بخفة وإبداع بين الأونيت الثلاث حيث تنوب
الفواصل والحواجز وتسقط الجدران .. !

(٣)

يبدو أن هنالك (حتية) لا محيص عنها في سقوط الدول والحضارات ..
وحتى تجربة الاسلام كدولة وحضارة اطلحت بها هذه الحتية .. والقرآن
بواقعيته وأحاطته المعجزة يقرر هذه الحقيقة ولا يستثنى منها الاسلام والمسلمين
« وتلك الأيام نداولها بين الناس » وقد قال « بين الناس » بمعنى عموم هذه
(السنة) التي لا محيص عنها والتي تقوم ولا ريب على أسبابها ومقدماتها في
صميم العقل الإنساني نفسه .. وهذا لا يدفع الى اليأس — بل على العكس —
انه يدفع المؤمنين الإيجابيين الى محاولة تقديم مزيد من التجارب .. !!

ان الحياة الدنيا أشبه بالناعور .. والشجاع الشجاع هو الذي يحصل
على (صعدة) أكثر في تاريخ هذه الحياة الدائرة ، كي يرى البشرية صورا من
حقائق التطبيق الصحيح للهاديء المساوية .. ويمكن تشبيه هذه الوضعية
(الدينامية) برجل كتب عليه ان يحيا في مدينة ما ، وأتيح له ان يغادرها الى
أى مكان مرتحلا طالما أسعفته إمكاناته وإرادته .. إلا أن مصيره دائما هو أن
يعود الى مدينته الأولى .. والإنسان ، كلما كان ذا إرادة أقوى ، وعزيمة
أسمى ، وجهد وإبداع أشد تركيزا ، كلما أتيح له السفر الى منطقة أبعد واكتشاف
مزيد من المجاهيل ..

إن كلا منا هو هذا الرجل ، وبمجموعنا كجماعة ننتمي الى هذا المبدأ أو
ذاك ، نستطيع أن نرحل ، ونعلم البشرية أن ترحل معنا الى تلك الأفاق البعيدة
الرائقة .. فإذا ما حتم علينا أن نعود ، فلا بد أن نبذل محاولات ثانية وثالثة
من أجل إعادة الكرة والاستعداد لرحلة أكثر غنى وسمعة وتجاوزا .. وهذا

لا معنى ان المنجزات الحضارية تصاب دوماً بنكسات (دورية) ، على العكس ، إنها تبقى صاعدة على سلم لا ترجع عنه الى اسفل .. هذا فيما يتعلق بالابداع المادى للحضارة أى ما يصطلح عليه باسم (المدنية) .. اما القيم والمبادئ فهى التى تتعرض للانكسارات ، وهى لا تستقيم إلا بانتصار المبدأ الأقوى والأكثر انسجاماً ، مع بنية الانسان .. ولن يتأتى هذا إلا بأن يتولى زمام القيسادة ، ويكون فى القصة رجال يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ولا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً !!

(٤)

يعطى القرآن الكريم صورة مليئة بالحياة والتدفق لمجرى التساريخ البشرى ، ويحاول — بأيت بينات — أن يهدم السدود التى تفصل زمناً عن زمن أو مكاناً عن مكان .. فتاريخ البشرية وحدة متصلة بزمناتها ومكانها .. تحكمها قوانين عليّة (غيبية) يعبر عنها القرآن بكلمة (سنن) وهى قوانين لا يفلت من حكمها أحد ، ولكنها لا تفعل فعلها فى كثير من الأحيان مباشرة ، وانما بوسائط تعطيها الحرية فى الاختيار ، إلا أنها فى مداها البعيد تعمل ضمن القانون الغيبى الإلهى الدقيق .. فالقرية الظالمة التى عنت عن امر ربها وانحرفت عن الطريق ، يسخر المترفون لعقابها ، فيفسقون فيها ، فيحق عليها القول دماراً يحوها من صنعة الوجود .. وأحياناً أخرى تسبهم القوى العليا فى صنع التاريخ مباشرة ، ودونها سبب أو واسطة .. وليست حشود الملائكة الكرام الذين قاتلوا الى جانب المسلمين فى معركة (بدر) الفاصلة ، سوى مثل من الأمثال ..

(٥)

يضع القرآن الكريم اسساً مرنة لحركة التاريخ البشرى وتشكيل المصير .. فهو يرسم الخطوط الأساسية للنظام الذى يلزم به أفراد المجتمع الإسلامى كى يقدوا كل واحد منهم قادراً بشكل أو آخر ، على الاسهام فى حركة التاريخ .. ولكنه — من جهة أخرى — يفتح الطريق أمام المتفوقين ، للوصول بجهدهم الدائب وعطائهم المبدع ، الى القيم التى لا يستطيع بلوغها إلا القلة الفذة .. هؤلاء هم الذين تقع على عاتقهم مسؤولية توجيه التاريخ وتشكيل حركته .. فالمجتمع المسلم فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين رضوان الله عليهم ، كان يمثل (تشكيلة) من الأفراد السذيين التزموا بالنظام وأحسنوا الالتزام ، فصنعوا تاريخاً مشهوراً فى عقدين من السنين .. ومن بين هؤلاء كان يبرز أمثال أبى بكر وعمر وعلى وابن الوليد ليوجهوا التاريخ وفقاً لمبادئ الإسلام ..

(٦)

الرؤية القرآنية تدعو الى أن تنبثق (حركة التاريخ البشرى) عن الحق ، تربط الأرض بالسماء ، تحتم نشوء حضارة مبدعة متطورة .. تربط الأجيال بالأجيال ، والماضى بالحاضر والمستقبل ، والانسان الفرد بالبشرية .. تنفخ روح العمل والتنافس فى شرايين الانسان ، تدفعه الى استغلال الزمن والتراب ليصنع منهما تاريخه ، تشحذ إرادة الإبداع والعطاء ..

الحساب والميزان والجنة والنار هي المقاييس النهائية لفاعلية الانسان التاريخية ، والفاعلية التي تصنع التاريخ لا تعدو أن تكون إحدى اثنتين : بناءاً وهدامة .. التاريخ عبقنا هدم وبناء .. هدم للانسان وبناء له .. هدم للحضارة وبناء لها .. ومن ثم فإن التقييم النهائي لدور الانسان في التاريخ يأتي هناك .. وهو ليس تقييماً أخلاقياً محسوب ، ولا ذاتياً محسوب ، بل هو تقييم موضوعي يحاسب الانسان على ما قدمت يداه ، وما تقدم يدا الانسان حصيلته التاريخ ، منها اللتان تعجنان التراب بالزمن ، بالفكر ، بالروح ، بالارادة فيتشكل التاريخ ، والحساب والميزان ، بما أنهما جزء اساسي من الحق الذي يقوم عليه بناء الكون ، يحتمان على الانسان ابتداء أن يكون إيجابياً ، أن تكون حياته معطاءً دوياً .. أن يملأ دوره المتاح له في التاريخ ، لأنه سيحاسب على ذلك كله ، وفق ادق الموازين حكمة وعدلاً ..

(٧)

ينبثق التفسير (المسيحي) للتاريخ عن فكرة (الخطيئة والخلاص) وتحويلها من نطاقها الفردي الى النطاق الجماعي . وإذن فإن التاريخ — في هذا التفسير — تحكمه جبرية تجعل الأمم المسيحية تتجه جميعاً ، في حركة صاعدة ، الى مثلها الأعلى ، مهما اقترفت من ذنوب وارتكبت من معاصي وآثام ، فما دام المسيح عليه السلام قد (خلصها) بصلبه فقد رفعت عنها المسؤولية وسبقت الى مصيرها دون مقاومة او عناء .. في التفسير الاسلامي تمتد نظريته الاخلاقية في المسؤولية الفردية لتشمل النطاق الجماعي ، ولا يتحدد مصير أية جماعة الا نتيجة لما تقدمه من اعمال ، وهذا يعني أن التاريخ لا تحكمه جبرية تجعل من فعاليات الأمم حركة صاعدة ومصيراً مكتوباً بأحرف من نور .. وانما تتعرض هذه الأمم في سيرها للصعود والهبوط ، للنجاح والفشل ، للارتفاع والانهار ، اعتماداً على ممارساتها ومعطياتها .. ومن ثم تبرز المسؤولية كعامل اساسي في توجيه التاريخ . ان النذر التي يقدمها الله سبحانه تبدو في التفسير المسيحي مسيطرة على اولئك الذين لا يؤمنون بفكرة الخطيئة والخلاص ، أما في التفسير الاسلامي فنقنصب على كل انسان وكل جماعة تتنكب عن المعنى على الصراط المستقيم ، ومن ثم فإن النقمة قد تكتسح المسلمين انفسهم بمجرد خروجهم عن هذا الصراط !

(٨)

شن فلاسفة التاريخ الغربيين حملة قاسية على (ارنولد توينبي) في كتابه الشهير (دراسة للتاريخ) ووصفوه بأنه مفكر لاهوتي مزج استنتاجاته الفكرية بكثير من القيم والرؤى الروحية . والحقيقة أن خطوة (توينبي) تعتبر فتحاً جديداً في مجال التفسير التاريخي ، كما كان كتاب إشينغلر (سقوط الحضارة الغربية) قد شكل جزءاً كبيراً من هذا الفتح . ولكن خطوة توينبي هذه ، ومن قبله إشينغلر ، فيها نوع من التراجع وعدم الاتزان ، أو بالأحرى نوع من الانفصالية (العلمانية) بين القيم العقلية والروحية . ومن هنا استطاع الماديون والطبعيون والعقلانيون أن يجدوا ثغرات واسعة للطعن ضد توينبي . ان تفسير التاريخ البشري يجب أن ينبثق عن موقف موضوعي شامل يربط ويوازن بين سائر القيم التي تصنع التاريخ مادية وروحية ، طبيعية وغيبية :

ولن يتحقق هذا - بطبيعة الحال - إلا في نطاق (الموقف الإسلامى) حيث لا يستطيع مفكر أو ناقد أن يجد أى مجال للطعن ضد القيم الروحية ، إذ هي - هنا - ليست منفصلة عن (المادية) و (العقلية) وهي تعمل بانسجام وتوافق مع سائر القوى في تحريك وتوجيه الأحداث التاريخية .. ذلك أن القيم الروحية - في الإسلام - ليست مجرد ممارسات فردية شعائرية بالمعنى اللاهوتى بل هي قيم ذات جذور عميقة وارتباط عميق بواقع الحياة البشرية والوجود الجسمى على السواء ..

(٩)

يتصف الخالق سبحانه بالرؤية المثلثة لأبعاد الزمن الثلاث : الماضى والحاضر والمستقبل ، بما أنه سبحانه « وسع كل شيء علما » . ولذا فالتفسير الذى يقدمه القرآن الكريم للتاريخ ، بما أنه شامل محيط ، يعطى أصدق صورة للسنن التى تسير هذا التاريخ . وبما أن هذه السنن ذاتها من صنعه سبحانه ، إرادة وعلما ومصيرا ، فإن هذا التفسير يأخذ صفة الكمال .. ويزيده موضوعية وكمالات رؤية الله سبحانه البعد الثالث الذى يصنع التاريخ : فطرة الإنسان ، تركيبه الذاتى .. الحركة الدائنة في كيانه الباطنى ، اهتزازاته العقلية والعاطفية والوجدانية .. وإرادته المسبقة ، وما تؤول إليه هذه جميعا من معطيات تمنح حركة التاريخ أبعادها الحقيقية ..

(١٠)

ترتبط الرؤية التاريخية بالقرآن الكريم ارتباطا وثيقا .. أى سورة قرأت .. أى صفحة شاهدت .. طالعك هذه الاشارات الى (مواقف) تاريخية لا ريب أنها تشكل بجمعها نسقا رائعا ومتكاملا للتفسير الإسلامى للتاريخ .. فمساحة واسعة من القرآن إذن يشغلها الاهتمام بهذا الجانب الحيوى من أجل هذا كان التفسير الإسلامى أمرا محتما ما دام القرآن الكريم يضرب دوما على هذا الوتر الحساس ويدعو المتأملين الى الخروج بنتيجة نهائية عن مصير الحركة التاريخية ودور الإنسان في مداها القريب والبعيد .

إن جانبنا كبيرا من سور القرآن وآياته البينات تنصب على إخطار البشرية بالتحذير الإلهى وتنبئ عن رؤية وتفحص التاريخ .. وإن أشد صيحات المفكرين المعاصرين حدة ومرارا تلك التى ترفع أعلام الخطر الذى يحيط بمسيرة البشرية ، وتنبئ هي الأخرى من رؤية التاريخ ، أن القرآن الكريم لا يقدم (قصصه) و (صوره) و (مشاهداته) لجرد ترف ذهنى ، أو إشباع حاجة المؤمنين الى القصص والصور والمشاهدات .. إنما يجيء بها من أجل أن يحرك الإنسان صوب الأهداف التى رسمها الإسلام ، ويبيعه في الوقت ذاته ، فردا وجماعة ، عن المزالق التى أودت بمصائر عشرات ، بل مئات ، من الأمم والجماعات والشعوب .. (فالحركة) لا مجرد السرد القصصى كانت أبدا هدف المروض التاريخية للقرآن .. كما أنها - في الوقت نفسه - هدف الصيحات المعاصرة التى سبرت أغوار التاريخ وأشارت الى الهالوية التى تنتظر مسيرة

القرن العشرين . . « قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين . هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين . ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون إن كنتم مؤمنين » !!

(١١)

إن (الموقف) الاسلامي من التاريخ يتميز بهروته وبعده عن التوتر او التازم المذهبي الذي يسعى الى تولبة الوقائع التاريخية وصبها في هيكله المسبق ، واستبعاد او تزيف كل ما لا ينسجم وهذا الهيكل ، الامر الذي يوقع التفسير الوضعية في كثير من الاخطاء والانحرافات . اما التفسير الاسلامي فإنه ينظر بانفتاح تام الى الاحداث ويسلط الضوء على مساحاتها جميعا دون ان يقتصر على الاحمر او الاخضر لسكى تبدو حمراء او خضراء . . إن رؤيته للأحداث رؤية واقعية شاملة في امتداداتها الزمنية الماضية والحاضرة والمستقبلية . . فيها كانت عليه ، وما هي كائنة عليه وما سوف تكون عليه . . انه — مثلا — يعترف (بالتمايز القومي) ويعطى لهذا العامل (الواقعي) حجهه الحقيقي ، رغم نزعة الاسلام العالمية واستعلائه على الكيانات المحدودة المنغلقة على الأرض أو اللون أو الجنس .

وهذا يقودنا الى حقيقة أخرى وهي ان التفسير الاسلامي تفسير (واقعي) لا يتأثر بقيمه ومثالياته في تفسيره للواقع — كما يفعل هيجل وماركس على سبيل المثال — انها يتكلم عن الواقع كما هو ، دون تبرير أو تعديل أو تحوير ، ولكنه من خلال حركته على أرض الواقع هذه ينطلق الى مثالياته وآماته . . انه يسمى معركة (حنين) هزيمة وغرورا ، ويعلم المسلمون ، من خلال واقعيته هذه ، الا يبرروا اخطاءهم وينحرفوا في تفسير الاشياء والوقائع . . ولكنه يعطهم — في الوقت نفسه — ان يفيدوا من هذه الرؤية الواقعية للتاريخ لصياغة العالم المرتجى . .

وهكذا فإن ثمة فرقا حاسما بين المذاهب الوضعية وبين المذهب الاسلامي في تفسير التاريخ . . في الاولى تصاغ حقائق التاريخ وفق المذهب المصنوع سلفا فتقتصر على الانسجام مع وضعية المذهب وتساقي للتدليل عليه وتاكيد . وهذا الخطأ يجرى من حقيقة ان وقائع التاريخ سبقت في الزمن تخطيط المذاهب ، ومن ثم فإن المذاهب جاءت كفضية (بعدية) تسعى الى أن تجبر (القبليات) على التشكل بها .

أما في القرآن فإن التفسير ينبثق عن رؤية الله سبحانه ، وهي رؤية تختلف عن الرؤية الوضعية في انها تحيط علها بوقائع التاريخ ، بأبعادها الزمنية الثلاث : الماضي والحاضر والمستقبل ، لانها رؤية الذات الالهية التي صنعت الواقعة التاريخية ووضعتها في مكاتها المرسوم من خارطة التاريخ البشري والكوني على السواء . . ومن ثم فإن التفسير القرآني ليس أبدا مسلمات بعدي تسعى الى أن تقولب حوادث التاريخ القبلية في إطارها المعتسف ، إنها هو مذهب ينبثق بأسلوب (موضوعي) (عما حدث فعلا) وعن طبيعة التقييم التاريخي للبشرية ، فهو إذن تبلور للخطوط الأساسية لحركة التاريخ يصيها القرآن الكريم في مبادئ عامة يسميها (سننا) ويعتمدها المفسرون المسلمون منطلقا لا لتزييف التاريخ وانما لتفسيره وفهمه وادراك عناصر حركته ومصائر وقائعه ومسالكها المعقدة المتشعبة .

الرؤية الوضعية تمتد الى الماضى لتقبس منه و (تختار) ما يعزز وجهات نظرها ، والرؤية الفرآنية تحيط بالماضى لكى تكثفه فى قواعد وسنن تطرح أمام كل باحث فى التاريخ يسمى الى فهمه ، والى أن يرسم على ضوء هذا الفهم ، طرائق حياته الحاضرة والمستقبلية ، باعتبار أن الأزمان الثلاث إنما هى وحدة (حيوية) تحكمها قوانين واحدة كذلك التى تحكم الحياة سواء بسواء .

(١٢)

إذا ما نظرنا الى مذاهب التفسير فى موقفها من حتمية سقوط الدول والحضارات نجدها تتفق جميعا ، ويضمونها الاسلام ، فى هذه الحتمية . (مهيغل) فى مثاليته يرى الأساس فى ممارساتهم التاريخية كالات مرحلية يستخدمها العقل الكلى فى فترة محدودة ، ثم ما يلبث أن يطيح بها صوب الفكرة الأحسن لكى يجرى ذلك اليوم الذى يكون التاريخ فيه بمثابة التجلى الكامل لهذا العقل . و (ماركس) يخضع التاريخ ، بدوله وحضاراته وتجاريه ، لحتمية تبدل وسائل الإنتاج وانعكاسه على (الظروف) وان كل وضع تاريخى مآله الزوال بمجرد هذا التبدل الديناميكى الدائم .. ثم ما يلبث ماركس أن يتع فى تناقض أساسى مع نظريته عندما يقرر (الدوام) و (الثبات) لمرحلة حكم الطبقة العاملة (البروليتاريا) حيث لا زوال بعدها .

أما (الشينغلر) و (توينبى) فيعلنان عن حتمية سقوط الحضارات كآمر لا مفر منه .. وبينما يفرق شينغلر فى تشاؤميته نجد توينبى يقع فى تناقض صريح — هو الآخر — عندما يؤكد فى الأجزاء الأخيرة من دراسته للتاريخ على أن هنالك أملا فى بقاء الحضارة الغربية المعاصرة بوجه الأعاصير .

هذه المذاهب ، وغيرها ، تقف جميعا موقفا يكاد يكون سوحدًا إزاء حتمية السقوط .. والذى يفرق النظرة الاسلامية عنها أنه يقول بها يمكن تسميته (الحتمية التفاضلية) أى أنه يقرر حتمية سقوط الدول والحضارات لكنه يقرر فى الوقت نفسه إمكانية أية أمة أو جماعة أن تعود باستمرار لكى تنشئ دولة أخرى أو تقيم حضارة جديدة بمجرد أن تستكمل الشروط اللازمة لذلك وأولها عملية (التغيير الداخلى) التى أكد عليها القرآن بقوله « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » والتى تشمل كل التغييرات الأخلاقية الأساسية التى تمكن الإنسان من مواجهة التاريخ .

والاسلام يؤكد مرارا على دور الإرادة البشرية فى صياغة المصير ، ومن ثم فإنه ما أن تنهيا هذه الإرادة للعمل فى ميدان التاريخ عن طريق الشحذ والاستعداد الأخلاقى ، حتى تكون قادرة على مواجهة التحديات المادية والخارجية من أى نوع كانت ، فتعجزها وتصوغها من جديد لصالح الإنسان .. وهكذا يعود الإنسان — فى الاسلام — لينتصر على الحتميات وليستعبد قدرته الأبدية على التجدد والتطور والإبداع ! بينما تقف فى مواجهته كل المذاهب الوضعية لكى تؤكد أنه اذا ما أطيح بتجربة تاريخية فإنه لا قيام بعدها لأنها محتوم عليها أن تواجه هذا المصير فى عالم لا يعترف بقدرة الإنسان على المجابهة والاستعادة والانتصار .. !!

يؤكد القرآن الكريم على أن (العصيان) يشترى إبعاده، تجنى ثماره المرة ليس في الآخرة فحسب، بل هنا في الدنيا أولا.. فالعذاب ينتظر العصاة هنا وهناك، في الأرض والسماء، وينزل قوة وضعفا لكي يكافئ مدى العصيان وحججه وطبيعته. فالمصير - في القرآن - واحد لأنه ينبثق من أعماق الإنسان، من مسؤوليته الفردية الحرة ومن اختياره، هذا الاختيار لأنه (رهين) بها كسبت يدها. المصير واحد، وتلك هي قمة الانسجام مع طبيعة الوجود الإنساني والبناء الحضاري، فليس ثمة (تعليق) للجزاء إلى يوم البعث، إذ أن هذا يعني تناقضا واضحا مع أبسط القوانين التي تسيّر الحياة والأشياء. إذ لا يمكن أن يزرع الإنسان حسكا وشوكا ثم يقطف ثمارا حلوة.. ما دام قد زرع العلقم فلا بد أن يقطف العلقم ويزدرد الشوك وينشق المرارة، بناء على طبيعة قوانين الحياة ذاتها.. القوانين التي تؤكد على أن (الجزاء) يتشكل من جنس العمل، هنا في الأرض وهناك في السماء.

بعبارة أخرى، أن المصير الفردي والجماعي، الذي ينبثق من الاختيار، سرعان ما يتشكل هنا أولا وفي السماء بعد ذلك، ربما كان الفرق بين المصيرين في الدرجة والنوع لا في الكينونة، فالمصير كائن هنا وهناك، والخارجون عن طريق التوجيه الإلهي سيجدون العذاب ينتظرهم في الأرض قبل أن يحاسبوا في السماء.. عذابا يأتيهم من بين أيديهم وأرجلهم، ينعصب عليهم من فوق، ويتفجر من أعماقهم، يزلزل عليهم وجودهم، ويستقطم مؤسساتهم الجماعية، ويمزغ حضارتهم بالتراب.. عذابا يوجهه سياطه تارة إلى النفس وأخرى إلى الجسد، ويعمل معاولة حيناً بعد حين في كل (المعطيات) التي قدمها مجبوع الأفراد على السواء، وربما كان من بين هؤلاء بعض الصالحين، إلا أن العذاب الذي يجيء وفق هذه الصيغة الجماعية لا يفرق أحدا دون أحد، ولكنه يستهدف هذا التشكيل الذي أقامته الأيدي الموجهة والنيات السيئة والقيادات الجاهلية. ومن هنا يأتي التحذير الخطير: «واتقوا عنته لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة»!!

وهكذا نجد أعمال الإصفيان الماضي تسعى إلى مصيرها الفاضل، هنا أولا، فمحبط، ثم تعود لتبتحن مرة أخرى هناك - فيما بعد - فتحبط مرة أخرى «أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين» «فأما الذين كثروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين».. الإحباط والعذاب، دونما نصير.. ومن ينصر الخاطئين الذين اختاروا الطرق المعوجة، وصعدوا عن نيات سوداء إلى أعمالهم التي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى!!

فالمصير واحد إذن - وفق تعليمات القرآن وتحذيراته - ليس ثمة تجزئة ولا ازدواج وليس ثمة فاصل أم جدار بين الأرض والسماء، ولا بين جزاء الإنسان هنا وجزائه هناك، إن المؤمنين يجدون مصيرهم السعيد هنا أولا، بركات تنزل عليهم من السماء، وأما ويقينا يتلجر في أعماق أعمالهم كينابيع ثرة دفقة ما لها من قرار «ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لمتحننا عليهم بركات من السماء».. «إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون».. واية سعادة تعمل

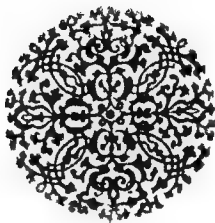
سعادة الإنسان الذى تحرر من الخوف والحزن ؟ .. ان كل عذاب يهون إزاء الخوف والحزن ، وكل مصير يحتل إزاء فتك الحزن ونذير الخوف .. إن الخائفين والحزوين لا يقر لهم قرار ولا يتذوقون سعادة ولا يحسبون طعم الحياة ، إنهم ليسوا أحياء ولكنهم ميتون ، قتلهم الخوف والحزن .. إن هذا الخوف وهذا الحزن يبدآن 'مراد' ، ولكنهما سرعان ما ينعكسان على الواقع الجماعى ويعطيان للتاريخ لونه الدائم وللحضارة وجودها التلقى المهزوز .. أننا نلاحظ اليوم هذا الحزن وهذا الخوف على مساحات واسمة من خارطة العالم ، وهو مصير كان لا بد من تحقيقه إزاء العصيان الذى غطى معظم مساحات الأرض .

ان المؤمنين أفرادا وجماعات ، كانوا دائما سعداء قبل ان ينتقلوا الى السماء ليضاعف لهم الجزاء . وقد اتاحت لهم هذه السعادة المبقة مرمسة حقيقية لتجميع طاقاتهم كلها وتوجيهها وجهة ناءة لتصب فى مجرى الحضارة الواسع اللانهائى . وهكذا انعكس اختيار الأفراد ومصيرهم على طريق الأمة والجماعة ومصيرهما ، فكانت الأمم المؤمنة أكثر الأمة ناعلية وإيجابية وإسهاما فى إغناء حركة التاريخ .

يبقى بعد هذا شئ يجب ان يقال : ان المصير هنا فى الأرض ينبثق قبل كل شئ من ارادة الأفراد واختيارهم ، ولكنه سرعان ما ينساح على الجماعة كلها ليمطيها صفاتها وملامحها بما إنها البحر الذى تصب فيه كل الإردات والاختيارات الفردية ، ومن ثم فإن الجزاء سينصب على الأفراد والجماعات على حد سواء ، وهكذا فان العذاب - فى الأرض - قد يصيب عصاة بالذات - كأفراد - وقد يدمم على الجماعة كلها فيمزقها شرمزق .. كما ان السعادة - فى الأرض - قد تمنح المؤمنين بالذات - كأفراد - وقد تنزل على الجماعة المؤمنة كلها فتوحدها وتجعلها جسدا واحدا اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

أما فى السماء فيتقدم الإنسان وحيدا ليحاسب أمام الله سبحانه ، يحمل معه كتابه الذى خط فيه اختياره وسطر على صفحاته أعماله ، فينال - بعد حسابه - مصيرا مكافئا لهذا الاختيار وذلك العمل .. فى اليوم الآخر تنتفك الجماعات وينصب الحساب على المنطلق الأول للعمل الإنسانى ، وهو الفرد الذى لا مقر له من أن يجابه مصيره هناك « لقد أحصاهم وعدهم عدا . وكلهم آتبه يوم القيامة مردا » .. 11

ولكن - وبين الحين والآخر - سيشهد المحاكمة الكبرى يوم القيامة ، أيضا شتى أسهم كل أفرادها أو جلهم فى العصيان ، صدروا عن نيات سوداء ، وقدموا أعمالا لا وزن لها عند الله .. أو أن بعضهم - على الأقل - سكوت ولم يحرك بدا ولا لسانا ولا قلبا ، إزاء (العصيان) الذى يمارس أمام عينيه ، والفجور الذى يتمخض من سكوته ، والظلم الذى يطيح برقاب الصالحين ، وهو واقف ينظر دونما حراك .. ستدخل هذه الأمة النار « كلما دخلت أمة لعنت أختها » .. وصدق الله العظيم « قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سبيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » .



الحضارة الإسلامية في الأندلس

الدكتور : أحمد شوكت الشطوي

عرفت الحضارة بأنها مجموعة مظاهر الرقي في قارة أو في قسم منها أو عند قوم من أقوامها وتطور أفرادها وجماعاته نفسيا واجتماعيا وعلميا وتبتمه بالازدهار في ميادين التجارة والصناعة وآفاق العلم وحقول الزراعة واتساع العمران وتوسع البنين وشمول الرخاء بين أفراد الشعب وجماعاته وما إلى ذلك مما يوفر للناس حياة ماضلة وعيشة مطمئنة هنية .

هذا وإذا كان التعريف بالحضارة صعبا كما بيتنا فكم بالحصري أن يكتف التعريف بالحضارة العربية التي مجرت ينابيعها عند العرب ، رسالة الإسلام القرآن الكريم العربي اللسان وأنهم بها أقم وأقوام عربية وغير عربية ، مسلمة وغير مسلمة ، عثرات وصعوبات تدفعنا إلى التساؤل عما إذا كانت حضارة العرب بعد الإسلام هي حضارة إسلامية ، أم هي حضارة عربية ، أم هي حضارة عربية إسلامية ؟

١ — هل الحضارة العربية التي أعقبت ظهور الإسلام عند العرب حضارة إسلامية ؟ أنها في الواقع حضارة بدأت إسلامية إذ شمع نورها من تعاليم الإسلام ونبت في ظله وتحت رعاية خلفائه الأولين ، فهي من حيث انطلاقتها حضارة إسلامية بحتة .

✽ الحضارة تعني الإثابة في العصر .

٢ - هل الحضارة التي برزت عند العرب بعد الاسلام عربية بحتة ؟ الواقع انها حضارة عربية لان القرآن العربي كان سبب انطلاقتها ولأن الذين أسهموا بها من غير العرب كانوا ممن تنفخوا بثقافة إسلامية قوامها اللغة العربية التي عزت عليهم أكثر من لغة آبائهم وأجدادهم فأنصرفوا عنها حتى أنه ليس من المبالغ فيه القول بأنه لم يؤلف منهم بغير العربية خلال العصر الذهبي للحضارة العربية الإسلامية إلا النزر اليسير (١) ، أن في ذلك كله ما يبرر نعت تلك الحضارة بالحضارة العربية .

٣ - هل الحضارة التي اعتبرت ظهور الاسلام عند العرب حضارة عربية إسلامية ؟ الحقيقة أن تلك الحضارة انطلقت من مسلمي بلاد العرب ثم انتشرت في بيئات وأقاليم مختلفة العقائد وبين أمم وأقوام عديدة عربية ومستعربة لا يدين بعضها بالاسلام ولكن مبادئه أعجبتها وعدل حكامه راعها وحرية الأديان في ظلها أبهرها وأمره بالتخلي بكماء الأخلاق كان موضع تقديرها فاندفعت الى الاسهام بتلك الحضارة وكان بعض هؤلاء عيسوي النحلة فأمدوا تلك الحضارة بما لديهم من علم ومعرفة ونقلوا اليها ما مرثوه من حضارات الأولين خاصة حضارة اليونان فأصبحوا مساهمين بتلك الحضارة مشاركين فيها ، لذلك رأينا أن تعريف تلك الحضارة بالحضارة العربية الإسلامية أقرب الى واقعها في جميع مراحلها نجرينا على ذلك في جميع مؤلفاتنا .

ومما لا شك فيه أن المستشرقين الذين تعمقوا بدراسة الحضارة العربية الإسلامية لحقهم من الحيرة ما لحق بنا فسماهم بعضهم بالحضارة الإسلامية وفي مقدمتهم آدامز (٢) وسماها الآخرون بالحضارة العربية وفي مقدمتهم فوستاف لوبون (٣) .

أركان الحضارة العربية الإسلامية

تقوم الحضارة العربية الإسلامية على دعائم ومقومات عديدة :

أولها - دعامة الإيمان : ونقصه به تلك الدعامة التي تولد في الإنسان الطمأنينة النفسية فتزوده بسلاح يخفف عنه آثار الخوف والقلق والمصائب والأحزان والآثار والظلم والعدوان (٤) .

ثانيها - الدعامة العقائدية : لقد تميزت الحضارة العربية الإسلامية باحترام العقائد السماوية جميعها كما تميزت بتسامح ديني عجيب لم تعرفه

(١) يعزى لليبروني قوله : انه أحب إلي أن أجهى باللغة العربية من أن أمدح بلغة قومي .

(٢) A dams مؤلف كتاب الحضارة الإسلامية .

(٣) G. be hon مؤلف كتاب الحضارة العربية .

(٤) لقد أحسن الكاتب الإنكليزي كوليم التعبير عن اعتزاز العرب بالإيمان وآثره المظلم فيهم بقوله : كنت مسافرا على باخرة الى طنجة في بلاد المغرب ، إذ بمصافرة هوجاء تهب غتشر السفينة على الفرق فينزل الهول بالركاب فلا يدرون ما يصنعون ويشهد الهرج والمرج بينهم فيزيد من قلقهم ومن القوض في أعمالهم ، وبينما الناس كذلك إذ بي أرى جماعة من العرب استولوا في صف واحد يصلون مكبرين مهللين مسبحين . فسألت أحدهم ماذا تفعلون ونحن على أبواب الفرق ؟ فاجاب : سمينا للخلاص كثيرا ولما لم نوفق جئنا انقطع عند قبرنا قبل الرجاء فاصبحوا في حالة من الشقاء ما بعده شقاء ، بينما كنا مؤمنين برحمة من الله لننجينا بما نحن فيه من بلاد .

حضارة أخرى . لقد بعث الحضارة العربية الإسلامية دين واحد ولكنها كانت للأديان جميعها لذلك استهوت أممته العالم بضعة قرون (٥) .

الدعامة الإنسانية : تميزت الحضارة العربية الإسلامية باقرار وحدة النوع الانساني رغم تنوع اعرافه ومنابته وأوطانه واجتذبت التمييز العنصرى من اصوله فالناس سواسية لا فضل لأحد على غيره إلا بالعمل الصالح الذى يقدمه للمجتمع . ولا يخفى أن الحضارة الحالية مع تقديها لم تستطع حتى يومنا هذا أن تضع حدا للطغیان العنصرى فى كثير من مناطق العالم .

ولك أن تتساءل أيها القارئ عن قصة التمييز العنصرى وعن رأى الحضارة العربية الإسلامية فيها . لقد كان الإيمان بالتمييز العنصرى حليف قوم تبنوه منذ قديم الأزمان فلم يراجعوا عنه مع ما جلب لهم من محن وشقاء ، ولقد وسع الفكرة فى أواخر القرن الثامن عشر عالم انجيزلى هو السير وليم جونز اذ اكتشف بعض الصلات بين اللغات اللاتينية والأغريقية واللاتينية والسانسكريتية فادعى بوجود قرابة وشيجة بين شعوبها ثم أبده فى ذلك عالم آخر هو السير ماكس ميللر فزعم أن آباء الهنود والأوروبيين الأولين كانوا يقطعون أراضى آريان فى أواسط آسيا ثم هاجروا منها متجهين الى الجنوب أو الى الغرب حاملين معهم آثار حضارة ميكانيكية . قسم بعد ذلك ميللر الشعوب الى آرية وغير آرية وزعم بأن الشعوب الآرية متفوقة على غيرها . ولقد أخذت الفكرة الآرية والتفوق العنصرى المستند إليها فى ألمانيا النازية طابعا سياسيا وقوميا فقسّم علماءها الشعوب الى درجات متفاوتة الاستعداد والكفاءات تأتى بموجبها ألمانيا النازية فى طليعة المتفوقين .

والحقيقة أن الشعوب والأعراق وإن كانت متفاوتة فى بعض الصفات إذ بينها الأبيض والأسود والأصفر والأحمر ، فاتها من حيث الاستعداد للرقى والحضارة سواء فلم تكن الحضارة وثقا على شعب واحد فى زمن من الأزمان بل تناقلتها أمم مختلفة فكانت الصين مقرا لها كما كانت بلاد وادى النيل ووادى الفرات من مراكز انبعاثها ثم انتقلت الى اليونان فالى العرب الذين احتضنوها ورادوا عليها ثم انتقلت الى الغرب ومنه الى العالم كله .

ولو أردنا تصنيف الأمم استنادا الى عصورها الذهبية فى ماضيها لاعتبر الأوروبيون فى أحط الدرجات . هذا وأن العلم لا يقر أيضا التفوق العنصرى ولا نقاوة الأعراق ، ولقد أثبت البحث فى زمر دماء البشر أنه ليس فى العالم شعب خالص النقاء الا فى فئات معزولة وفيما عداها فإن الدماء اختلطت بتأثير الهجرات الجماعية التى تمت عبر التاريخ .

والواقع أن اتحام المواهب العقلية والاستناد الى ثقوتها الموقوت فى تقسيم الشعوب وتمييز الناس بعضها من بعض على هذا الأساس امر شجبه العلم وأبطله التاريخ وكذبته المعرمة بشتى نواحيها .

المقومات العلمية : لقد اعتمدت الحضارة العربية الإسلامية على العلم كما اعتمدت على الإيمان مخاطبت العقل والقلب معا وأثارت العاطفة والفكر فى آن واحد .

لقد حبيب القرآن الكريم بالعلم مقدس العلم ، حتى أقسم به فى قوله تعالى :

(٥) إنه إن المفسد أن يكون فى العرب فئات تستخف من قومنا وحضارتهم باعتبار أنها ليست شيئا إذا قيست بروائع الحضارة الحديثة واختراعاتها وثقوتها فى آفاق العلم الحديث ، وفى رأى أن لك لا يبرر الاستخفاف بحضارتنا بل يدمو الى هونها من جديد .

« ن والقلم وما يسطرون » (٦) وأشار الى انه وسيلة العلم والتعلم بقوله تعالى : « اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم » (٧) وساعد على مطاردة جيوش الأوهام والاساطير فى العالم قديمه وحديثه فهى الكتاب الكريم عن ان يتبع أحد أحدًا من غير علم فى قوله : « ولا نقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا » (٨) . كما شجعت الأحاديث الشريفة على طلب العلم وتخليده والعمل به بأقوال بلغت فى البلاغة قمته ، وفى الحكمة ذروتها . من ذلك :

أطلبوا العلم من المهد الى اللحد ، طلب العلم فريضة على كل مسلم ، فضل العلم خير من فضل العباداة ، قليل من العلم خير من كثير من العباداة ، ومنها : اكرموا العلماء ، تعلموا وعلّموا فان اجر المعلم والمتعلم سواء ، ومنها : كن عالما او متعلما ولا تكن الثالثة (اى جاهلا) ، ومنها أيضا : لا يزال الرّجل عالما ما طلب العلم بماذا ظن انه علم فقد جهل ، ومنها : باب من العلم يتعلمه الرجل خير من الدنيا وما فيها .

ان تاريخ الحضارات لا يعرف حركة ثقافية اعظم من تلك التى نشأت فى البلاد العربية والاسلامية ولا يعرف حركة فى العالم تحاكي اقبال العرب والمسلمين عليه ، فقد كان تهافت طلاب العلم فى جميع انحاء البلاد العربية والاسلامية على بغداد ودمشق وقرطبة وغيرها من مراكز التعليم اشد وأكثر من تهافت طلاب العلم على جامعات أوروبا وأمريكا فى هذه الأيام وكان الاساتذة يتوافدون الى مراكز التعليم من مختلف الاقطار التى تتكلم العربية لا طمعا فى منفسهم وانما حبا فى نشر افكارهم وتلقين معارفهم ، وكان التزاحم بين الاساتذة على أشده فأقدرهم وانهمهم من جمع حوله أكبر عدد ممكن من المستمعين . وكان القرآن الكريم أساسا فى حلقات التعليم (٩) . ولا ريب ان اختلاف الاساتذة وتباين طرق تدريسهم وتشعب مادة الدراسة وعدم التفريق بين أسناذ وآخر من حيث الجنسية أدى الى إلهاب شعلة الفكر فى أدمغة كثيرين ممن كانوا يرتادون تلك المساجد ، فقد كان الطلاب لا يترددون فى الاستماع الى أسناذ من نيسابور

(٩) سورة ٦٨ : آية ١

(١٠) سورة ٩٦ : آية ٤ و ٥

(١١) سورة الاسراء ١٧ : آية ٣٧

(٩) ولقد اقترح ان تسمى الحضارة العربية او الحضارة الاسلامية بحضارة القرآن للأسباب الآتية :
١ - لأن الحضارة ، موضوع بحثنا وليدة ثورة إنسانية شملت جميع مرافق الحياة دعا اليها القرآن ، فبدل حال العرب وغيرهم بالحسن مما كان .

٢ - لأن القرآن غلب العرب وحال دون ان يطويعهم الزمان ولولاه لأصبح العرب وما يقل عن حضارتهم فى خير كان .

٣ - لأن توجيه القرآن الحضارى بمجز تكفى بالانجيل على ذلك شجبه النصرانية منذ تسديم الزمان ، شاملة الدنيا والناس الآن .

٤ - لأن أسسه فى لم الشمل مدعاة الى التمسك بها والعمل بهديها وسبيل الى بحث الحضارة العربية وتخليدها ، فقد بينت آياته المعجزات اسباب هلاك الأمم واسباب خلودها واعظمها شأنا انفاق كلمتها .

واخيرا : لأن القرآن وسيلة جمع الشمل بين العرب ، مسلمهم ومسيحيهم ، وبين جميع المسلمين ، فمن لم تأخذه آياته بالدين ، أخذته بالبلاغة والتعبير الرصين او بالمثل العليا والأخوة الإنسانية التى هى هدف جميع المصلحين فى كل آن وهين .

ثم ينتقلون الى استاذ من سمرقند بعد أن يأخذوا من الأول ما يريدون أخذه دون أن يجد الطلاب والأساتذة غضاظة في عملهم هذا ما دام جميعهم يتكلمون لغة واحدة هي لغة القرآن العربية .

لقد كان تاجع الفكر العربى فى السنوات التى اعقبت انتشار الاسلام شبيها بتوهج النور من نار كائنة تحت الرماد ايقظها الظفر والسبعة العالية المنارة . لقد أضاء العلم العربى بأشعته العلمية العالم المعروف آنذاك ، وليس فى الدنيا ما يحاكى توهج شعلة العلم العربى وانتشاره . ولم يكتف العرب بنقل العلوم بل بسطوها تارة ووسعوها طورا وشرحوها أحيانا وأضافوا اليها الكثير من المعرفة .

الركن الصحى : اعتبرت الحضارة العربية الاسلامية التمتع بالصحة القائمة نوعا من انواع النعيم فحرصت على توفيرها للانسان فى مراحل عمره مذ يكون جنينا الى أن يصبح شيخا . لذلك لم ينظر الاسلام الى الزواج كأمر دبرته الفريضة بل حث على البحث فى صحة عرسية (الزوج والزوجة) جسما ونفسا ضمانا لحسن ثمره ، الأولاد ، لأن صفات السلف وتسمها من أمراضه تنتقل الى الخلف بالوراثة .

جاء فى القرآن الكريم : « **وانكحوا الأباى منكم والصالحين من عبادكم** » (١٠) ، وفسر حديث ابن عباس القائل : (**أربع لا يحزن فى البيع والفتاح : المجنونة والمجنومة والبرصاء والمفلاة**) (١١) بعض نواحي الصلاح الذى أشارت اليه الآية الكريمة ، ووضع عمر بن الخطاب استقدا الى تلك الآية وذلك الحديث الشريف تشريعا جاء فيه (**أيما رجل تزوج امرأة فدخل بها فوجدها مجنونة أو برصاء أو مجنومة أو مفلاة أو بها قرن فلها الصداق بميسره أيأها وهوله على من غره منها**) .

فإذا أردنا صياغة هذا التشريع صياغة تتناسب مع تقدم العلم جاز لنا القول بأن الاسلام ينهى عن زواج المصابين والمصابات بالأمراض النفسية الخطرة ، وما الجنون إلا نوع منها ، كما ينهى عن زواج المصابين والمصابات بالأمراض المعدية ذاكرا الجذام نموذجا لها ، كما ينهى عن زواج المصابين والمصابات بالأمراض الوراثية بذكره البرص نموذجا لها ويبطل أخيرا زواج المصابين والمصابات بالتشوهات العائقة للزواج والأنسال .

ولقد حذر الاسلام من كل زواج غير مرضى الثمرة بالأحاديث الشريفة الآتية : (**اغتربوا لا تضوا ، تخبروا لنطفكم فإن العرق دساس ، إياكم وخضراء الدمن**) . يتبين من ذلك حرص الحضارة الاسلامية على صحة النسل بسلبية أصلية وأرشادها الى ما يضمن حفظ صحة الإنسان فى سنى حياته بحسن تغذيته من غير افراط أو تفريط والعناية بنظافته رمز الذوق والجمال ودليل الادب وحسن الحال (١٢) ويدعوته (الإنسان) الى الحركة لأنها حسنة وبركة فرضها الاسلام بالصلاة وشجّع عليها بالأحاديث الشريفة التى سنت الرماية والسباحة والمسافة والمبادحة استعدادا لمجابهة الأمور بقوة دليل القول المأثور (كان أصحاب الرسول يلعبون ويتباحون فإذا حزمهم الأمر كانوا هم الرجال) .

لقد حرم الاسلام ضمانا لصحة الجسم والعقل والنفس ، المسكرات والمخدرات وحتى الدخان . فمقدر بحاثو الغرب الاختصاصيون مقام الصحة فى

(١٠) سورة النور (٢٤) الآية ٢٢ .

(١١) المفلاة : من العفل وهو تشبه فى المرأة يمنع من الإنسبال .

(١٢) وقد روى فى الآثار : بنى الدين على النظافة . وجاء فى الآية الكريمة (واللذ يجب المتطهرين) .

مقومات الحضارة الإسلامية فاعجبوا بها أى أعجاب فأكبروا شخصية الرسول الكريم واعتبروه أعظم مشروع صحى أنجبه العالم .

ركن التكافل الاجتماعى : لقد دعت الحضارة العربية الإسلامية الى الاسهام بالتكافل الاجتماعى ففرضته على المومر ومتوسط الحال بالزكاة ورغبت فيه جميع الناس على اختلاف ثرواتهم بالصدقات ووضعت قواعد للتضامن بين أفراد الأسرة الواحدة فأوجبت الأرباب الحاجات منهم حقا مفروضا يؤديه لهم ذوو اليسار منهم بما يقوم بكتفائهم من مؤونة وكسوة وسكنى وغير ذلك من شؤون الحياة الضرورية وجعل على الزوج نفقة زوجته من كل لوازم الحياة ، بل ونفقة زوجة قرييسه الذى تجب نفقته عليه ، ولقد دعا الإسلام الى محاربة الممتنعين عن أداء المفروض عليهم من الزكاة ، لمحارب أبو بكر الممتنعين وقال جملته الشهيرة : **« والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونه الى رسول الله لقاتلهم على منعه »** وقد نظمت غريضة الزكاة وبينت مقاديرها وأوقات أدائها بحيث يشمر الأغنياء بانهم حراس على المال حتى يؤدوا منه حقوق الفقراء فصار المال بذلك بمنزلة المال المشترك بين صاحبه وبين الفقير .

ويرى ابن حزم ان للفقراء والمحتاجين حقوقا فى أموال الأغنياء خلاف الزكاة حتى اذا لم تكفهم وجب على الأغنياء ان يقوموا بكتفائهم وان يجبرهم ولى الأمر على ذلك اذا لم يقوموا به من أنفسهم ، وأجاز الإسلام صدقة الوقت وهو حبس رأس المال أبدا والتصدق بثمرته على جهات البر والإحسان . وكان ينفق عمر بن الخطاب على المحتاجين فكان يعطى الأموال على كفاية الزجل وعلى ماضيه ومقدار حاجته وكان يزيد العطاء لمن يولد له ولد ، وهذا ما كفلته اليوم ارقى دول العالم فإذا ترعرع الولد زاد العطاء وإذا بلغ زاده أيضا ولم يكن يفرق فى إعطائه للفقراء والمساكين بين مسلم وغير مسلم . ولما كثرت الأموال فى بيت المال فى عهد الفاروق أنشأ له ديوانا نظمت أماله تنظيما محكما ودونت فيه ميزانية الدولة وخصص للفقراء منه نصيب وافر يداوى منه مرضاهم ويكفن موتاهم وينفق عليهم منه .

لقد فرض الإسلام الزكاة كأحد أركانه وجعلها حقا للفقراء بالاية الكريمة : **« وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم »** كما جمل الزكساء منة يمتن بها على الأغنياء فلا يمتنون بها على الفقراء وذلك بالقول الكريم : **« خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها »** .

وتمشيا مع روح السماحة التى اتسمت بها الحضارة العربية الإسلامية لم يجعل الإسلام الانتفاع بأموال الزكاة قاصرا على المسلمين بل جعله شاملا كل محتاج ، قال تعالى : **« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب القسطيين »** . وعلى هذا الأساس وجد عمر بن الخطاب مرة على باب المسجد رجلا أمى يتكفف الناس فسأله عن حاله فعلم أنه يهودى فأجرى له رزقا يكفيه . وفى إعطاء غير المسلمين الحق فى الاستفادة من أموال الزكاة يضرب الإسلام المثل الأعلى فى السمو الانسانى .

يتوقف تقدم المجتمع على شعور افراده بواجبهم نحوه وقيامهم بهذا الواجب كما يتوقف هذا التقدم على شعور المجتمع بمسؤوليته نحو كل فرد من افراده وسعيه لتحقيق الرهاية والطمانية له .

والمثل الأعلى للمجتمع هو ذلك المجتمع الذى تسوده روح التراحم والترابط التى تسود العائلة فيشعر كل فرد بأنه عضو فى هذه الأسرة الكبرى التى تقدم

له الرعاية والأمن والمساعدة فيما اذا احتاج اليها .

دعامة الاشتراك بمؤتمر الحج السنوى : الحج معروف ينتظم من الانسان قلبه وبدنه وماله . وليس من المعقول أن يكون القصد من هذا الاجتماع مجرد الطواف والوقوف في عرصات فان الله يعبد في كل مكان ويجب الداعي في كل مكان ، وإنما الغاية السامية المقصودة من الحج مسارعة القادرين من أرباب الرأي والحزم الى البحث في أمور المؤمنين ليشهدوا منافعهم وليزيلوا نفثهم . أما المنافع معروفة وهي ما تعود بالخير على المجتمع أولا وعلى الفرد ثانيا ، وأما إزالة النفث فليس المقصود منه إزالة النفث الأدنى وهو إزالة أدران البدن من شعث السفر ، وإنما هو تنبيه بالأدنى وهو درن البدن على الأعلى وهو درن العقل ودرن الجماعة ودرن العاطفة ، وأما درن العقل فهو وقوعه تحت ضغط الشكوك والأوهام ، وأما درن الجماعة فهو وقوعها تحت سيطرة الجهل والفقر ، وأما درن العاطفة فهو الوقوع تحت سيطرة القوة الفاضية وضغط الشهوة والهوى .

مقومات الدفاع عن السلم والحرية في الحضارة الإسلامية : لقد دعت الحضارة الإسلامية الى توفير الأمن والسلم ، الى التعاون والتآخي الى اقرار الحق في نصابه والى تمتع الناس بحريتهم الطبيعية وببشار العدل والمساواة ، لمكانت حضارة إنسانية سداها الموعظة الحسنة وكلمة الحق ، ولحماتها الدفاع عن حقوق الانسان وحفظ كرامة ورحمة الانسان لأخيه الإنسان ، لذلك نبذت الحضارة الإسلامية القتل فلم تلجأ اليه إلا اذا التوت بالعقول السبل فبعثت بالحياة وأراقت الدماء وتحكمت بالجبروت والطفیان وقضت على العدل وميزت الإنسان عن أخيه الإنسان وانتزعت الأوطان أو اقتضبت البلدان سمحت حينئذ تلك الحضارة بارتكاب الصعب وهو خوض معامع الحرب والقتال حتى يرجع أهل البنى والعداء الى الصواب والرشاد . ولقد طالبت الحضارة الإسلامية في هذه الحال بالاستعداد الكامل وتحضير كل وسائل القوة ، كما دعت الى أن تكون الأمة كلها جندا مدريا على السلاح لا يستثنى منهم سوى أرباب الأعداء المشروعة . ولقد شجعت تلك الحضارة النساء على الاشتراك في الحروب للتبرؤ ، هذا كله اذا لم يهجم العدو فاذا هجم وجب على جميع الناس أن يخرجوا للدفاع من الحوزة فتخرج المرأة ولو بدون إذن زوجها وكذلك الولد بغير إذن أبيه ، ووضعت في الحروب قواعد إنسانية رحيمة تتوق كل تصور .

وإذا كانت حضارتنا اليوم تخر بعباءة الصليب والهلال الأحمر فان هذه المبادئ لا تعد شيئا مذكورا بالنسبة لما طالبت به الحضارة الإسلامية ، فقد أوجبت الانراج من الأسير في حالات كثيرة ، منها المبادلة والفداء وتعليم أطفال العرب والمسلمين ، كما حبت الناس برعاية الأسرى بل عدت الغائبين بذلك في زمرة الأبرار (١٣) . كما أنها منعت قتل الرهبان ، وانكرت قتل النساء والأطفال ولو احتذى بهم العدو وغير ذلك ، وسوف تبقى مبادئ الرسول وخلفائه وأعمالهم في غزواتهم وكلماتهم أبلغ ما يمكن أن يتصوره العقل في هذا الميدان الإنساني إذ عميت الرحمة على الانسان والنبات والحيوان ، وهل من قول مدعوم بالعمل في حرب ينم عن الرحمة أبلغ من قول الرسول وخلفائه وأعمالهم ، وكانوا حين تعقد الألوية على أبراء الجيوش يوصونهم بتقوى الله وعدم الاعتداء مرددين التواصي الآتية : « لا تفلوا ولا تغفروا ولا تقتلوا طفلا

صغيرا ولا شيفا كبيرا ولا امرأة وتوقوا قتلهم إذا التقى الزحفان وعند حمة النهضات وفي شن الفارات ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تنبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا لماكلة ، وسوف تمرّون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهوم وما فرغوا أنفسهم له ، نزهوا الجهاد عن غرض الدنيا أنفموا باسم الله وامضوا بتأييد الله بالنصر ولزوم الحق والصبر ولا تقتلوا إن الله لا يحب المعتدين » . ومن ذلك قول الرسول : « لا تقتلوا عسيفا ولا أسيفا . أى لا تقتلوا الشيخ ولا الأسير » . وفي حديث على رضى الله عنه : لا يتبع مدبر ولا يقتل أسير ولا يذف على جريح (١٤) .

وصفوة القول : بنت الحضارة الإسلامية سياستها الإصلاحية على اعتبار السلم دعامة المجتمع الإنساني والحالة الأصلية التي تهيب للتعاون والتعمارف وإشاعة الخير بين الناس عامة ، واعتبرت الحرب وسيلة لشذوذ لم ينفع فيه الحوار والحكمة والموعظة الحسنة ودفاعا عن النفس ، فإذا وقعت أوصى بالرأفة فيها بالأ تكون حرب تنكيل وتخريب فلا يقتل فيها النساء والشيوخ والعجز والأطفال (١٥) .

ركن الرفق بالحيوان : تميزت الحضارة العربية الإسلامية بما يفاخر به اليوم ويعد مظهرا من مظاهر الحضارة وأعنى به الرفق بالحيوان ، وقد نقل من الرسول قوله : لم يكل ذات كبد أجر ، فاستفسره أحد الصحابة وهل أن لنا في البهائم أجرا . فاجاب في كل ذات كبد رطبة أجر . وتبضى الحضارة الإسلامية فنتشر الرحمة بالحيوان وتحرم المكث طويلا على ظهره ، فيقول الرسول في ذلك : لا تتخفوا من ظهور دوابكم كراسى وتحرم اجاعته وتريضه للضعف والهزال ، وقد أوصى الرسول بالبهائم المحبة بقوله : اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة ، كما يحرم أرهاقه بالمسل فوق ما يتحمل . وعلى ضوء هذه التعاليم يقرر الفقهاء أن النفقة على الحيوان واجبة على مالكة ، وقد ذهبوا الى ما هو أبعد من هذا ، فقال بعضهم إذا لجأت مرة مبياء الى بيت شخص وجبت نفقتها عليه ، وكان الخلفاء يذيعون البلاغات العامة على الشعب يوصونهم فيها بالرفق بالحيوان وكان من وظيفة المحتسب أن يمنع الناس من تحميل الدواب فوق ما تطيق أو تعذيبها أو ضربها ، وأما المؤسسات الاجتماعية فقد كان للحيوان منها نصيب كبير وحسنا أن نجد في ثبت الأوقاف القديمة أوقافا خاصة لتطبيب الحيوانات المريضة وأوقافا لرعى الحيوانات المسنة العاجزة . وكان عمر بن الخطاب يصرف معاشا للفقير صاحب الدابة المريضة ينفق منه عليها حتى تشفى .

الركن الأخلاقي : يقول برنار في كتابه عن فلسفة الثورة الفرنسية (١٦) :

(١٤) وقد قال أحدهم بذلك شعرا مخاطبا قائد الجيش العربي الأول :

ونضم في تلك العواطف خابيا	وقفت أسام الجيش ترعد أسه
ولا تفسدوا من الماء عدبا جاريا	تقول لهم لا تملوا غير زادكم
ولا تستبيها نسوة أو لرايا	ولا تهلكوا لزما ولا تهلكوا همي
ولا تهتموا بالأجانب مفساتيا	ولا تحرقوا بالألادين كفاكسا
الى العربي يسمى مكرها لا معاديا	ولا ترهقوا الأسرى قرب محارب

(١٥) وقد قال الرسول في ذلك : لا تقتلوا الدرية في الحرب .

(١٦) ص ٦٧ ، يقول فولتير في كتابه الى نيكيزة دي دي ديفان : ان بين البشر تضامنا أخلاقيا سببه ان في كل فرد منهم فريضة أخلاقية تشمره بالمعالة كسما تشمره بالقلم الذي يقع على إنسان فخر .

لقد احتاج الإنسان الى قرون لمعرفة جزء من قوانين الطبيعة في حين يكفى الرجل الحكيم يوم واحد لمعرفة واجبات الإنسان الأخلاقية .

لقد أشاد كل من محمد والمسيح عليهما السلام بالأخلاق الفاضلة وبوجوب التحلى بها لأن الأخلاق الفاضلة واحدة مهي لدى كل من يعملون عقلهم بالرغم من جميع الخلافات التى يمكن أن نلاحظها في الأعراف أو في المصالح المتصارعة أو في اللغات أو في الأشكال التى تظهر بها القوانين والعبادات ، فماتنا نجد في كل مكان رأس مال مشتركاً بينها وقانوناً يصلح لجميع البلدان وتعرف بداهته في داخل ذواتنا أنه قانون الأخلاق . فان في داخلنا غريزة تجعلنا نشمر بما هو عادل واحساساً بالعدالة يشترك فيه جميع الناس وهو موجود بحكم قانون الطبيعة التى لا تعلن إلا حقائق منقوشة في قلوب الناس جميعاً . لقد غرس الله في كل إنسان بذرة الأخلاق الكريمة فما عليه إلا أن يعنى برعايتها لأنها قوام التعامل بين الأفراد وفي المجتمعات .

ذلك هو مكانة الأخلاق في نظر الفلاسفة فما هو نصيب الحضارة العربية الإسلامية من الأخلاق والدعوة الى التمسك بها .

لقد وجهت الحضارة العربية الإسلامية الإنسان الى التحلى بمكارم الأخلاق معتبرة الأخلاق القوية دعامة المجتمع فكان من ذلك أن دعت الى الألفة والتعاون والتآخي والنوادر بين الناس لا بل رغبت الناس بالعفو عن السيئة ودفعها بالحسنة ، فقد جاء في سورة الروم : « ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتي هي احسن ، فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » . ولقد دعت تلك الحضارة الى الانصاف بالحكمة واللين بل مدت حسن الخلق من الدين (١٧) .

لقد بلغت الحضارة العربية الإسلامية في دعوتها الى مكارم الأخلاق شأواً سامياً لم تبلغه حضارة لا في القديم ولا في الحديث لا بل جعلت من كبرى أهداف الرسول الكريم اتسام مكارم الأخلاق كما يؤكد ذلك الحديث الشريف القائل : انها بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ، وفي رواية وإنها بعثت لأتمم صالح الأخلاق ، فاذا عرفنا أن فلاسفة اليوم اعتبروا الأخلاق المقياس الوحيد لتقدير الحضارات والمفاضلة بينها أدركنا مكانة الحضارة العربية الإسلامية بين الحضارات العالمية .



(١٧) جاء رجل الى النبي وسأله ما الدين : فاجابه الدين حسن الخلق وكره عليه السؤال مراراً حتى قال له الرسول أما تفقه الدين حسن الخلق . وتقبل لرسول الله ثلاثة تقوم نهارها وتقوم ليلاً ولكنها تؤذى جيرانها فليسانها فقال رسول الله لا خير فيها .



الدعوة الإسلامية

كيف نوحسنا في هذا العالم

للاستاذ : سفيان سالم

مسلمو افريقيا جزء هام من العالم الاسلامي :

لم يعد ثمة شك في ان المسلمين الافريقيين الذين يعيشون اليوم داخل حدود القارة التي تبلغ مساحتها ٢٠٠ ٢١٦ ١ ميلا مربعا والذين يبلغ عددهم حسب آخر الاحصائيات التي نعرفها اكثر من ثمانين مليون نسمة - لم يعد ثمة شك في ان هؤلاء المسلمين يشكلون قوة هامة وحساسة في حاضر العالم الاسلامي ومستقبله ..

واذا كانت الدول الاستعمارية الاوربية التي احتلت افريقيا قراية خمسمائة عام ، بدأت بالبرتغال التي كان هدفها الرئيسي من سيطرتها على افريقيا محاربة الاسلام ، وليقافه عن زحفه المقدس الى اقصى الجنوب .

اقول : اذا كانت هذه الدول قد نجحت الى حد ما في عزل مسلمي افريقيا جنوب الصحراء وبعض المسلمين في مناطق اخرى من افريقيا عن الاتصال بالحركة الإسلامية العالمية - فان هذه الشعوب بعد ان حطمت اغلال الاستعمار واتاحت لنفسها فرصة الاستقلال والانطلاق الى ابعد من حدودها نستلعب من غير شك دورا هاما مع شعوب العالم الاسلامي في تحقيق مستقبل افضل لخير الاسلام والمسلمين .

وتظهر أهمية مسلمي افريقيا ومدى المساهمة الضخمة التي يمكن ان يقوموا بها في حركة الدفع الثوري للدعوة الاسلامية ، اذا عرفنا مقدار ما تدفع به قارتهم الكبيرة التي يعيشون داخلها من امكانيات اقتصادية واستراتيجية وبشرية هائلة ..

فالمحاصيل الزراعية التي تنتجها افريقيا ، تكاد تتنوع على نحو شامل بحيث لا يوجد محصول زراعي آخر في العالم لا يزرع في افريقيا ، وثروتها المعدنية بلغت من الضخامة حدا جعل انتاجها من الماس يصل الى ٩٨ ٪ من الانتاج العالمي ومن الذهب ٥٥ ٪ منه ومن النحاس ٢٢ ٪ ..

هذا الى جانب الثروات المعدنية الهائلة الاخرى من اليورانيوم والكروم والكوبالت وغيرها .

اما امكانياتها الاستراتيجية في عصر أصبح فيه للموقع الاستراتيجي كل هذه الأهمية التي تحدد مصير الدولة سياسيا وعسكريا واقتصاديا فيكفي أن نعرف ان حدودها الغربية تقع على المحيط الاطلسي ، ثم يحدها المحيط الهندي من جهة الشرق وهو المحيط الذي يتصل بالبحر الأبيض المتوسط عن طريق البحر الأحمر أو بحر العرب ، وبعد ذلك تشرف افريقيا في الشمال على البحر الأبيض .

واذا تركنا أهمية القارة الافريقية من حيث وفرتها الاقتصادية ، وحساسية وضعها الاستراتيجي ، وتحدثنا عن طاقتها البشرية يبرز عامل رئيسي يصبح له امتياز في تقدير مدى أهمية شعوب افريقيا في ميزان الثقل الدولي .

فلاحصائيات الأخيرة تقدر بـ ١٩٨ مليون نسمة منهم خمسة ملايين من البيض الأوروبيين الذين استوطنوا بعض الأجزاء ، وهو عدد يجب أن نسقطه من الاحصائية حين نذكر عدد الشعب الافريقي ..

هذه العوامل الثلاثة وأعني بها ثروة افريقيا الاقتصادية والبشرية ثم موقعها الاستراتيجي يجعل لمسلمي هذه القارة أهمية كبرى ، حين نقيم دورهم في ميدان الدعوة الاسلامية العالمية .

توزيع المسلمين في افريقيا اليوم :

على الرغم من الحروب الصليبية التي شنتها الدول الأوربية على مسلمي افريقيا وعلى الرغم من حركات التبشير التي دخلت مع الاستعمار الغربي الى هذه القارة ..

وعلى الرغم كذلك من ضعف المسلمين ماديا أمام أعدائهم الذين لماقوهم عدة وسلاحا ، واستمرار هذا التفوق بفضل الثروة الصناعية التي مكنتهم من الغلبة والقهر .

وعلى الرغم من كل هذه العوامل وغيرها استطاع المسلمون في افريقيا أن يحافظوا على عقيدتهم الروحية بل ليس هذا محسب ، وانما أخذ عدد المسلمين يتزايد بفضل ما تنطوي عليه تعاليم الاسلام من البساطة والمبادئ الانسانية السامية ، وهذا ما صرح به رجال التبشير أنفسهم .

في بحث شامل لمجلة « الكريستيان ساينس مونيتور » نشرته منذ عشرة اعوام تعرض الكاتب - وهو قسيس مبسحي قام بزيارة طويلة لافريقيا - للظروف التي تعرضت لها المسيحية فيها فقال :

(على الرغم من الجهود الفخمة التي يقوم بها المبشرون المسيحيون في افريقيا اليوم ، وعلى الرغم من الاموال الطائلة التي تنفق على تحويل الافريقيين الى الديانة المسيحية . فان الافريقيين اقل حماسا للدخول في المسيحية منهم في الاسلام فالاحصائيات الدقيقة التي اجريت في افريقيا قد اكدت ان دخول الافريقي في المسيحية يقابله دخول ٨٧ من زملائه في الاسلام ، واستطيع ان اصرح بان الظروف التي تكتنف المسيحية تعتبر السبب الرئيسي في هذه النتائج فهي دينانة الرجل الابيض الذي يستعمر الرجل الافريقي ، ويعامله في شيء من القسوة والظلم ، وهذا ما لمسته بنفسى حين تحدثت الى بعض الافريقيين في غرب افريقيا . ثم انمزال رجال الدين المسيحي عن الحياة القومية والاجتماعية التي يعيشها الافريقيون .

فالاندماج لا يتم الا في حدود اداء الوظيفة الدينية فقط ، كذلك يشعر بعض الافريقيين الذين تحولوا الى المسيحية ان الاوروبيين وهم في نظرهم اصحاب الدين المسيحي ، لا يطبقون تعاليم المسيح كما وردت في الانجيل من اعطاء الفرد حريته وتمتعه بحقه في المساواة مع غيره . الخ .

يضاف الى هذه العواويل عامل آخر على جانب من الاهمية واعنى به اصطدام تعاليم المسيحية احيانا مع تقاليد الافريقيين القديمة ثم يستطرد هذا الكاتب فيقول :

وحين نقارن الاسلام بالمسيحية نستطيع ان نقول — والاسف يملأ قلوبنا — انه لا يزحف في افريقيا زحفا بطيئا مطردا بل يكتسح طريقه في سرعة مذهلة فان عدد الافريقيين المسلمين اصبح يتجاوز اليوم الثمانين مليوناً — هذا بالاضافة الى تزايد تزايداً مطرداً سريعاً .

وقد ادركت حين لمست بنفسى ان الافريقيين ينظرون الى الاسلام على انه دين الشرق المسلم الذي لم يستعمر افريقيا ، وهناك سبب آخر قوى لنجاحه وهو ان الاسلام يستطيع في سهولته ان يتلامح مع تقاليد الافريقيين القومية .

ثم ان الاسلام لدى الافريقيين يتم عن طريق مواطنيهم المسلمين ، وليس عن طريق رجال الدين ، وهو اعتبار له اهميته .

ومعاهد التعليم التي يهاجر اليها الزوج في القاهرة وبلاد الشمال الافريقي ليست هي الاخرى سوى مصنع ينتج دعاة اسلاميين مزودين بمنطق عاطفى يكون لتأثيره بين مواطنيهم الوثنيين والمسيحيين (على زعمه) بعد عودتهم (فعل السحر) .

اقول فلعل ما جاء على لسان هذا القسيس يوضح لنا في جلاء طبيعة الصراع الدينى في افريقيا ومدى نجاح الاسلام في مد خطوطه وبمسالكه عبر مجاهلها وشعابها المختلفة .

ان الدين الاسلامى دين بسيط سمح لا يعترف بكهانة وطقوس وحين تخالط معانيه شغاف القلوب يتاصل في عمق وتمتد جذوره الى اغوار النفس الانسانية فلا تستطيع قوة في الدنيا كائنة ما كانت ان تؤثر فيه بعد ذلك .

ما هو الاسلام ؟

سؤال من وجهة النظر الى قضايا العصر واهتماماته والصراع البشرى فيه ، ما هو الاسلام ؟

والجواب :

الاسلام دين الله ، بمعنى انه تفسير للحياة على أساس « مشيئة الله الواحد » ..

ثم الالتزام بهذا التفسير الذى يتم نتيجة « ايمان » أى تصديق مسن طريق العلم المباشر ، أو العلم بالاستدلال بأنه الله « الذى ليس كمثله شيء » والذى هو صانع ومحرك ومدير لهذا الكون ومن فيه وما فيه بين الأزل والأبد على أساس وحدة هذا الكون ، واتساق قوانينه وتساوى وحداث اجزائه وأشياءه أمام هذه القوانين ..

كذلك فان العبادات والشرائع والنظم الاجتماعية والاقتصادية التى أوحى الله بها الى أنبيائه وإلى محمد صلى الله عليه وسلم هى موضع التصديق الكامل والتطبيق الأمين ..

وهى مسئولية مقررة من الأمراد تجاه المجتمع ، ومن المجتمع تجاه الأفراد ومن كل فرد تجاه نفسه من حيث أن هذه الشرائع والنظم هى أساس قيام « مجتمع المؤمنين » ، الذى ليس فيه واحد من البشر أكثر من واحد ، ولا واحد أقل من واحد ، وأن الجميع سواء فى موقفهم البشرى أمام القانون الأعلى على كل شيء وهو « الله » ..

هذا تعريف الاسلام من وجهة النظر الى موقعه العقائدى .
وأما من وجهة النظر اليه كمنهج لبناء المجتمع ، فان تعريفه على أساس مقوماته الاجتماعية يكون كالآتى :

الاسلام هو نظام إلهى فى تشريعه ، وعلمى بتجربته ، وهو يقوم على بناء المجتمع من طريق بنائه الانسانى للفرد والقيادة فى هذا المجتمع جماعية بين أبنائه الذين هم بالإيمان عباد الله وأخوة بين انفسهم ، وسادة على الموارد المسخرة لهم ، والذين يقيمون مجتمهم على أساس أن العمل هو مصدر الحقوق والدرجات للأفراد فى هذا المجتمع ، وعلى أساس انهم من نقطة الإخاء بالإيمان ، شركاء بالعمل فى الموارد والثروات والأموال التى هى فى المجتمع ، وفى أيدي المؤمنين أموال الله ..

وعلى أساس أن هذه المشاركة تعنى بالوازع وبالالزام أن يعنود فائض الحاجة فى يد كل فرد — أى ما يفيض عن حاجاته الأساسية — الى أيدي أخوته الآخرين أى الى المجتمع الذى يتحرك بهذه الأموال على أساس العلم المستمد من تجربة الايمان الى العمران والانفتاح بالسلام على كل العالم .
من هذا التعريف نبداً فنسأل ونبحث عن هذه المجالات التى تبرز فيها علاقة الاسلام الواضحة بالمفاهيم العامة لما جد من تيارات فكرية معاصرة وآراء مستحدثة وأساليب مختلفة للتبشير .

قضية القضايا :

من بؤرة التقدم العلمى الحديث فى هذا العصر ، ومن مركز عملياته العقلانية المعقدة يسطع ضوء خاطف تعشى فيه العيون فى جو تزار فيه أدوات القوة وتمزقه ضوضاء الدعاية ، وتسيطر عليه أدوات الدقة .
يفضح أكثر الناس أيديهم على أعينهم يسحونها ، ثم يعاودون النظر

يلتمسون — فى ظلمات هذه الاضواء المعتدية — طريقا مامونا الى سلام العالم ،
والى حياة جديدة تعيش فيها الاجيال البشرية ، وتنمو فى رعاية العلم بغير
عدوان ..

فى عالمنا المعاصر حيث يقف المتقدمون والمخلفون معا على حافة هاوية ،
نجد الظواهر الآتية فى قضية الدين واستخدامات العلم :

١ — نجد انكماش جماعات المؤمنين بالدين الإلهى الحق على سطح
الأرض .. دين الوعى الذى يجمع بين الايمان والعمل لبناء سلام الانسان
وتقدمه .

٢ — نجد انتشار معتقدات العزاء الروحى من أول (اليوجا) الهندية الى
(الغنوصية) اليهودية ، وهى معتقدات سرية باطنية تؤمن بالروح النسى لا يمكن
ان يقال ما هى .

وتنكر وتظهر الجسد الذى يمكن ان يقال ما هو ؟ بينما تطلب بالرياضة
أو السحر أو الشعوذة ما لا يمكن ان يدركه الانسان الا بالايمان والعمل .

٣ — نجد انتشار القلق فى المجتمعات الصناعية العلمية والاشتراكية من
فراغ تحس به تجاه « قوة ما » وراء الطبيعة قوة غير مادية وأن كانت حركة
المادة هى الدليل الأول عليها هذا .. وأن كانت المادية العلمية تنبى بالعلم السلام
والتقدم فى مجتمعاتها شكلا من أشكال العدل الاجتماعى وتعالى من قيمة العمل
وتكرس حقوق الجماعة دون استغلال .

الا أن ذلك يقع مشروطا بانكار الدين مما يترتب عليه ترك هذا الصراع
المحس فى أعماق النفس الانسانية الكادحة متقهمل وتضطرب وتظفر السى
بعمى ..

٤ — الى جانب هذا يوجد المجتمع الذى تتمثل فيه قضية القنفايا ومشكلة
المشاكل فى هذا العصر .

يوجد (المجتمع الرأسمالى) الذى يرفع أمام ضحاياها راية الايمان بينما
يدفع بالعلم وتطبيقاته الى خدمة السياسات والخطط العدوانية للصهيونية
والاستعمار .

هذا المجتمع العجيب المتظالم المتضارب يدفع العلم الى الخروج عن أهدافه
والى التمرد على عقيدته يدفع بهذا المسارد المختال (التكنولوجيا) . لينفصل من
سلطان الارادة الخيرة فى المجتمع الانسانى وليستعصى على أى اتجاه للآراء
البشرى والسلام العالمى والرخاء المتبادل بين الشعوب ..

ان (أمريكا) تنفق مليارات الدولارات وهى ترسل رسائلها الاستعمارية
تحت أثواب المسيح ، ورايات المسيحية ، لتقدم لبسطاء الشعوب النامية فى
أفريقيا خدمة العلم المتقدم ، وترسم لهم الصليب على بعض السلع والتكنولوجيا
الاستهلاكية ، وترى أن ذلك يبرر سرقتها لموارد ومستقبل شعوب حية فى
آسيا وأفريقيا .

وعندما لم تنجح هذه الخديعة البلهاء ، عادت (أمريكا) ترسل قاذفات
قنابلها الضخمة وعليها الشعار المسيحى أيضا ، لتدمر وتحرق وتبديد شعوب
(بنيتام وكيموديا ولاوس) والشعب العربى باسم الحضارة الامريكية المسيحية .
والدكتور القس « ملويد شاكلوك » الامريكى يبدى دهشته العظيمة من هذا
الامر فى كتابه (الايمان الثورى) ويقول :

« ان البعثات الامريكية الدينية المسيحية قضت مائة وخمسين عاما تجاهد
فى بلاد الصين ، ولكن فى ثلاثين عاما دخلت الشيوعية بلاد الصين حكاية يتسائل
كيف لعب دعاة الشيوعية على عقول الناس بالأقوال الجوفاء ، والوعود المعسولة ؟
ثم يجيب اجابته الغبية فيقول - : ان الشيوعية كسبت الصين بالقوة بينما
رسل المسيحية - يعنى رسل الاستعمار - لا يقبلون اللجوء الى المسائل العنيفة .

ان (أمريكا) - ايضا - تنفق مليارات الدولارات لكى يمد العلم المتمرد
على السلام اقدامه فى الفضاء ، ويطا من اجل اغراض الدعاية او الافراض
العسكرية وجه القمر بينما الأرض ملأى أمام أعين (القديس ستام) بملايين
الكرضى والجياع ..

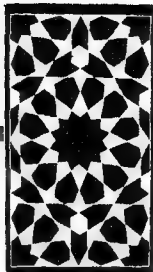
والعلم المتمرد ينفذ ببصره ويعيث بأصابه فى معاملته السرية يخطط لجرمة
تصنيع الادميين فى انابيب الاختبار ، فيحكم على انسانية الانسان بالموت من حيث
يصله فى المعمل من كل ما هو طبيعى فى الحياة بينما هو يحشد فى نفس الوقت
أسلحته الكيميائية والبيولوجية ، ويخطط للتقويم الجماعى من اجل ابادته الانسين
الطبيعى عندما يكون ملونا » .

وهكذا العلم الذى هو الأمل اصبح مع تحديات الصهيونية والاستعمار هو
المشكلة . وهذه هى قضية القضايا .

وعلينا نحن - العالم الاسلامى - آباء البشر فى التاريخ وأولياء انفسنا فى
الواقع ان نبعث هذه القضية من جذورها - نبعثها من البداية ونحن نتخذ الطريق
الصحيح الى فهم واجبا الدينى وتصور دورنا الانسانى فى احياء الحياة - لو
استطعنا ان نشارك من خلال تجربتنا واسلافنا فى تقييم العلم بالعلم الالهى من
خلال رؤية صحيحة للدين الاسلامى ، أننا بهذا نحقق القوة الكاشفة فى داخلنا
وخارجنا والتي مصدرها الايمان واساسها العلم واطارها وغايتها الاسلام وحركتها
وجهادها البناء والفداء نستطيع ان نعيش رغم تحديات العصر فى انسجام معها
وتعاطف وكشف ، ولوق ارادة اعداء الاسلام فى كل مجالات الحياة الاقتصادية
والثقافية والانسانية دون قصور او اهدار او قلق .

نستطيع ان نبني وأن نعيش حياتنا كاملة كما سلف فى تاريخنا الاجتماعى
حيث يمكن ان تتساوى الوحدات البشرية اى الأفراد والمواطنون بمقايير وأنواع
العمل أمام الله ولصالح المجتمع حقا والتزاما حياة لا تتناقض فيها القوانين ، ولا
تتصادم المصالح ، حياة لا يختلف فيها العقل عن التجريبى ولا الدين عن الدنيوى
حياة هى الوجود الحق المترع بالامن والحب والإخاء .

من وحي ذكرى
مولد الرسول



خير

للدكتور / محمد الدسوقي

١ — اطبقت كلمة العلماء والباحثين على ان البشرية كانت قبل مولد محمد صلى الله عليه وسلم في حاجة ماسة الى من يأخذ بيدها الى مسوآه السبيل ، فقد ضلت طريقها الى الله ، واتخذت الأصنام والأوثان — على تعددها وتباينها — آلهة تؤمن بهـا وتعنو لها ، وعاشت حياة طابعها القهر والبغى والفساد ، لقد كان ظلام الجاهلية مطبقا ، تسجل العقائد والأخلاق والمعادات ، وران على الضمائر والنشاعر والعقول ، وجعل المجتمع الانساني أشبه ما يكون بالقطيع في الغابة تقوده الشهوات الجامحة ، وتحكم علاقته القوة الباقية ، وكان لا بد ان يشرق الفجر ليبدد الفياض ويقضي على الفاسد ، ويرشد الضالين والحيارى الى طريق الحق والى صراط مستقيم .

٢ — وانبثق الفجر في بطحاء مكة بمولد محمد صلى الله عليه وسلم ،
لقد كان مولده عليه السلام إرھاساً بنھایة ذلك المھد المظلم فی تاریخ البشرية ،
وبدایة لمھد جدید مشرق بلقھدانیة والحریة والعزة والكرامة والعدالة
والفضيلة .

لقد بعث الله محمداً على رأس الأربعين من عمره بدعوة الإسلام التي
انتقلت البشرية من دياجير الجاهلية ، ورسمت لها سبيل سعادتها في الدنيا
والآخرة .

لقد حررت دعوة الإسلام البشرية من إسار العبودية لغير الله « وما أمروا
إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله هو » (١) « إن الحكم لواحد رب السموات
والأرض وما بينهما ورب المشارق » (٢) .

وكما حررت دعوة الإسلام البشرية من إسار الشرك والوثنية حررتها
كذلك من إسار الطائفية والعنصرية ونظرية الدماء المقدسة ، فكانت أول صيحة
عامة في التاريخ ترسي مبادئ الأخوة والمساواة على أسس وطيدة من
الإيمان .

٣ — ولأن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم خاتمة الرسالات الإلهية
جاءت ديناً عاماً للناس كافة ، كما جاءت صالحة للإنسان في كل زمان ومكان
ألي أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وقد امتن الله على المؤمنين بهذه الرسالة الخاتمة والدعوة العامة بأن
جعلهم خير أمة أخرجت للناس ، بما استحضروا من كتاب الله وكانوا عليه
شهداء ، ذلك الكتاب الذي لا ريب فيه ، والذي يهدي للتي هي أقوم ، والذي
يحقق للإنسان — دون غيره من الكتب والنظم — الحياة الكريمة التي تليق
بخلافة الإنسان المقدسة لله في الأرض .

٤ — واستحفاظ الأمة الإسلامية على هذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من
بين يديه ولا من خلفه ، وإن يكون الكل شهداء عليه يعني التزام هذه الأمة بكل
ما جاء به القرآن الكريم التزاماً صادقاً ، وصيانة حياتها وفق توجيهاته
وتعاليمه ، والعمل على إذاعة دعوته وإقامة شريعته بين الناس قاطبة ،
وسبيل ذلك الحفاظ على أمانة الدعوة إلى الخير والبر والأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر ، لتظل دائماً كلمة الله هي العليا ، وتبقى القيادة دائماً في هذه
الأرض للخير لا للشر (٣) . وهذا هو مناط الخيرية التي أسبغها الله على الأمة
الإسلامية ولم يسبغها على أمة سواها « كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون
بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » (٤) .

٥ — على أن الخطاب في هذه الآية الكريمة ليس خاصاً بصحابة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو العرب الذين نزل القرآن بلغتهم ، كما
ذهب إلى هذا بعض المفسرين (٥) ولكنه عام يشمل الأمة كلها بلا تفرقة بين
قبيل وقبيل ، فكل مسلم مسئول عن أمانة الدعوة إلى الخير والبر ، وإن كان

لاهل الراى والخبرة والعلم والمعرفة دور بارز وائر واضح فى القيام بها ، فضلا عن أنه لا بد من سلطة تمكن لهذه الأمانة وتؤود عنها ، يشهد لهذا قوله تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » (٦) فالأية تقرر أنه لا بد من سلطة فى الأرض تدعو الى الخير وتامر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، لأنه إذا جاز أن يتولى الدعوة الى الخير غير ذى سلطان فإن الأمر والنهى لا يقوم بهما إلا ذو سلطان ، فهذا تكليف ليس بالهين ولا باليسير إذا نظرنا الى طبيعته والى اصطدامه بشهوات الناس ونزواتهم ومصالح بعضهم ومناقضهم وغرور بعضهم وكبرياتهم ، وفى الناس من ينكر المعروف ويعترف المنكر ، ولا تفلح الأمة إلا أن يسود الخير وإلا أن يكون المعروف معروفاً والمنكر منكراً ، وهذا ما يقتضى سلطة للخير تامر وتنهى وتطاع (٧) .

٦ — ومما يؤكد مسئولية كل فرد فى المجتمع الإسلامى عن الدعوة الى الخير — فضلا عن السلطة التى تمكن لهذه الدعوة — أن القرآن الكريم جعل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرقا بين المؤمنين والمنافقين وبين أن هؤلاء يأمرن بالمنكر والنهى على حين يدعو أولئك الى الخير والبر « والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعضهم يأمرن بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم » (٨) « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرن بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله » (٩) . قال الإمام القرطبى تعليقا على الآيتين : « فجعل تعالى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرقا بين المؤمنين والمنافقين ، فدل على أن أخصى أوصاف المؤمنين الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ورأسها الدعاء الى الإسلام والقتال عليه » (١٠) .

وقد روى أن رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو على المنبر ، فقال : من خير الناس ؟ قال : أمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر وانقاهم الله ، وأوصلهم لرحمه (١١) . ومن الأحاديث المعروفة فى هذا الصدد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فليسهه ، فإن لم يستطع فليقلبه ، وذلك أضعف الإيمان (١٢) . والأحاديث النبوية كثيرة فى الحز على أداء هذه الأمانة والتحذير من التغريط فيها وعاقبة هذا التغريط ، كما أن هناك آيات عديدة — غير ما أوردته آنفا — جاء فيها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، صفة للمؤمنين ، وهذا كله يؤكد مسئولية كل فرد فى المجتمع الإسلامى « فكلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته » ، ويشير الى أن هذا المجتمع يتميز دائما عن سواء من المجتمعات بهذه السمة الأساسية ، وهى العمل الإيجابى لحفظ الحياة البشرية من المنكر وإقامتها على المعروف مع الإيمان بالله (١٣) .

٧ — وإما قوله تعالى فى سورة المائدة : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » (١٤) فإنه لا يدل على إعفاء المؤمنين من مسئولية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ذلك أن معنى الضلال فى الآية ليس مجرد المعصية ولكنه الكفر ، لأن السياق يحتم أن يكون هذا هو المراد

بالضلال فيها (١٥) ، بالإضافة الى ما روى في سبب نزولها (١٦) ، فالآية تقول : « وإذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا ، أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون » فهذه الآية وصف صريح للكفار الذين أصروا على ضلالهم وغيهم ، وهذا يقتضى أن يكون الذين ضلوا هم الكفار لا عصاة المؤمنين ، لأن الكلام عنهم في هذه الآية ، وقد جاءت بعدها تلك الآية ، لتامر المؤمنين أن يتعهدوا أنفسهم بالإصلاح ، فيلزموها بإداء ما أمر الله به واجتناب ما نهى الله عنه ، ثم تقرر لهم أنهم أن يفسريهم كفر الكفار بشيء ما داموا هم قد اهتدوا ، فدعوا الكفار الى الإيمان وحذروهم مقبة كفرهم (١٧) .

ويبدو أن من الصحابة من فسر تلك الآية على غير الوجه الذى ينبغى أن تفسر به ، وظن أنها ترخص للمؤمنين في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومن ثم قام أبو بكر رضى الله عنه خطيبا في الناس فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » وإنكم تضعونها على غير موضعها وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الناس إذا راوا المنكر فلم يغيروه — أوشك الله أن يعذبهم بعقابهم » (١٨) .

فالخليفة الأول في هذه الخطبة القصيرة يشير الى أن هذه الآية لا تعفى المؤمنين من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لأن اهتداء المؤمنين يستلزم قيامهم بواجب نصرته الحق ومقاومة الباطل والشر ، وقد أكد هذه الحقيقة بما أورده من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاضاف به الى الآية دليلا آخر على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من طبيعة الإيمان ، لا يتسبح الإيمان بحال في إلزام المؤمنين بهما ، بل هو يتوعددهم جميعا على السكوت عن تغيير المنكر بعقاب الله ، لا يخص طائفة منهم دون طائفة . وقد لمن اليهود على السنة الرسل لعدم تغييرهم المنكر « كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » (١٩) .

٨ — وإن مما ينبغى أن تدركه هذه الأمة دائما أنها أمة جعلها الله بما أسبغ عليها من نعم ، واختصها برسالاته الخاتمة — في مركز القيادة والمسئولية عن نفسها وغيرها ، فيبديها مشعل الخير ومنار الهداية ، ولهذا كان عليها أن تعطى دائما لغيرها لا أن تتلقى من سواها ، تعطى الاعتقاد الصحيح والنظام الصحيح والخلق الصحيح والعلم الصحيح (٢٠) ، يجب أن تكون الأمة الإسلامية قوة إيجابية في مختلف مجالات الحياة ، تؤثر في غيرها ولا تتأثر بسواها ، يجب أن تكون لها شخصيتها الفريدة التي تتسم بالإيمان بالوحدانية والأخوة والمسئولية الفردية والجماعية ، هذا واجبها ورسالتها ولا وجود لها بين الأمم إلا إذا حافظت على هذه الرسالة وقامت بذلك الواجب وأبقت أن مركزها في الطليعة يفرض عليها مسئوليات وتبعات وفي مقدمتها الدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فإن هي أهملت وتفاعست وأخلت الى الوهن ، فلا مكانة لها في الصدارة والقيادة ، بل لا وجود لها في الحياة .

قال الإمام القرطبي وهو يفسر قوله تعالى « تاملون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » مدح لهذه الأمة ما أقاموا ذلك واتصفوا به ، فإذا تركوا التغيير

وتواطئوا على المنكر زال عنهم اسم المدح ، ولحقهم اسم الذم ، وكان ذلك سببا لهلاكهم(٢١) .

٩ - إنها سنة الله بين عباده وإن تعد لسنة الله تبديلا ، ما من أمة يمكن الله لها في الأرض فلا تبطرها النعمة ولا يستخفها شيطان الانس والجن ولا تحيد عن شريعة الحق والعدل ، ولا تنهلون في الدعوة إلى الخير ومقاومة الفساد والشر إلا اعزها الله وأدام عليها النعمة وكتب لها الخليفة وأيدها بنصره « الذين إله مكنهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر »(٢٢) .

وما من أمة يستشري فيها الفساد ويتعاضد الباطل ويستأسد المنكر ، ويغشى الحق إلا أهلكها الله وتخلى عنها ولم يستجب لدعائها ، فقد روى عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : دخل علي النبي صلى الله عليه وسلم فعرفت في وجهه أن قد حضره شيء فغوضا وما كلم أحدا ، فخلصت بالحجرة استسبح ما يقول ، فحمد على المنكر ، فحمد الله وأثنى عليه وقال : يا أيها الناس : إن الله يقول لكم : « مروا بالمعروف ونهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا أجيب لكم ، وتسألوني فلا أعطيكم وتستنصروني فلا أنصركم » فما زاد عليهن حتى نزل(٢٣) .

وقال صلى الله عليه وسلم أيضا : « لئامن بالمعروف ولتتهون عن المنكر أو ليؤثكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم »(٢٤) . وفيما قصه الله علينا في القرآن الكريم من شأن بني إسرائيل خير عظة وتذكرة ، فقد وقعت بنو إسرائيل في المعاصي ، فلما نهيتهم عما هم لم ينتبهوا ، فجالس العلماء هؤلاء العصاة واكلوهم وشاربوهم فغضب الله تعالى قلوب بعضهم بعض ولعنهم على لسان داود وسليمان وعيسى بن مريم ، وصدق الله العظيم « لمن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون »(٢٥) .

١٠ - وبعد فإن سنة الله بين عباده ماضية إلى يوم القيامة ، والأمة الإسلامية إذا كانت خير أمة أخرجت للناس فإن هذه الخيرية منوطة بمسئولية الدعوة إلى الحق والنود عنه ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فإن هي حافظت على هذه المسئولية وقامت بها على أحسن وجه ظلت أهلا لهذا الشرف الكريم والفضل العظيم ، وظلت لها مكانتها في الريادة والقيادة ، وإن هي فرطت واهملت أو حاربت المعروف وسالت المنكر ذهبت عنها صفة الخيرية وأصبحت بلا وجود حقيقي في الحياة ، لأنها فقدت أسباب قوتها وعزتها كما أشار إلى هذا الإمام القرطبي .

والأمة الإسلامية اليوم لم ترع تلك المسئولية - أفرادا وجماعات - حق رعايتها لا نحو نفسها ولا نحو غيرها فكان ما نعاين من التفرق والضعف وشيوع المنكرات ، واستعلاء من كان بالأمس خاضعا لنا « وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون »(٢٦) .

إن نصر الله لا ينزل على عباده الذين ضيعوا وفروا ولم يعضوا
بالنواجذ على كل ما يحفظ لهم الفضل والخير والقيادة والسيادة .

لقد أنزلنا الله منازل الهداة وكتب علينا أن نرفع لواء المعروف ، لتكون
بحق خير أمة ، ووعدنا بالنصر ما دينا نسير على درب الحق ، لا نخشى في الله
أحدًا ، فلا خيرية بلا جهاد ضد الباطل والمنكر ، ولا نصر بلا إيمان يدفع إلى
بذل النفس والأموال وصدق الله العظيم ((وكان حقًا علينا نصر المؤمنين)) (٢٧) .

- (١) الآية ٢١ في سورة التوبة .
- (٢) الآية ٤ ، ٥ في سورة الصفات .
- (٣) في ظلال القرآن ه ٤ ص ٢١ .
- (٤) الآية ١١ في سورة آل عمران .
- (٥) انظر الفخر الرازي ه ٨ ص ١٩١ والبحر المحيط ه ٢ ص ٢٨ .
- (٦) الآية ١٠ في سورة آل عمران .
- (٧) في ظلال القرآن ه ٤ ص ٢٦ .
- (٨) الآية ٦٧ في سورة التوبة .
- (٩) الآية ٧١ في سورة التوبة .
- (١٠) تفسير القرطبي ه ٤ ص ٤٧ .
- (١١) المصدر السابق .
- (١٢) الآية ١٠٥ .
- (١٣) انظر مقدمة كتاب دراسات في التفسير للأستاذ الدكتور مصطفى زيد .
- (١٤) مما روى في سبب نزولها أن المؤمنين كانوا يحرصون على الكفرة ويتبنون إيمانهم وأنهم
كافوا إذا أسلم الرجل منهم قيل له : سهت أباك « من هدى السنة للأستاذ على حسب الله ،
والأستاذ الدكتور مصطفى زيد . الحديث الرابع عشر » .
- (١٥) المصدر السابق .
- (١٦) المصدر السابق .
- (١٧) المصدر السابق ، ويتسمح بمعنى يتساهل .
- (١٨) أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه .
- (١٩) المائدة : ٧٩ .
- (٢٠) في ظلال القرآن ه ٤ ص ٢١ .
- (٢١) تفسير القرطبي ه ٤ ص ١٧٢ .
- (٢٢) الآية ٢١ في سورة الحج .
- (٢٣) قيسات من الرسول ص ٥٣ .
- (٢٤) أخرجه الترمذي .
- (٢٥) الآية ٧٨ ، ٧٩ في سورة المائدة .
- (٢٦) الآية ٤٠ في سورة المائدة .
- (٢٧) الآية ٤٧ في سورة الروم .

فترات للـ

أشياء تستحق المعرفة في القرآن الكريم

للاستاذ محمد بلي الفوتى .

(٣) وجميع سور القرآن تنقسم على أربعة أقسام : الطوال ، وهي سبع سور : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، والأنفال ، وبراءة معما لعدم الفصل بينهما بالبسلة ، وقيل هي يونس ، القسم الثاني : المئون ، وهي : السور التي لا تزيد آياتها على مائة ، أو تقاربها . الثالث ، وهي : التي تلى المئين في عدد الآيات . سميت المئين لأنها تتثنى — أى تكرر أكثر مما تكرر الطوال والمئون . الرابع هو آخر القرآن . وأول سورة الحجرات الى آخر القرآن على قول الإمام النووي ، ويسمى هذا القسم (الفصل) لكثرة الفصل بين سورته بالبسلة .

والفصل ينقسم ثلاثة أقسام : الطوال ، والأوساط ، والقصار . نطواله : من أول الحجرات الى

القرآن الكريم ، هو كلام الله المعجز ، المنزل باللفظ العربى على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، المكتوب فى المصاحف ، المحفوظ فى الصدور ، المنقول بالتواتر ، المتعبد بتلاوته ، وهو آخر الكتب السماوية نزولا . وهو كتاب غنى عن التعريف لما له من الشهرة العالمية ما ليس لكتاب آخر ، وهو جامع لخبرى الدنيا والآخرة .

(١) يحتوى على مائة وأربع عشرة سورة ، منها ست وثمانون بسورة مكية ، وثمان وعشرون سورة مدنية ، على ما ورد فى مصحف سيدنا عثمان رضى الله عنه .

(٢) وعلى ثلاثين جزء ، كل جزء مقسوم على حزبين ، وكل حزب ينقسم على نصف ، وثلث ، وربيع ، وخمس ، وسدس ، وسبع ، وثمان ، وتسع ، وعشر .

(١٢) أول آية نزلت في الأطعمعة
هي : قل لا أجد فيها أوحى إلى
محرما على طاعم . (١٤٥) الانعام .
(١٣) أول آية نزلت في الأشربة
هي : يسألونك عن الخمر والميسر . . .
الآية (٢١٩) سورة البقرة .

(١٤) أول آية نزلت في القتال
هي : اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا .
الآية (٣٩) سورة الحج .

(١٥) أول آية نزلت في شأن القتل
هي : ومن قتل مظلوما فقد جعلنا
لوليه سلطانا (٣٣٠) الاسراء .
(١٦) أعظم آية في كتاب الله هي :
الله لا إله الا هو الحي القيوم .
الآية (٢٥٥) سورة البقرة .

(١٧) أكثر آية تفويضا هي : ومن
يتق الله يجعل له مخرجا . الآية
(الثانية) سورة الطلاق .

(١٨) أشد آية رجاء هي : قل يا
عبادي الذين أسرفوا . . . الآية (٥٣)
سورة الزمر .

(١٩) أطعم آية في القرآن هي :
أيطعم كل امرئ منهم أن يدخل جنة
نعيم الآية (٣٨) المعارج .

(٢٠) أجمع آية للخير والشر ،
وهي : أن الله يأمر بالعدل والإحسان
. . . الآية (٩٥) سورة النحل .

(٢١) آية واحدة تجمع كل الحروف
الهجائية هي : قوله تعالى : محمد
رسول الله والذين معه أشداء على
الكرار رحاء بينهم . . . الآية (٢٩)
آخر سورة الفتح .

كلماته

(٢٢) يحتوي على سبع وسبعين
الف ومائتين وخمسين كلمة على قول
مجاهد .

(٢٣) أطول كلمة في القرآن لفظا
وكتابة هي : فأسقيناكموه (الآية

البروج ، وأوسطه : من الطارق إلى
سورة البينة ، وقصاره من الزلزلة
إلى آخر الناس . وقيل : طواله :
من (ق) إلى سورة عم ، وأوسطه :
من عم إلى سورة (والضحى) .
وقصاره : من سورة الضحى إلى
آخر القرآن .

(٤) أطول سورة في القرآن
الكريم ، هي سورة البقرة ، وآياتها
(٢٨٦) نزلت في المدينة وهي أول
سورة نزلت في المدينة .

(٥) أقصر سورة في القرآن هي :
سورة الكوثر ، وآياتها ثلاث ، نزلت
في مكة بعد سورة (والمعاديات) .
(٦) أول سورة نزلت كاملة ، هي :
يا أيها المدثر . نزلت في مكة بعد
سورة المزمل .

(٧) أكثر سورة فيها ذكر اسم الله
في كل آية من آياتها هي : سورة
الجدالة . وآياتها اثنتان وعشرون
آية نزلت في المدينة بعد سورة
(المنافقون) .

آياته

(٨) يحتوي على ست آلاف ومائتين
وست وثلاثين آية ، على حسب ما
ورد في مصحف سيدنا عثمان رضي
الله عنه .

(٩) أول آيات نزلت من القرآن
هي : اقرأ باسم ربك الذي خلق .
خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك
الأكرم . الذي علم بالقلم . علم
الإنسان ما لم يعلم . سورة العلق .
(١٠) أطول آية في القرآن هي :
يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين
إلى أجل مسمى فاكتبوه . . . الآية
(٢٨٢) سورة البقرة .

(١١) أقصر آية في القرآن الكريم
هي : (طه) سورة طه ، مكية نزلت
بعد سورة مريم .

سورة الكهف . و (الكاف) من
النصف الثاني .

تاريخ نزول القرآن

(٢٢) ابتدا نزول القرآن منجما في
ليلة اليوم السابع عشر من رمضان
(وهي ليلة الجمعة للسنة الحادية
والأربعين من مولده صلى الله عليه
وسلم ، حيث أوحى اليه بأول أمر من
القرآن الكريم وهو : اقرأ باسم ربك
الذي خلق . الى آخر ست آيات من
سورة العلق ، وهو في غار حراء
يتحنن (يتبرر) .

وانتهى النزول في مساء الجمعة ،
تاسع ذي الحجة يوم عرفة ، للسنة
العاشرة من الهجرة ، وللسنة الثالثة
والستين من مولده ، وأوحى اليه آخر
آية ، وهي : اليوم اكملت لكم دينكم . .
(٣) المائدة .

وانزل عليه من القرآن وهو بمكة :
٨٦ سورة في مدة اثنتي عشرة سنة
 وخمسة اشهر وثلاثة عشر يوما ،
من ١٧ رمضان سنة (٤١) الى اول
ربيع الأول لأول سنة (٥٤) من
مولده . وكل ما نزل فيها في هذه
المدة يقال له (مكي) .

ونزل عليه صلى الله عليه وسلم
بعد الهجرة (٢٨) سورة في مدة
تسع سنوات وتسعة اشهر ، وتسعة
ايام ، من ربيع الأول لسنة (٥٤)
الى تاسع ذي الحجة سنة (٦٣) من
مولده ، للسنة العاشرة من الهجرة .
وكل ما نزل في هذه الفترة ، سواء
كان ذلك في المدينة ، وفي مكة ، يقال
له (مدني) .

فالمدة التي بين مبتدا التنزيل
ومختمه : اثنتان وعشرون سنة
وشهران واثنتان وعشرون يوما .
نسبحان الله العظيم ، هو الاول
والآخر والظاهر والباطن وهو بكل
شيء عليم .

(٢٢) سورة الحجر ، وهي تتألف من
احد عشر حرفا .
(٢٤) أول كلمة نزلت في القرآن
هي : (اقرأ) أول سورة العلق .

حروفه :

(٢٥) يحتوى على ثلاثمائة وثلاثة
وعشرين ألف وثلاثمائة وسبعة
وتسعين حرفا (٣٢٣٣٩٧) . وقال
عبد الله بن مسعود : (٣٢٢٦٧٠ حرفا)
، وقال عبد الله بن عباس
إنها (٣٢٣١٠٥ حرفا) . والله أعلم
بالصواب .

قال النبي صلى الله عليه وسلم :
من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة ،
والحسنة بمشء أمثاله ، لا أقول :
(الم) حرف ولكن : الف ، حرف ،
ولام ، حرف ، وميم ، حرف . رواه
الترمذي عن عبد الله بن مسعود ،
مرموعا .

انصافه :

(٢٦) نصف القرآن بالسور هو :
آخر الحديد ، والمجادلة من النصف
الثاني .

(٢٧) نصفه بالآيات هو : فالقى
موسى عصاه فإذا هي تلقف ما
يأفكون ، الآية (٤٥) الشعراء .

والآية التالية : فالقى المسجرة
ساجدين . الآية (٤٦) من النصف
الثاني .

(٢٨) نصفه بالكلمات هو :
(الجلود) في قوله تعالى : يصهر به
ما في بطونهم والجلود ، الآية (٢٠)
سورة الحج . وقوله : (حديد) في
قوله : ولهم مقامع من حديد . الآية
(٢١) سورة الحج من النصف الثاني .
(٢٩) نصفه بالحرف هو : (النون)
في : لقد جئت شيئا نكرا ، الآية (٧٤)



من محاورات الشيطان :

صالح في الظلام

للاستاذ محمد لييب البوهي

في إحدى الليالي .. وربما كنت متعبا .. تكاسلت عن صلاة المغرب .. ودخلت المشاء .. وظللت ساعة أو زهاءها في الظلام .. فلم أقم حتى لأضيء نور الغرفة فخيّل إلي أنني أراه إلى جوارى .. فهو يأتي في مثل هذه الساعات والأحوال .. فقلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .. ولكنه لم يتحرك ولم يذهب ... قلت عجبا .. اليس أنت الشيطان ؟ قال : نعم إني هو .. قلت : ولكنني استعذت بالله منك لتذهب .

فاجاب : إن الاستعانة لم تكن صادرة من قلبك — مجرد كلمات ردها لسانك على اطرافه ، حتى قلبك لم يكن حاضرا — وأما عزيمتك للخلاص مني فقد كان غائبا تماما — إن الاستعانة القوية التي يمنيها صاحبها هي سلاح لا أقوى على مواجهته .. ولكن هب أن معك مدفعا ذا طلقات ممددة .. ولكنك وضعت المدفع بعيدا عنك .. فوق جبل بعيدة ، ثم اعترضك في الطريق قاتل فقلت له : اذهب ولا ضربتك بالمدفع الذي هناك .. إن هذا لا يكون غير نوع من السخف .. وهكذا الأمر بيننا إنك لم تكن جادا في الاستعانة ولذلك فإني هنا .. لقد غفلت عن صلاتك فهذه ساعتى . إنها حقى .

ثم تمهل الملعون وقال : ولكن لماذا تريد أن تصرفنى ؟ .. إننى أستطيع أن أسليك ما دبت متعبا متكاسلا عن الصلاة ..

قلت : فانت سعيد اذن بهذه الفرصة .. ؟

قال : ساحاول أن اكون صادقا معك .. إننى اطلب اليك أن تزيج كلمة السعادة جانبيا .. لقد مسحت هذه الكلمة من قاموس حياتى منذ اجيال موفلة فى ظلمات القدم — منذ اخرجت آدم وامكم من الجنة ..

قلت : فانت إذن تشعر بالندم .. ؟!!

قال : وماذا يجدى الندم . إننى اشعر بالحقد والرغبة فى الانتقام .

إن عدوى الأكبر قد نال رضوان ربه منذ تلقى منه سبحانه كلمات فتاب عليه .. لقد زاد ذلك الغفران من غيظى .. لقد افلتت الأب من برائتى فانا أزرع الألغام فى طرقات ابنائه .. إنها الفام قد تبدو فى صورة التحف .. إننى أبئها فى أكثر الأحيان تحت شجيرات الورد . إن لفتى الكبرى حين ابصر أشلاء الذين تنسفهم الفام ملذاتى .. إنهم يسمعون ضحكاتى حين يتخطون وهم يهرون إلى الأعماق السحيقة ..

قلت فى غيظ شديد : الا يستطيع احد أن يراك على حقيقتك ؟ فضحك المجرم الأبدى وأجاب : لا اعتقد أنك تظننى سانجا إلى هذا الحد .. !! ، إذا مررت بالحاتات ، أو علب الليل ، أو كثير من دور اللهو الأسود . فسوف ترى أقواما يتسامرون ويتنادمون ويقضون أوقاتهم فى تعاطف كاذب .. إننى سيد هذه المواقف .. وهؤلاء الأخلاء هماعوانى .. إن بعضهم لبعض عدو فى صورة صديق وإننى لبارع فى إعداد هذه الصور فى أزياء شتى ، لقد يمضى وقت طويل دون أن يعرف كل منهم الآخر على حقيقته ، إن الخيانات الزوجية .. وسرقات الأموال .

وما الى ذلك من الجرائم ، إنما تنشأ غالبا من بين هؤلاء الذين يتعارفون ويتسامرون تحت لوائى .. إننى أرى أنك توشك أن تسألنى سؤالاً عن أولئك الذين يتكبرون طريقى من الاتقياء ، إن هؤلاء لا يرونى لأننى لا أستطيع أن أقترب منهم على الإطلاق الا فى مثل هذه الساعة التى أنت فيها الآن .. وأنت تعرف اننى بالمرصاد .. إن اللص الذى يريد أن يسرق داراً فيها جواهر ، فانه يتوارى وهو يراقب تلك الدار منتهزا فرصة يغيب عنها صاحبها فيسطو على الغنيمة .. إن غنيمتى هى قلوبكم فلا تلوموا غير أنفسكم حين تغفلون عنها .

قلت : وحين تفتريس احدا من بنى البشر .. من أولئك المساكين الذين تنسف حياتهم وسعادتهم بقوة الألغام التى تبئها فى الشهوات والمذات اترك تنصرف عنهم بعد ذلك . ؟ !

قال بقوة : لو أنصرفت عنهم لكان ذلك لونا من ألوان الرحمة . وذلك شئ لا اعرفه . إننى أنتظر هؤلاء فى ساعة الموت حين يكونون على ابواب الأبدية .. حين تبسط لهم الملائكة أيديهم قائلة : اخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون .. حين تحاول أرواحهم أن تغيب فى طيات الأجساد فتنتزع كما ينتزع السفود من الصدف .. إننى فى هذه اللحظات اكون واقفا عن بعد .. إنهم يرونى هائلا شامتا ضاحكا .. إنهم يرونى بقوة وأنا أزهمهم إلى عرصات الجحيم ..

قلت فى اسى ووجيعه : يا لك من خسيس حقيير . ترى هسل تقف بك الشمامسة بالمساكين من بنى البشر عند هذا الحد .. ؟
اجاب وقد تجهج وجهه واسود حتى صار فى لون القطران .. وما ظنك بهؤلاء الذين جمعوا الاموال وكدسوها دون إنفاق فى الوجوه التى امرؤا بها .. وما ظنك بهؤلاء الذين يفرون من واجب مقدس او يكتفون بتهاوى الكلام .. وما ظنك بقاطعى الارحام .. إن الغامى ليست كلها شهوات وملذات حسية .. إن الإلشعاع تعود ارواحهم من قبورهم لترى ماذا يصنع الوراث باموالهم ، ثم تلتصمهم اموالهم بشواظ من نار .. وهؤلاء ليسوا اقل حظا من الآخرين ، ممن ذكرت امرهم لك ، او من الذين يتيهون على الارضى مرحا .. او الذين تمر الآيات من آذانهم اليمنى لتخرج من اليسرى دون ان تحرك قلبا او تدعو الى ارادة السلوك والتطبيق .. إن فى سجلات حسابى الكثير وفوق الكثير .. وهؤلاء وهؤلاء يظل تشبىح الاسود ماثلا امامهم فى قبورهم .. إبنى أتجرع وإياهم كؤوس الحسرات .. إنا من صنف واحد .. وقد اختار بعضنا بعضا فلا مفر من المصير .

قلت : سواء كنت تسمى هؤلاء اعداء لك او اصدقاء فإن الأمر سياتى لأن العواقب لا تختلف ، ولكننى اسالك هل ترصدهم عندك فى سجلاتك السوداء فى درجة سواء ؟

فاجاب معاتبا : كيف تظن هذا الهراء .. ؟ كيف تريدنى ان أسوى بين النافه الحقيير الذى يخلس بعض المال او تلك الخنزير القذر الذى يخلو فى ظلمات المعار والحرام بامرأة ما ، كيف أسوى بين هذا او ذاك بذلك المربع على عرشى سلطة عظمية ويامر قاذفات النار بتدمير القرى على ألوف النساء والأطفال ثم يشرب سعيدا نخب هذا الإنصار ؟؟ إن هذا الرجل يسير تحت ظل جناحى على حين أدفع الآخرين بأطراف أناملى ..

ثم استطرد اللعين وهو ينظر الى بعيد : ولكننى أقول لك حقا وسحقا ... إبنى وضعت التساج على رأسك الذى اخترع القنبلة الذرية .. إنا معشر الشياطين على مدار ألوف الألوف من الأجيال لم نستطع ان نفعل ما فعلتموه انتم بانفسكم ..

قلت : ايها الكذوب لا تحاول ان تراوغ .. إنك اكبر عالم من علماء الشر الاسود .. إنك كبير علماء الذرة والصواريخ المدمرة ، انك انت الذى أوحيت بها ووضعنا أفكارها فى رؤوس هؤلاء ..

فاجاب فى تمنع : قد يكون الأمر كذلك على صورة ما .. ولكننى لا افعل ذلك الا حين أجد استجابة فى القلوب .. لو كانت هناك ذرة من الحب الإنسانى والتعاطف البشرى فى قلب هؤلاء لما استمعوا الىّ وما فعلوه ..

ان الذى تعاون منه جميعا فى مشارق الأرض ومغاربها هو ضياع الحب .. بالحب قامت السموات والأرض .. إن ما تسمونه انتم جاذبية الكواكب لبعضها .. تلك الجاذبية التى تمنعها من التردى فى الفضاء .. هذه الجاذبية بين الجمادات .. بين ذرات الاحجار حتى تتماسك ، كل هذا يمكن ان تسميه حبا .. ان الكائنات والجمادات والاشجار والنجوم والجبال والدواب تتعاطف انتم فقط الذين تتفنون بالكرهية ، وإبنى أنتظر الساعة التى أرث فيها وحدى

أرضكم .. ربما لا يمضى على ذلك وقت طويل .. إنكم تقربون من ساعة
الصفير .

قلت : إن الصياد حين يريد أن يصيد سمكة فإنه يضع لها طعاما لذيذا فى
الشخص فما هو الطعام الذى ترى أكثر الناس يحبونه ؟

قال ضاحكا أنت كعادتك تريد أن تغوص إلى أعماق مهنتى .. لا بأس ..
إن أعظم طعم يحبه الناس هو الغرور .. الغرور يجعلهم يغلون عن حقيقة اللذات
... إنك تعرف أين تنتهى أعظم وجبات الطعام الشهى بعد ساعات من تناوله .
ومع ذلك يرتكبون الجرائم فى سبيل المزيد مما يهيب لهم ذلك .. وهم يرون
مساكن الذين كانوا من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وبأسا ، ويسمعون من التاريخ
عن مصير أصحاب الصولجان .. ومع ذلك يتكالبون ليسلكوا نفس الطريق
.. إننى أزين لهم ذلك .. أن الكشف عن الحقيقة فى كل ذلك لا يحتاج الى لكاء
كبير .. ولكنك ترى أن أعظم العيون قدرة على الابصار تستطيع أن تحجبها عن
النظر بورقة صغيرة تضمها أمام العين .. إن الورقة التى فى يدي وأضعها أمام
عين الحقيقة هى الغرور .. إنهم بعد أن يذهبوا ويكتشف عنهم الفطاعيصبح
بصرهم حديدا .. هنالك تظهر لهم الأمور على حقيقتها .. هنالك ياكلون الأصابع
ندما ويقولون ليتنا نرجع مرة أخرى بعد أن ابصرنا ..

.. أن التلميذ الصغير فى أى مدرسة هو أسعد حظا من الإنسان فى
الآخرة .. أن التلميذ إذا رسب فى امتحانه فإمامه فرصة الإعادة ودخول الامتحان
مرة أخرى .. ولكنكم أنتم وأسفاه معشر البشر ليس أمامكم غير امتحان واحد
.. إننى أحبه عنكم بهذه الورقة التى حدثتكم عنها .. إننى أسبب لكم الفظ
الأبدى .. إن ما ينتج صدري هو أنه لا رجعة لكم بعد أن تذهبوا .. لا فرصة
أخرى لإصلاح ما مضى وفات ..

قلت : من الأمور التى لا ليس فيها أنك على صلة قوية بأولئك الذين يدعون
أنفسهم بالصهيونيين ويخيل لى أنهم أحباب لك وإنك تعتمد عليهم كثيرا . اليس
الأمر كذلك تماما ؟

قال : هذا سؤال خبيث فانت تعلم جوابه .. وإني لتدرك أنه ليس لى
أحباب على الإطلاق ، أما أن يكون هناك أعوان . فنعم .. وإننى لعل على صلة قوية
بهم .. وسوف تظل هذه الصلة قائمة الى آخر الدهر ، إننى أنا وهم جميعا قد
طردنا من ظلال الرحمة ، إن اللعنة قد حقت على كل منا ومنهم ، أغنى على
الشياطين وعليهم ، فحقن إبن سواء ، وإننى لأزهو بأننى أمليت عليهم دستورهم
الاجرامى العظيم الذى يسمونه « بروتوكول حكماء صهيون » وإننى لأقرأ
فى عينيك أنك تريد أن تسألنى سؤالا آخر فتقول : وماذا أمليت عليهم فى
دستورهم ذاك يا أبليس .. ؟ حسنا .. سأجيبك على هذا السؤال الافتراضى
الذى يدور فى خلدك .. لقد رسمت لهم من بعد موسى خط السير ليكونوا زعماء
الفساد بشتى أنواعه ، أغنى الفساد الاجتماعى والاقتصادى والفساد السياسى
والثقافى وما الى ذلك فى كل زمان وفى كل مكان يحلون فيه ، حتى ما يمكن أن
تسميه بالفساد العقائدى ، إننى أنا الذى أمليت عليهم تلك الخرافات التى دسوها
فى دينكم لبشغوا العامة منكم بكل ما هو تافه وليصرفوهم عن كل ما هو جوهرى
ونافع ، وإني لتعلم أن عدد سكان عالمكم الأرضى الآن ثلاثة آلاف ومائتا مليون
واليهود منهم نسبة ضئيلة مشتتة فى البقاع المختلفة ، إنهم ثلاثة عشر مليونا

فحسب ، ان عددهم قليل ولكن فسادهم هائل ومريع ، ولذلك فهم يمتدحون على التسلسل من وراء الأبواب التي نام عنها أصحابها ، انهم أساتذة علم النفس في أكثر جامعات الغرب ، ليدسوا من خلال هذا العلم بعض ما جاء في « بروتوكول حكماء صهيون » ، إنهم على سبيل المثال يمجّدون فرويد اليهودي لأن نظريته تمجد الغريزة الجنسية ويجعلها أساسا لكل شيء وهم يريدون ان يفرقوا الآخرين جميعا في شئون الجنس ، أي يهبطوا بهم الى مستوى الدواب ، اعنى الى اسفل سافلين ، ولقد احتضنوا الفيلسوف الالماني نيتشة لانه يرى الرحمة بالآخرين عيبا يجب الخلاص منه لقد سيطروا على عقولكم بفسادهم الثقافي انظر الى أكثر ما تقدمه دور السينما مما يكتب عليه للكبار فقط ، إنه من صنعهم وانت تعرف ماذا يقصد بهذا التخصيص .. انني لا احبهم .. ولكنني فخور بهم .. وأبارك ثمار أعمالهم .. لقد كان هتلر يسوقهم الى المحارق ، ويرى أنهم ولاء مستمر ، وأنه لا خلاف لهم مع اصدقائهم انهم هم الذين سيهيطون بأمريكا الى الحضيض وأن ما يسمى بآزمة هبوط الدولار المجيد هو بطريق غير مباشر من الخضوع الأمريكي لتدبيرهم انني أغرب هؤلاء هؤلاء وفي النهاية وقد تكون قريبا سيلعن بعضهم بعضا وساقف من الطرفين ضاحكا شامتا .

قلت : اصدقني الجواب .. لماذا تكشف لي بعض أسرارك على هذه الصورة ؟! الا تخشى نشرها على الآخرين .. ؟ الا تخشى ان يعرفوك على حقيقتك .. ؟ فقال ضاحكا ساخرا : نعم .. صدقت فيما تذهب إليه .. انك تستطيع ان تنشر هذا عني .. ولكنني أعلم من تجاربي انك سوف تنسأه .. وسوف ينسأه الآخرون .. ان مثل هذا كله كمثل الدخان في الهواء .

.. هل تذكر ما يقال عن صاحبي جحا .. ؟ ، انه يقال انه كانت له ساقية تدور وتدور ، وتئن وهي تحمل الماء من البئر ثم تعود لتصبه في البئر من جديد ان التقوى من عمل الإرادة وليست من مجرد ترديد الكلام .

ثم أردف اللثيم وهو يتهايا لينوب في ظلام الليل ، انما ابغى من وراء اخباركم بهذا ان تعلموا ليكون العذاب أشد وانكى ، إن ذلك القول وفي الأعم الأغلب لن يتحول الى عمل .. وإنك لتعلم انه قد يغفر للجاهل أربعين مرة قبل ان يغفر لمن يعلم مرة واحدة .. من أجل هذا كشفت لك عن بعض أسرارى حتى ازداد تشسفا منكم يوم لا ينفع الندم هناك — انني أعلم ان هناك صراعا ابديا بيني وبينكم ولكنه قلبا يجدي — لأنه صراع يدور في الظلام ..

بأقلام القراء

للأستاذ : حسين مطر

حواء وقضية الرداء

كثيرا ما أثارت قضية مظهر المرأة تساؤلات ومناقشات مهنساك تبرجها الصارخ ، وهناك الذى يقف موقف المتفرج أو المشجع ، وإذا أردنا أن نحصر مواقف الناس حيال هذه المسألة نجدها تتلخص فى ثلاثة اتجاهات رئيسية :

الاتجاه الأول :

هناك من يعرض عن الأخذ بالأزياء الغربية باعتبار أنها تتعارض مع القيم والتراث الاجتماعى والثقافى لشرقنا العربى والإسلامى ، وهذه الفئة تتمسك بمظهر يتفق وضرورة المحافظة على تلك القيم التاريخية والثقافية باعتبار أنها جزء من الكرامة الذاتية القومية ، وهم فى سبيل ذلك لا يابهنون بسخرية الآخرين بل يعضون فى طريقتهم بفخر وتصميم واعتزاز ، لكن هذه الفئة تشكل نسبة قليلة فى المجتمع .

الاتجاه الثانى :

ويعتبر الأخذ بأنماط الأزياء نوعا من الرقى والأخذ بأحدث أساليب العصر ، والنساء من هذا الفريق يتسابقن لمعرفة أحدث خطوط الموضة فى عالم الأزياء غير مكترحات بقيم المجتمع وتراثه التاريخى والثقافى .

الاتجاه الثالث :

ويشكل الغالبية العظمى فنرى أن النساء يأخذن بمظهر الأزياء الغربية كنوع من مسايرة ما درج عليه المجتمع الحديث من تغيير ، وأن كسان بعضهم يساير الاتجاه على مضض خوفا من الخروج على الاتجاه السائد لكيلا يوصوا فى نظر الغالبية وبالتخلف والجمود .

وهنا يتقفز الى الذهن سؤال : ترى من هو المسئول عن مواجهة مثل هذه الظاهرة وما تسببه من صراع ؟

هل المسئول هو الدولة المهيمنة بتشريعاتها وقوانينها على أفراد المجتمع ؟
— أم الفرد الذى يتمتع بنوع من الحرية وضبط النفس ؟
— أم المجتمع الذى يفرض على الفرد أنماطا معينة من المعايير السلوكية بحيث لا يستطيع أن يحدد عنها بسهولة ، والا كان عقابه الاحتقار المر والعزلة القاتلة ؟

وإذا وضعنا فى اعتبارنا المناقشات التى دارت حول هذا الموضوع فى بعض الأقطار العربية والإسلامية نستطيع أن نستخلص النقاط الآتية :

١ - المجتمع اقصى من الفرد :

الفرد يخاف من المجتمع ، ويحرص على إرضائه ومسأيرته حتى ولو كان في قرارة نفسه غير مقتنع أو راض عما يقوم به شخصيا ، فهو يخشى أن يقذف بالاحتقار والعزلة إذا ما خالف الخط العام الذي ينتهجه المجتمع ، فبعض الفتيات رغم ادراكها بأن ارتداء الزي الامرنجى يحرمه الدين الا انها تصر على التمسك به لأرضاء المجتمع ، إذ أن خوفها من المجتمع أقوى من خوفها من تعاليم الدين نهى على استعداد للتضحية بقيم الدين وغير مستعدة للتضحية بأرضاء المجتمع . وأن محاولة الخروج على الخط العام الذي ينتهجه المجتمع اشبه بعملية مصارعة الثيران وليس بمقدور الفرد العادى أن يقوم بمهمة مصارع الثيران .

٢ - دور الفرد ونفوذه غالبا ما يكون محدودا داخل نطاق الأسرة فمهما كانت سلطة الوالدين ونفوذهما فان تأثير المجتمع أقوى بكثير من نفوذ الأسرة خاصة إذا كان المجتمع يمر بمرحلة تحول من التخلف الى التقدم ، كما هو الحال في المجتمع العربي في الظروف الراهنة .

٣ - الدولة هي أداة لتنفيذ القانون . والقانون غايته حفظ النظام بين افراد المجتمع بغض النظر عن أية اعتبارات أخلاقية ، إذن ليس من أهداف القانون تغيير المجتمع ، بل إن المجتمع هو السذى يغير القانون تبعا لاحتياجاته وتطلعاته ، ولكن هل معنى ذلك أن نعى الدولة من أية مسئولية في عملية إصلاح المجتمع ؟

بالطبع إن الدولة بوصفها الجهاز الرسمي وحامية للقانون يمكن أن تساهم بدور فعال في تشجيع عملية الإصلاح والتمهيد لها ، وذلك يتوقف على أسلوب النظام الحاكم وسياسته العامة ، إذن كل ما تستطيع أن تفعله الدولة هو تهيئة الجو الملائم تمهيدا لعملية الإصلاح ، ولكن الدور الرئيسى في هذه العملية يبقى في يد المجتمع نفسه ، أما إذا اقضت الدولة نفسها بقوة القانون لتغيير قيم معينة في المجتمع فان ذلك قد تكون له نتائج ايجابية في حالات مؤقتة ملحة أو تحقيق نتائج على المدى القصير ، بينما على المدى الطويل يثبت هذا الإقحام فشله ، وخير مثل نستشهد به هو اصدار الرئيس الأمريكى ابراهام لنكولن قرار تحرير العبيد منذ مائة وخمسين سنة ، ولكن ما الذى يحدث اليوم في الولايات المتحدة ؟ إن التفرقة العنصرية لا تزال قائمة لأن عملية الإصلاح اقضت على المجتمع من سلطة فوقية ، ولم تتم عن طريق الاقتناع الحر ، نستنتج من ذلك أن عملية تغيير المجتمع تقوم على الاقتناع الحر الذى يستغرق وقتا وجهدا طويلا قبل أن تقوم على قوة السلطة ، فما تراكم على مر عشرات أو مئات السنين لا يمكن تغييره بين يوم وليلة من خلال قانون رسمى تصدره الدولة .

وهنا لا بد أن نجيب على السؤال التالى : ما الذى يؤثر في المجتمع ، ويشكل القيم التى تحكم سلوك افراده ونظرتهم الى الحياة والتى على أساسها تبنى الدولة قوانينها وتشريعاتها ؟

في الواقع توجد هناك عوامل تاريخية وثقافية تسهم جميعا في بلورة قيم معينة لا تلبث أن تصبح بمرور الوقت أشياء تقليدية راسخة تحكم السلوك ، وتحكم في نظرة الفرد تجاه الظواهر الاجتماعية على اختلافها هذا بالإضافة الى أن نوعية رجال الثقافة والفكر تلعب الدور الأكبر في تشكيل الراى العام وتوجيهه وأرساء قواعد القيم التى يؤمنون بها ، فالمجتمع يتحكم فيه بصورة أساسية قادة الفكر من

المثقفين والكتاب والصحفيين وبقية رجال الثقافة والفكر خاصة المشتغلين بوسائل الاعلام مثل السينما والاذاعة والمسرح والتلفزيون ، وهؤلاء جميعا يقع عليهم العبء الأكبر في حمل رسالة التغيير والمتطلع الى الحياة الأفضل استجابة لرغبة قطاعات الجماهير ، وتفاعلا مع اهدافها وخلفيتها التاريخية والثقافية ، لهذا نرى أن الرسول صلى الله عليه وسلم يشير الى أهمية هذه الفئة من المجتمع بقوله : (العلماء ورثة الأنبياء) وتبرز أهمية الدولة في هذا المجال بأنها تقوم بمهمة الحارس الأمين عن طريق أجهزة الرقابة على الاتجاهات السلبية والهدامة ، وتشجيع العناصر الناهضة البناءة ، وأحاطتها بالرعاية ، وذلك كله تمهيدا لعملية التغيير الكبير التي تنشأ وتتبلور في القاعدة الشعبية ، ويكون القانون أخيرا تنويجا لرغبة الجمهور وتطلعه الى حياة سامية بعد أن وضحت أمامه معالم الطريق .

وإذا نظرنا في مسألة الأزياء في مجتمعنا العربي والاسلامي نجد انها أساسا تشكل جزءا من مشكلة كبرى وهي مسألة التخلف الثقافي الذي ما زلنا نعيش فيه ، فبالنظر الى خلفية المجتمع العربي خاصة إبان الحكم العثماني الذي أطلق عليه في الغرب « الرجل المريض » نجد أن الرجل لم يكن مريضا سياسيا وحربيا بحسب بل ثقافيا وإداريا أيضا . . ومن هنا بدأت الثقافة الفرنسية تتغلغل في ممالك الدولة العثمانية ممثلة أساسا في تلك القوانين التي ما زالت تحكم حياتنا الاجتماعية حتى يومنا هذا ، ثم أخذت تنافس الثقافة الفرنسية أو تحل محلها بالتدريج الثقافة الانجليزية - الأمريكية ممثلة في الأزياء والأفلام السينمائية والسلع الكمالية . .

وإذا نظرنا للاستقلال الحقيقي الذي تحرزه أي أمة نجده يتمثل في الاستقلال السياسي والاستقلال الاقتصادي والاستقلال الثقافي ، وإذا لم يتبع الاستقلال السياسي باستقلال اقتصادي وثقافي فانه بمرور الوقت في استغلال شكلي محض خال من أية معنى ، وأن الشرق العربي حتى الآن لم يكد يستكمل استقلاله السياسي ، فالإنسان العربي لا يزال إنسانا مستهلكا أكثر منه إنسانا منتجاً هذا بالإضافة الى أن هناك تبعية صارخة للفكر الغربي ، نجد آثار هذه التبعية تتمثل في الاعتقاد السائد وهو أن الغرب متقدم في كل شيء ، وإننا متخلفون في كل شيء ، وترتب على ذلك أن أخذنا عن الغرب الفث والسمين ، ولم يقتصر ذلك على النواحي المادية من تقليد المظاهر وما يتصل بها بل امتد ذلك الى النواحي الثقافية والفكرية حيث نجد أن طائفة كبيرة من المثقفين والكتاب والصحفيين وبعض أساتذة الجامعات قد صبغوا أنفسهم بالصبغة الغربية ، وهذه الطائفة بالتضاهر الطبيعي مع غيرها من أوجه النشاط الثقافي والاجتماعي السائد في الظرف الراهن أصبحت تشكل مركز القوة في قيادة الرأي العام وتشكيله طبقا لاتجاهاتها ومشاريها ، ماذا كان نتيجة ذلك كله ؟ لقد أصبح هناك جيل يتباهى ويفتخر بانتمائه للثقافة الغربية ومحركاتها ، ويهمل تراثه الثقافي المحلي بل وينظر اليه بعين الازدراء والاحتقار في أغلب الأحيان .

ولقد لعبت الدعاية الواسعة المكثفة التي نشرها الغرب من حول ثقافته مستخدما في ذلك شتى الطرق من أفلام سينمائية وسلع كمالية ومراكز الاستعلامات والمعاهد الثقافية - دورا فعالا في نشر ثقافته وأسلوب حياته واضفاء طابع العالمية عليها وكأن الغرب أصبح هو العالم كله ! وفي عالم الأزياء نجد أن بيوت الأزياء « الراقية » التي تدعمها المجلات المتخصصة في هذا الشأن تقوم بدور فعال في الدعاية لما تفرزه بيوت الأزياء

ومصممها في باريس وروما ولندن ونيويورك . وإذا اعينا النظر في أسلوب تصميم تلك التقاليع وتطورها من فترة لأخرى نجد أنها تتبع أسلوبا في تعرية جسد المرأة شيئا فشيئا ، وأن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أسلوب الحضارة الغربية الذي يقوم أساسا على عبادة الجسد والخلود إلى القيم الأرضية ، ولذلك أسباب حضارية يطول شرحها . .

وإذا كان مصمموا الأزياء في بعض الأحيان قد ابتكروا تقاليع تبدو محافظة مثل « الميدي » و « الماكسي » والبنطلونات العريضة ، فإن ذلك لا يمثل تغييرا جوهريا في أسلوبهم ، بل إنه في الواقع يمثل انعطافا مؤقتا يهدف إلى تغيير أمزجتهم التي أصيبت بنوع من الحساسية من جراء الاستشارة التي أحدثتها تقليعة « الميني جيب » ولهذا نجدهم بعد فترة وجيزة يعاودون الكرة ، ويطلعون على العالم بها أسموه « الثورت الساخن » لمعانا في الإثارة الجنسية الصارخة !!

وإنه لمن المضحك والمؤسف في الوقت نفسه أن حواء تقف من كل ذلك مسرورة متلهفة على كل ما يصدره « مبدعو الموضة » وإذا بها تغدو دمية نسي أيديهم يعبثون بها كيفما شاءوا ، فلو فرضنا على سبيل المثال أن فتاة تجرات وليست رداء يشبه (الماكسي) أو (الميدي) قبل أن يصرح (سلوك الموضة) بتداوله لوصفها الجميع بالتخلف والرجعية والجمود . . إلى آخر ذلك من قائمة الاتهامات التقليدية . . ولكن عندما صدر الإذن من (أصحاب الجلالة) إلى حواء إذا بها لا تجد فضاضة في ارتداء (الماكسي) بل أقبلت عليه بنفس الحماس الذي أقبلت فيه على ارتداء (الميني جيب) من قبل ، رغم ما بينهما من فرق شاسع !

وإذا كان البعض يرى أن ارتداء الملابس الأفريقية للمرأة يضفي عليها نوعا من تذوق الجمال والأناقة ، وإن إبراز مفاتها يغذي الجبال فائنا نقول لهم : حسنا . إن ذلك سوف يكون رائعا لو كان الإنسان ملاكا أي روحا فقط ، ولكن الإنسان مكون من روح وجسد معا ، وليس مجرد روح فحسب . أي أن جمال المرأة ، وأظهار مفاتها يرتبط عادة باستشارة جنسية لا يمكن انكارها ، ثم ما يترتب على ذلك من اعتبارات أخلاقية وإنسانية .

هذا وإن مظهر الإنسان كما يقول علماء النفس هو جزء من شخصيته ، فمظهر حواء وتبرجها الصارخ بعرض مفاتها إنما يؤثر أبلغ التأثير في التكوين الداخلي لشخصيتها ، فينعكس ذلك . على سلوكها ونظرتها إلى الحياة ، فالرداء المحتشم يكسبها هبة وريانة ووقارا ، ويضفي عليها جمالا روحيا أساسه البساطة وعدم التكلف ، أما الرداء الفاضح المثير فإنه يجعلها تفقد كثيرا من خصائص أثوثتها خاصة حيائها ، ثم ما يترتب على ذلك كله من الأضرار التي تلحق بالإنسان بصفة عامة من انحطاط في النتاج الفكري والوجداني ، وتجعل الحياة الإنسانية تهوى إلى الحضيض .

وإذا تأملنا الطبيعة من حولنا نجد أن للأشجار أوراقا تكسوها وللطيور ريشا وللحيوانات أشعارها وأوبارها ، ولكن ما بال الإنسان ؟ إن للإنسان عقلا استطاع به أن يصنع ما يستر جسده ويضفي عليه مظهرا لائقا ، فإذا تصورنا الأشجار بدون أوراقها تكسوها والطيور بدون ريشها والحيوانات بدون أشعارها وأوبارها أمكن لنا أن نتصور الإنسان بدون رداء لائق يستره ، وصدق الله العظيم إذ يقول في محكم آياته :

« يا بني آدم قد أنزلنا عليك لباسا يوارى سوءاتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون » — سورة الاعراف الآية ٢٦ — .

الفتاوى

حرمة بيع الاراضى العربية لليهود

السؤال :

رجل مسلم يملك قطعة ارض فحسبها داخل البلدة التى يقطنها ، طمع يهودى فى شرائها ليقيم عليها دارا للسنيما تدر عليه ربحا وفيرا ، فهل يجوز له بيعها ؟

رفع هذا السؤال الى فضيلة الشيخ حسين محمد مخلوف مفتى جمهورية مصر العربية الاسبق وقد اجاب عليه بما يلى :

الاجابة :

ان السياسة اليهودية - فى انحاء العالم بلا مراة - تقوم على انتزاع البلاد العربية من اهلها واجلائهم عنها بطريق التملك الفردى ، فيتقدم اليهودى الى العربى لشراء عقاره بثمن يفرجه ، فيقع فى الشرك ويتم الصفقة ، ثم يتقدم يهودى آخر الى مالك آخر عربى بمثل ذلك ، حتى إذا احاطوا بالقرية ، ورسمخت اقدامهم فيها ، وكثر عديدهم بها ، ارغموا الباقين من العرب على الهجرة منها بشتى الوسائل الوحشية ..

وهكذا ينتقلون من قرية الى اخرى حتى تسلم البلاد لهم فيمسي اهلها العرب ، وقد جردوا من املاكهم وحرموا من اقواتهم ، واجلوا عن اوطانهم ، وشردوا فى الاماكن عشرات الآلاف شر مشرد يعاتون الجوع والعرى والفاقة ، ويشربون كاسى الذل دهاقا .

فعل اليهود ذلك فى فلسطين ، ويرومون تنفيذ هذه السياسة فى غيرها من البلاد العربية الاسلامية ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ، فى ضعة ومذلة ، وسكون ومسكنة حتى اذا تم لهم الامر ، ولو بعد سنين لبسوا جلود النمر ، وكشروا عن انياب الشر والانتقام ، واحالوها فلسطين اخرى .

وقد اعدوا العدة لذلك ، ونحن اغفال نيام ننخدع بمسكنتهم ، ونغتر بظواهر احوالهم ، ونظن انهم قلة لا يقدرين على كيد ، والله يعلم والتاريخ يشهد ان يهود العالم عصبة واحدة يشد بعضهم ازر بعض ، وينفذون كل ما ترسمه قياداتهم العابة فى الوطن الذى يعمشون فيه ، ويقتاتون منه ، مهما اضر ذلك باهل الوطن تلك هى نتيجة بيع الاراضى العربية لليهود .

والآن وقد وضحت هذه السياسة الخبيثة والخطط الماكرة باجلى برهان يجب ان يكف المسلم عن بيع ملكه لليهودى مهما اغراه الثمن ، وإلا كان بهذا البيع معينا لاد عدو على ضياع بلاد الاسلام وتمكين ابغض عباد الله الى الله من التحكم فى ديار المسلمين ورقابهم واموالهم واعراضهم بأشجع صور وادنتها ،

ان كل ربح ينسأله اليهودى فى بلادنا قوة له وعدة ، واذا كان على كل يهودى فى العالم قسط من المال يؤديه لاسرائيل لاعزازها وتكيتها من القضاء على العروبة والاسلام لا فى فلسطين وحدها ، بل فيها وفى سائر الاقطار الاسلاميه ، وجب ألا يمكن من ربح يريحه ببيع أو شراء وإلا كان ذلك وبالا ومضرة بالمسلمين .

اليهودى يحرم على نفسه أن يسدى النصح لمسلم بما ينفعه فى دنياه ، وان يدع مسلما ينعم بخير دون أن ينقص عيشه ، ويمتنع عنه ، ويستنزف ماله ، ومن أجل ذلك اشاعوا الربا بين المسلمين ، وقد حرصوا عليه ، وقد نهوا عنه كما أخبر الله تعالى بقوله : « واخذهم الربا وقد نهوا عنه واكلمهم أموال الناس بالباطل » . وقوله تعالى : « اكألون للسحت » .

واليهودى يحرم على نفسه أن يبيع عربيا أو مسلما شبرا من أرض فلسطين مهما بذل من ثمن فما بالنا قد سميت أبصارنا عن هذه الحقائق ، وصمت آذاننا عن سماع الأنباء الصادقة عن هذه الخطط الشنيعة الماكرة فى ديارنا ، وانسحنا لهم مكان الصدارة فى اقتصادياتنا ، وتركناهم يتحكمون فى تجارتنا واسواقنا ، وهم الء اعدائنا كما قال تعالى : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » .

لا تبيعوا لهم أيها المسلمون شيئا من أملاككم مهما بذلوا من ثمن ، واحذروهم فى دياركم فانهم أول الناس حربا عليكم وخيانة لكم ، واعلموا أن البيع لهم معصية لله لما فيه من التقوية والتكئين لهم فى الأرض ، وذلك يسبب خطرا عظيما لجماعة المسلمين ، وقد حرم بعض الأئمة كل بيع أعان على معصية ، وكذلك حرم بيع عصير العنب ممن يعلم أنه يتخذة خمرأ ، فمن أبى هريرة عند أبى داود . وعن ابن عباس عند ابن حبان وعن ابن مسعود عند الحاكم وعن بريدة عند الطبرانى فى الأوسط من طريق محمد بن أحمد بن أبى خيثمة بالفظ « من حبس العنب أيام القطف حتى يبيعه من يهودى أو نصرانى ، أو من يتخذة خمرأ فقد تقحم النار على بصيرة » . حسنه الحافظ فى بلوغ المرام واستدل به فى المنتقى على تحريم كل بيع أعان على معصية ١ هـ . من نيل الاوطار للشوكاتى .

ومن هذا يعلم السائل وغيره أنه لا يجوز بيع أرضه لليهودى لأنه مظنة الاضرار بجماعة المسلمين عامة ، وقد علمت أن اليهود عصابة واحدة ، وانهم جميعا صهيونيون يدينون لاسرائيل ، وبالكيد للعرب والمسلمين بشتى الوسائل فى أقل الأشياء واحرقها فضلا عن أكثرها وأعظمها .

التعويض ميراث

السؤال :

يعمل زوجى كهربائيا فى احدى الشركات ، وقد صعقه التيار أثناء قيامه بعمله ، ودفعت الشركة لنا تعويضا ، فهل يقسم التعويض بين الورثة ، أو تختص به الزوجة علما باننى لم أنجب منه .. ؟

الاجابة :

مبلغ التعويض حكمه حكم الدية ، فيقسم قسمة الميراث بين سائر الورثة .

اعداد : عبد الحميد رياض

جمع القرآن الكريم ودوافعه

□ جمع القرآن في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عهد الخلفيتين
أبي بكر الصديق وعثمان بن عفان .

١١٢
فما الفرق بين مرات الجمع في العصور الثلاثة وما هي الدوافع ؟..

مصطفى الموسوي — بغداد

... ..

كان القرآن قد حظي في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم بالاهتمام الكبير ، فبجانب حرص الرسول على جمعه في القلوب والصدور جريا على ما ألفه العرب إذ كانوا يمتدنون في تسجيل أحداثهم وأشعارهم على صدورهم عنى الرسول بكتابته ، ولكن بمقدار ما سمحت به وسائل الكتابة ، ولقد اتخذ الرسول كتابا للوحي يدونون كل شيء ينزل من القرآن الكريم ، وكان كتاب الوحي من خيرة الصحابة رضوان الله عليهم ، ويكتبون على العسف ، واللخاف ، والرقاع ، والعظام ، ثم يوضع المكتوب في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لكنه ظل منشورا طوال العهد النبوي الشريف .

ثم آلت الخلافة الى أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وقد واجه الخليفة الاول عدة مشاكل في بداية توليه ، منها موقعة اليمامة إذ دارت فيها الحرب بين المسلمين وأهل الردة من اتباع مسيلمة الكذاب ، واستشهد فيها عدد كبير من حفظة القرآن ، فمز ذلك على المسلمين ، ودخل عمر على الخليفة ، واقترح عليه أن يجمع القرآن خشية الضياع بموت الحفاظ والقراء ، وبعد تردد قبل الخليفة الفكرة ، وشرح الله صدره لها ، واختار رجلا من خيرة الصحابة هو زيد بن ثابت رضي الله عنه فلم يكتب بها حفظ في قلبه ، بل جعل يتتبع ما كتب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما كان محفوظا في صدور الرجال .

وتم الجمع في صحف لاقت ما تستحقه من عناية فائقة ، وحفظها أبو بكر عنده ، ثم حفظها عمر ، ثم حفظتها أم المؤمنين حفصة بنت عمر بعد وفاة عمر حتى طلبها سيدنا عثمان .

وقد كان الغرض من الجمع في عهد أبي بكر نقل القرآن وكتابته في صحف مرتبة الآيات خشية ذهاب شيء منه بموت حامله وحفاظه .

وفي عصر سيدنا عثمان تفرق الصحابة من الحفظة في الأمصار وساحوا في الأمطار ، وظهرت أجيال في أمس الحاجة إلى دراسة القرآن ، وخصوصا أنه قد طال عهد الناس بالرسول وزمن نزول القرآن ، وبدأ كل إقليم يقرأ بقراءة الصحابي الذي بينهم ، فقرأ أهل الشام بقراءة أبي بن كعب ، وأهل الكوفة بقراءة عبد الله بن مسعود ، وآخرون قرأوا لأبي موسى الأشعري ، وقد كان بينهم اختلاف في حروف الأداء ووجوه القراءة ، وتبعاً لهذا فتح باب الشقاق والنزاع حول طريقة قراءة القرآن ، لعدم وجود الرسول بينهم يرجعون إليه ، ويصدرون جميعاً عن رأيه ، وكادت تكون فتنة لا تقف عند حد .

أخرج ابن أبي داود في المصاحف من طريق أبي غلابة أنه قال : لما كانت خلافة عثمان بن عفان جعل المعلم يعلم قراءة الرجل ، والمعلم يعلم قراءة الرجل ، فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين حتى كثر بعضهم بعضاً ، فبلغ ذلك عثمان ، فخطب فقال : « أنتم عندي تختلفون فمن نأى عني من الأمصار أشد اختلافاً » .

لهذه الأسباب رأى سيدنا عثمان بن عفان بواقف فكره أن يتدارك الأمر ، فجمع الصحابة وذوى الرأي منهم ، فأجمعوا أمرهم على كتابة المصحف ، وحرق ما عداه ، ووزع على الأمصار ، وكانت الكتابة عبارة عن نقل ما في الصحف المجمع على صحتها إلى مصحف واحد ، والغرض قطع الطريق على الفتنة قبل أن يشتد أمرها ، والمحافظة على كتاب الله من التغيير والتبديل .

تعظيم المسلمين للحجر الأسود

□ لماذا يعظم المسلمون الحجر الأسود دون غيره من الحجارة ؟ .

محمد حسن مemark — أريد — الأردن

رويت عن الحجر الأسود روايات متعددة في سبب تعظيم واهتمام المسلمين به على مر العصور ، ولقد حظي الحجر الأسود بهذه المكانة في نفوس الناس لاهتمام الرسول به ، فقد حرص على تقبيله واستلامه عند الطواف ، وظلت هذه ملازمة للحاج إذ يبدأ الطواف منه ، ويكبر عندهما يحاذيه ، واهتمام الناس به حتى قبل الإسلام كان كبيراً ، فقد روى أن قريشاً هدمت الكعبة ، وأعادتها بناءها ، وأخطلوا فبين يرفع الحجر الأسود إلى مكانه من البناء الجديد ، وقد هداهم

تفكيرهم الى ترك الفصل في هذا الأمر لأول قادم عليهم ، وكان سيدنا محمد اول قادم وذلك قبل البعثة .

ثم جاء الاسلام فاعطى له هذه المكانة التي تحدثت عنها الروايات ، ومنها ما روى عن سيدنا عمر رضى الله عنه : « حدثنا سعيد بن ابي مريم — قال اخبرنا محمد بن جعفر قال اخبرني زيد بن اسلم عن ابيه ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال للركن اما والله انى لأعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا انى رايت رسول الله يقبلك ما قبلتك » .

وعن ابن عمر قال : « استقبل النبي صلى الله عليه وسلم الحجر فاستلمه ثم وضع شفتيه عليه طويلا » وعن الزبير بن عريى قال : « سأل رجل ابن عمر رضى الله عنهما عن استلام الحجر فقال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله ، قال قلت ارايت ان زحمت ارايت ان غلبت قال اجعل ارايت باليمن رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله » .

وعليه فقد وضع ما للحجر الأسود من أثر عظيم في نفوس المسلمين ..

جزر البحر الأحمر

□ كم جزيرة في البحر الأحمر ، وما أهمية هذه الجزر من الناحية العسكرية ؟

أبو الوليد الهماوى — الامساء

يطل على البحر الأحمر ست دول عربية هي اليمن الجنوبية ، اليمن الشمالية والسودان والسعودية والأردن ومصر ، وينتشر على صفحة البحر الأحمر حوالى ثمانين جزيرة بعضها تابع للصومال ، وبعضها تابع لاثيوبيا ، وبعضها يتبع السعودية واليمن الجنوبية والشمالية ، وأهم هذه الجزر (بریم) اليمنية وموقعها استراتيجى هام ، فهي تقع في وسط باب المندب ويمكن بواسطتها التحكم في الدخول والخروج الى البحر الأحمر .

وتتجه الأخطاع الصهيونية الى الاستيلاء على عدد من هذه الجزر ، وواجب الدول العربية أن تتنبه لهذا الخطر بالسيطرة الفعلية العسكرية عليها قبل أن يسبق العدو الى احتلالها .



قالت صحف العالم

الاسلام بنفسه لا يتباعه

ان ضعف المسلمين وهوانهم ، ولذلم وخذلاتهم ، يعود الى انهزامهم عن الدين لا الى تمسكهم به ، وما اصابهم من هزيمة نتيجة لهذا دليل على صدقه ، وتأييد لكتابه ، فطالما حذرهم عاقبة نفيهم ، وانذرهم بغية معاصيهم ، لكنهم لم يصفوا اليه ، ولم يستمعوا له . فاستأهلوا غضب الله وعقابه ، واستحقوا مقته وعذابه ، والكفار قد يسلطهم الله على المؤمنين ناديا لهم ، لانهم اتوا بان يؤمنوا له ، ولا عذر لهم اذا عصوا ربه ، وخالفوا كتابهم بعد ان علموا منه ان المعاصي تجر الى اوجهم المواقب .

ويمعيني هنا قول عمر في نصيحة ساقها الى سعد ابن ابي وقاص « اما بعد فاني امرك ومن معك من الاجناد بتقوى الله على كل حال فان تقوى الله افضل المدة على العدو واقرى المكيدة في الحرب ، وامرك ومن معك ان تكونوا اشد احتراسا من المصائب من عدوك فان لنوب الجيش اخوف عليهم من عدوهم .

وانما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة لان عدونا ليس كمدهم ولا عدتنا كمدهم فان استوتنا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة والا نصبر بفضلنا لم نفلهم يقوتنا فاعلموا ان عليكم في سيركم حفظه من الله يعلمون ما تفعلون فاستهزأ منهم ولا تكونوا عصاة الله وانتم في سبيل الله ، ولا تقولوا ان عدونا شر منا فان يسلط علينا قرب قوم سلط عليهم شر منهم كما سلط على بني اسرائيل - لما علموا بمسيحنا الله - كفار الجوس « فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا » . واسألوا الله العون على انفسكم كما تسألونه النصر على عدوك .

ويمعيني قول الهرمزان لعمربينا سر انتصار الفرس على العرب في الجاهلية ، وسر انتصار العرب على الفرس في الاسلام - انا كنا واياكم في الجاهلية - كان الله قد خلّى بيننا وبينكم ففلبناكم ، فلما كان معكم - في الاسلام فلبتونا .

والقرآن سبق الى تقرير هذه الحقيقة حيث يقول - « يا ايها الذين امنوا ان نصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم » .

« ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة واتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور » .

« ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بلفسهم » .

« واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا ان الله شديد العقاب » .

والاحاديث النبوية تؤكد هذا المعنى ايضا ، قال صلى الله عليه وسلم : « نرشك الهم ان تتداعى عليكم كما تتداعى الكلة الى قصبتها » فقال قائل : من قلة نحن يومئذ ؟ قال : لا ولكنكم غناه السيل ولينزعن الله من صدور عدوك المهابة منكم وليتدنن في قلوبكم الوهن . قيل : وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكراهة الموت . (أخرجه ابو داود عن ثوبان) .

وفي الموطأ عن مالك انه بلغه ان ام سلمة رضى الله عنها قالت : يا رسول الله ، اهلك وغينا الصالحون ؟ قال : نعم ، اذا كثر الخيبت .

وفي سنن الترمذي عن حذيفة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : والذي نفسي

بيده لثامرون بالمعروف ولتزهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونهم فلا يستجيب لكم .

هذه الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية تشهد بأن المعاصي شؤم على أصحابها وعلى من يرضى بها وتشعر بأنها تحرم المؤمنين من عون الله فيدعهم وأنفسهم ويسسلط عليهم عدوهم حتى يضطر إلى اللجوء إليه ، ويجهلهم على الاستعانة به .

وينفهمهم إلى الوقوف ببابه وتنفيذ وصايا كتابه ، ومن لطف الله أن يسوق إليهم من يؤدبهم لئلا يستنبهوا في غفلتهم ، وليجعلهم بعد أن يلبسوا أثر معاصيهم على أن ينفروا منها ، ويستعدوا عنها ، ويقبلوا على تعاليمهم ، ويستنسكوا ببيادى دينهم حقا أن كثيرا من المسلمين قد أساءوا إلى الدين ، وشوهوا صورته ، فغطت مساوئهم على محاسن الإسلام ، وحجبت عيوبهم مزايده وفضائله . وظن الجاهلون بحقيقته أن ما عليه المسلمون من فساد وفوضى واضطراب هو بسبب ضعف المسلمين ، وسر نكستهم والحوائل دون نهضتهم ، ومن أجل ذلك قال جمال الدين الأفغاني : « إذا أردنا أن ندعو أحرار أوروبا إلى ديننا وجب علينا أن نقنعهم أولا بأننا لسنا مسلمين فانهم ينظرون إلينا من خلال القرآن الكريم — ورفع كفيه وفرج بين أصابعهما فيرون وراءه اقواما نسا فيهم الجهل والتخاذل والتواكل .. فيقولون — لو كان هذا الكتاب حقا مصلحا ما كان اتباعه كما نرى » .

عن مجلة التضامن الإسلامي المصورة

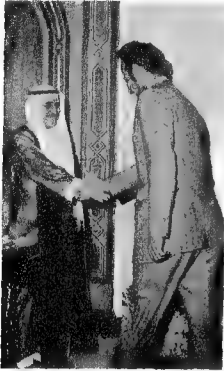
مشكلاتنا الحضارية

إن الرجل الذي يعيش في بلد مختلف لا يدرك بسبب عقدة تفلحه أن المسافة التي بينه وبين من يعيش في بلد متقدم يمكن أن تقاس بالإنكار أي أنه يعتقد أن تفلحه متبطل في نقص ما لديه من بنوك ومذاهب وعبادات . وبعبارة أخرى يرجع سبب التخلف إلى نفس الانشياء لا الأفكار ولهذا يحاول ترميم في هذا النقص بأي وسيلة ومن أي طريق فتكون تلك المظاهر الساذجة لمسامية واهتماماته ، وتلك الصور المظلمة لأفكاره وتصوراته .. فالتكديس كما يكون في الأشياء يكون في الأفكار ولعله هنا أخطر وأدعى للأسف لأن تأثيره في المجتمع أعمق وانتشاره بين المعلمين أوسع ، وكما نجد من مظاهره ونتائجه هناك تلك العقلية التي تريد أن تستورده حتى برودة الطقس نجد من مظاهره ونتائجه هنا عقلية تقلد الآخرين جتى في أسدال الشمور والمبيت في العراء وبين هذه وتلك تختلف النماذج وتعدد الصور باختلاف التربية والثقافة والمحيط الاجتماعي .. فمن قائل إن الحضارة تكن في الخلط الجنسيتين وكفى .. وآخر يظنها كلمات أجنبية يربط بها كالأعجمي بمناسبة وبغير مناسبة وشعارات وهنات يرددها أو يطلقها في هماس أحرق يدعو إلى الضحك والبكاء معا .. إلى ثالث يرى أن السبيل الوحيد للنهضة هو تحرير المرأة من أنوثتها وثياها وتحرير الرجل من رجولته وأخلاقه ، إلى رابع يقاتل على مخلفات القرن الثامن والتاسع عشر من سقيم النظريات وشطحات الفكر زاعما أنه تقدمي يهاجم الماضي وآثاره في أنفعال مجنون ينسى معه أن أفكاره هو بل الفائلة نفسها متخلقة نصف قرن على الأقل إلى خامس لا يرى من النهضة غير مظاهر الانحراف في بعض المجتمعات ويبدل أن يدعو إلى اقتباس الصالح دون سواء تراء مصرا على نقل كل ما هو فاسد مضر وكأنه لا يعرف شيئا جديرا بالاهتمام غيره وما ظواهر التفتن والتلخت والقتال على مخلفات القرون ونفايات الأفكار إلا مظاهر لاستجابات غير وافية لتطلبات الظروف التي تعيشها أمنا ، وتعبيرات صليحة عن مشاعر القلق ونتائج الفراغ وسوء القرية في البيوت والمدارس وليس من قصصنا هنا أن اهين أولئك أو الوم هؤلاء فالذنب ليس ذنبهم وهدم وأما بقع على جميع فئات المجتمع ، بل إلى أرى أن الأمر من أولئك جميعا ذلك الصنف الذي لا يرى شيئا ولا يفهم شيئا ولا يبحث عن شيء بل هو يعمد أولئك الذين يفكرون ويبحثون فهو في الحقيقة مشلول التفكير معطل الحواس يعيش عالة على المجتمع وعلى التاريخ .

عن مجلة جوهر الإسلام التونسية

الشيخ محمد صالح المنجد

اعداد : فهمى الإسلام



الكويت :

○ كان للمبادرات التي قام بها سمو الأمير المعظم لتطويق الأحداث في لبنان اثر فعال في تهدئة الخواطر وحل الأزمة .

○ زار البلاد السيد حمدي ولد مكناس وزير خارجية جمهورية موريتانيا الاسلامية ، ويرى في الصورة سمو أمير البلاد المعظم وهو يستقبل الضيف الكريم في قصر السيف العامر .

○ استقبل سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء في مكتبه مولاي عبد الله الممثل الشخصي لجلالة الملك الحسن الثاني ملك المملكة المغربية الذي زار البلاد في الشهر الماضي .

○ قام وزير الحربية المصري الفريق أول أحمد اسماعيل علي بزيارة البلاد ، وقد استقبله سعادة الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح في مكتبه بوزارة الدفاع .

○ تلقى سعادة وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية دعوة لزيارة كل من الجزائر والمغرب والأردن .

○ أوقفت الحكومة ضخ النفط لمدة ساعة يوم ١٥/٥/١٩٧٣ بمناسبة ذكرى اغتصاب فلسطين تعبيراً عن الرغض العربي لوجود الكيان الاسرائيلي في فلسطين .

○ استقبلت وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية وفداً سودانياً برئاسة الشيخ عوض الله صالح

مفتى السودان ، والوقد يقوم بجولة في الخليج العربي بغية الحصول على مساعدات لانشاء المركز الاسلامي في السودان .

○ قام وفد من مسلمي استراليا بزيارة البلاد ، وبحث مع المسئولين اوضاع المسلمين في استراليا ، وتنشيط الحركة الاسلامية في القارة الاسترالية .

○ زار الكويت تفكو عبد الرحمن الامين العام للمؤتمر الاسلامي ضمن جولة يقوم بها في عدد من الاقطار العربية .. والفرش من الزيارة البحث في موضوع تأسيس بنك اسلامي كان قد تم الاتفاق بشأنه في المؤتمر الاسلامي الاخير .

القاهرة :

○ زار جلالة الملك فيصل جمهورية مصر العربية ، واجتمع الى الرئيس انور السادات وتدارسا الموقف الراهن وازمة الشرق الاوسط .

○ تلقى الامام الاكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الازهر طلبات من السعودية والكويت ودول الخليج لايفاد ٥٠٠ من خريجات كلية البنات بجامعة الازهر للعمل بالتدريس في هذه الدول .

○ بدأ مجمع البحوث الاسلامية بتنفيذ اكبر مشروع لاهياء التراث الاسلامي وذلك بالاعداد على مدى ثلاث سنوات قادمة لنشر نحو ألف كتاب من امهات كتب الحديث والسيرة والتفسير والفقه واللغة العربية والتصوف الاسلامي .

السعودية :

○ حذر وزير البترول السعودي الولايات المتحدة من أن بلاده لن تزيد انتاجها الحالي من النفط ما لم تبذل واشنطن موقفها المؤيد لاسرائيل .

لبنان :

○ وقعت في لبنان أحداث دموية

مؤسفة بين الجيش اللبناني والفدائيين الفلسطينيين وتدخل الوسطاء العرب لانهاء الازمة .

العراق :

○ استنشا في بغداد دار لحفظ المخطوطات .. وهي اول دار من نوعها في العراق والوطن العربي .

قطر :

○ ساهمت قطر بجزء من المساعدات المالية العربية لسوريا في نضالها ضد اسرائيل .

ابو ظبي :

○ أعلن الشيخ زايد رئيس دولة الامارات العربية المتحدة أن على الدول التي تشتري النفط العربي أن تؤيد العرب في قضاياهم الوطنية أو تتخذ موقف اللامحاز .

فلسطين المحتلة :

○ اقامت اسرائيل عرضا عسكريا في مدينة القدس بمناسبة الذكرى الخامسة والعشرين لاحتلالها فلسطين بالرغم من استنكار العالم لذلك .

○ تلقت اسرائيل ما يزيد على (٨٥٢٥) مليار دولار أمريكي خلال العشرين سنة الاولى من انشائها ..

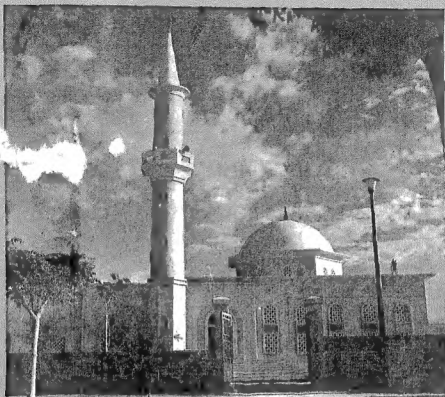
ليبيا :

○ أخطر الرئيس القذافي رؤساء الدول الافريقية بأن ليبيا ستقاطم اجتماع القمة وتطلب نقل مقر منظمة الوحدة الافريقية الى القاهرة ما لم تحدد الدول الافريقية موقفها من اسرائيل .

○ عاد الى روما ٩٠٠ ايطالي من ليبيا لعدم حيازتهم على جوازات سفر فيها ترجمة عربية رسمية لبيانات الجواز .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

المواقيت الشرعية بالزمن الفروي					المواقيت الشرعية بالزمن الزولي					يومئذ جمادى الأولى ١٤٢٢		أيام الأسبوع			
عشاء	عصر	ظلم	شروق	فجر	عشاء	مغرب	عصر	ظلم	شروق	فجر					
س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د				
١٢٢	٨٢٧	٥	٣	١٠	٦	٨٢١	٨١٤	٦٤٢	٢٠	١٤٥	٤٤٨	٢٢	٢	١	السبت
٢٢	٢٧	٣	٥	٢٠	٢٠	١٤٣	١٥	٦٤٣	٢٠	٤٦	٤٤٨	٢	٢	٢	الأحد
٢٢	٢٧	٢	٤	١٩	٢٠	٤٣	١٥	٤٣	٢٠	٤٦	٤٨	٢	٤	٢	الاثنين
٢٢	٢٦	٢	٣	١٨	٢٠	٤٤	١٦	٤٤	٢٠	٤٦	٤٨	٢	٥	٤	الثلاثاء
٢٢	٢٦	٢	٢	١٨	٢٠	٤٤	١٦	٤٤	٢٠	٤٦	٤٧	٢	٦	٥	الأربعاء
٢٢	٢٦	١	٢	١٧	٢١	٤٥	١٧	٤٥	٢١	٤٦	٤٧	٢	٧	٦	الخميس
٢٣	٢٥	١	٢	١٦	٢١	٤٥	١٨	٤٥	٢١	٤٦	٤٧	١	٨	٧	الجمعة
٢٣	٢٥	١	١	١٥	٢١	٤٦	١٩	٤٦	٢١	٤٧	٤٧	١	٩	٨	السبت
٢٣	٢٥	١	١	١٥	٢١	٤٦	١٩	٤٦	٢١	٤٧	٤٧	١	١٠	٩	الأحد
٢٣	٢٤	٠٠	٠٠	١٤	٢١	٤٧	٢٠	٤٧	٢١	٤٧	٤٧	١	١١	١٠	الاثنين
٢٣	٢٤	٠٠	٠٠	١٤	٢١	٤٧	٢٠	٤٧	٢١	٤٧	٤٧	١	١٢	١١	الثلاثاء
٢٣	٢٤	٠٠	٠٠	١٤	٢١	٤٧	٢٠	٤٧	٢١	٤٧	٤٧	١	١٣	١٢	الأربعاء
٢٣	٢٤	٠٠	٠٩	١٣	٢١	٤٨	٢١	٤٧	٢١	٤٧	٤٧	١	١٤	١٣	الخميس
٢٣	٢٤	٠٠	٠٩	١٣	٢١	٤٨	٢١	٤٧	٢١	٤٧	٤٧	١	١٥	١٤	الجمعة
٢٣	٢٤	٠٠	٠٩	١٣	٢١	٤٨	٢١	٤٧	٢١	٤٧	٤٧	١	١٦	١٥	السبت
٢٣	٢٣	٠٩	٠٨	١٢	٢٢	٤٩	٢١	٤٧	٢١	٤٧	٤٧	١	١٧	١٦	الأحد
٢٣	٢٣	٠٩	٠٨	١٢	٢٢	٤٩	٢٢	٤٧	٢٢	٤٧	٤٨	١	١٨	١٧	الاثنين
٢٣	٢٣	٠٩	٠٨	١٢	٢٢	٤٩	٢٢	٤٧	٢٢	٤٧	٤٨	١	١٩	١٨	الثلاثاء
٢٣	٢٢	٠٩	٠٨	١٢	٢٢	٥٠	٢٣	٤٨	٢٣	٤٨	٤٨	٢	٢٠	١٩	الأربعاء
٢٣	٢٢	٠٩	٠٨	١٢	٢٣	٥٠	٢٣	٤٨	٢٣	٤٨	٤٨	٢	٢١	٢٠	الخميس
٢٣	٢٢	٠٩	٠٨	١٢	٢٣	٥٠	٢٣	٤٨	٢٣	٤٨	٤٨	٢	٢٢	٢١	الجمعة
٢٣	٢٢	٠٩	٠٨	١٢	٢٣	٥٠	٢٣	٤٨	٢٣	٤٨	٤٨	٢	٢٣	٢٢	السبت
٢٣	٢٢	٠٩	٠٨	١٢	٢٣	٥٠	٢٣	٤٨	٢٣	٤٨	٤٩	٢	٢٤	٢٣	الأحد
٢٣	٢٢	٠٩	٠٨	١٢	٢٣	٥٠	٢٤	٤٩	٢٤	٤٩	٤٩	٢	٢٥	٢٤	الاثنين
٢٣	٢٤	٠٩	٠٨	١٢	٢٤	٥١	٢٤	٤٩	٢٤	٤٩	٤٩	٢	٢٦	٢٥	الثلاثاء
٢٣	٢٤	٠٩	٠٨	١٢	٢٤	٥١	٢٤	٤٩	٢٤	٤٩	٤٩	٢	٢٧	٢٦	الأربعاء
٢٣	٢٤	٠٠	٠٩	١٢	٢٤	٥١	٢٥	٥٠	٢٥	٥٠	٥٠	٤	٢٨	٢٧	الخميس
٢٣	٢٤	٠٠	٠٩	١٢	٢٤	٥١	٢٥	٥٠	٢٥	٥٠	٥٠	٤	٢٩	٢٨	الجمعة
٢٣	٢٤	٠٠	٠٩	١٢	٢٤	٥١	٢٥	٥٠	٢٥	٥٠	٥٠	٤	٣٠	٢٩	السبت



مسجد علي بن أبي طالب

اسمه ونسبه : علي بن أبي طالب بن عبد المطلب ، وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولادته واسلامه : ولد قبل البعثة بعشر سنين ، ورعى في حجر النبي . واسلم وهو ابن ثمان سنين ، وزوجه النبي ابنته السيدة فاطمة رضي الله عنها ، وأنجب منها الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم رضوان الله عليهم .

جهاده وفضائله : شهد المشاهد كلها إلا غزوة تبوك لأن النبي استخلفه في أهل بيته ، وكان اللواء بيده في أكثر الغزوات . وكان أول المبارزين في غزوة بدر ، ومن ثبوتوا يوم أحد وحنين ، وعلى يديه فتحت خيبر ، وبلغ من الشجاعة أعلاها ، ومن العلم مبلغا عز على أمثاله ولا سيما في القضاء ، وكان من أقدر الناس على الخطابة . عدلا في حكمه بارا برعيته .

خلافته : تولى الخلافة بعد مقتل عثمان رضي الله عنه ، ومدة خلافته خمس سنوات إلا بضعة أشهر ، واستشهد وهو بهم بصلاة الفجر في السابع والعشرين من رمضان سنة أربعين من الهجرة عن ثلاث وستين سنة ودفن بالكوفة كرم الله وجهه وأثابه عن الإسلام خير الجزاء .

« الى راغبى الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ودرغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتقاديا لفسياح المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات متفنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا راسا مع بقعد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالتمهدين :

مماهرة : شركة توزيع الاخبار / شارع الصحافة .

السودان : الخرطوم : دار التوزيع - ص.ب : (٣٥٨) .

ليبيا : طرابلس الغرب : دار الفرجانى - ص.ب : (١٣٢) .
بنغازى : مكتبة الخراز - ص.ب : (٢٨٠) .

تونس : مؤسسات ع بن عبد العزيز - ١٧ شارع فرنسا .

لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .

عمان : مؤسسة ١٤ اكتوبر للنشر والتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٧) .

الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥) .

جدة : مكتبة مكة - ص.ب : (٤٧٧) .

الرياض : مكتبة مكة - ص.ب : (٤٧٢) .

السعودية : الخبر : مكتبة النجاح الثقافية - ص.ب : (٧٦) .

الطائف : مكتبة الثقافة - ص.ب : (٢٢) .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

المصراق : بغداد : وزارة الاعلام - مكتب التوزيع والنشر .

البحرين : المكتبة الوطنية : شارع باب البحرين .

قطر : الدوحة : مؤسسة العروبة - ص.ب : (٥٢) .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .

دبى : مطبعة دبى .

الكويت : مكتبة الكويت المتخصصة .

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

٤	للدكتور محمد البهي	العلمانية في الاسلام
١٢	للدكتور محمد حسين الذهبي	التعريف بالقرآن الكريم
١٧	للدكتور علي عبد المنعم عبد الحميد	من هدى السنة
٢٤	للدكتور وعبد الزحيلي	مظاهر أسباب تخلف العالم الاسلامي
٢٩	مأساة المسلمين في بورما
٤٠	للاستاذ عبد الكريم الخطيب	القصاص في القتل
٤٩	للدكتور محمد شوقي الفنجري	الزكاة بلغة العصر
٥٨	مائدة القارئ
			ملاحظات في التفسير الاسلامي
٦٠	للدكتور عباد الدين خليل	لتاريخ
٦٩	للدكتور احمد شوكت الشطي	الحضارة وأركانها في الاسلام
٧٨	للاستاذ سفيان سالم	الدعوة الاسلامية وكيف نوجهها
٨٥	للدكتور محمد الدسوقي	خير أمة
			أشياء تستحق المعرفة في القرآن
٩١	للاستاذ محمد بلي الفرتي	الكريم
٩٤	للاستاذ محمد لبيب البوهي	صراع في الظلام (قصة)
١٠٠	باقلام القراء
١٠٤	للتحرير	الفناوى
١٠٦	اعداد : عبد الحميد رياض	بريد الوعى
١٠٩	للتحرير	قالت الصحف
١١١	اعداد : فهمي الامام	الأخبار
١١٢	مواقيت الصلاة